مقدمـــــة

الإخوان المسلمين هم أهم حركة إســـلامية ــ سياســية فـــي القـــرنين الأخيرين. فمنذ الحركة الوهابية التي ظهرت فـــي الجزيـــرة العربيـــة فـــي منتصف القرن الثامن عشر، على يد الداعية المتشدد **محمد بن عبد الوهاب،** لم تظهر حركة دينية سياسية تدانيها تنظيمياً وقوة وتأثيراً ــ لا في الجزيـــرة العربية، ولا خارجها ــ إلى أن ظهرت حركة الإخوان المسلمين في مـــصر، على يد الداعية **حسن عبد الرحمن البنا،** عام 1928. صحيح، ظهرت بـــين الحركة الوهابية وحركة الإخوان المسلمين حركات إسلامية أخـــرى ــ مثـــل المهدية في السودان، والسنوسية فـــي المغـــرب العربـــي ــ ولكنهـــا ظلـــت محصورة النطاق جغرافياً، ومحدودة التأثير سياسياً وزمانياً. كذلك ظهـــرت حركات أخرى عديدة تحمل شعارات إسلامية خلال القرنين الأخيـــرين، لـــم يكن لها مثيل بين أيٍّ من الحركات المذكورة في تأثيرها المستمر.

الوهابيون والإخوان المسلمون ــ إذن من هما الأهم والأكثر تـــأثيراً واستمراراً. وكما ضُربت الحركة الوهابية أكثر من مرة وســـقطت، وأفاقـــت ونهضت من جديد، كذلك حدث لحركة الإخوان المسلمين. ولم تظهـــر بعـــد، على حد علم هذا الكاتب، دراسات علمية موثقة عن العلاقة بين الحركتين في القرن العشرين. ولكن من الثابت أنه حينما ضُربت حركة الإخوان المـــسلمين بواسطة الرئيس المصري **جمـــال عبـــد الناصـــر** فـــي الخمـــسينيات وفـــي الستينيات، فرّ عدد كبير من الإخوان إلى المملكة العربية السعودية، المعقـــل الحصين للوهابية، حيث أحسنت وفادتهم وحمايتهم. كما أن عدداً كبيراً مـــنهم قد شاركوا في بناء الدولة السعودية الثالثة، واستفادوا أيضاً بقدر مـــا أفـــادوا

أدبياً ومادياً، ودخلوا في شركات متعددة ومتشعبة معاً، ظل تأثيرها قائماً إلـــى الوقت الحاضر.

ولكن هذا الكتاب، الذي بين يد القارئ، هو عن الإخوان المسلمين في مصر، وتحديداً، خلال الحقبة الناصرية (1952–1970)، التي تفــاقم فيهــا الصدام بين "الضباط الأحرار"، الذين سموا أنفسهم ثــواراً، وأطلقــوا علـــى حركتهم (الانقلاب العسكري على نظام الحكــم الملكـــي فـــي 1952/7/23) مصطلح "**ثورة يوليو**". ورغم أن السنتين الأولتين لثورة يوليو شهدتا تعاوناً، أقرب إلى التحالف (1952–1954)، بين الثورة والإخوان، إلا أن ذلك انتهى في صيف 1954، تم تحول التحالف إلى خصام، ثم إلى صدام منـــذ خريــف ذلك العام وإلى خريف 1970، الذي انتقل فيه الرئيس **جمال عبد الناصر** إلى الرفيق الأعلى.

في مرحلتي الخصام والصدام هاتين، قيــل أنـــه جــرت محاولتـــان لاغتيال **عبد الناصر** والاســتيلاء علـــى الحكــم (1954و1965). وحـــدثت مواجهات دموية بين نظام يوليو والإخوان المسلمين بالفعل. وتم إعدام عـــدد من قيادات الإخوان في المناسبتين. وكان الذي يقود الإخوان المـــسلمين فـــي محاولتي الانقلاب والاغتيال والاستيلاء على السلطة، تنظيم مدرب عسكرياً، من ذوي اللياقة البدنية العالية، وذوي التلقين العقيدي المتعمق، والمبـــرمجين على السمع والطاعة المطلقة. وكان هذا التنظيم شبه العسكري يُعـــرف فـــي صفوف الإخوان باسم "**التنظيم الخاص**"، وفي دوائر السلطة باســـم "**الجهـــاز السري**". وارتبطت الصورة العامة للإخوان المسلمين بهذا "**الجهاز الـــسري**". والذي صوّرته الماكينة الإعلامية لثورة يوليو بأنه تنظيم إرهـــابي مخيـــف. ولعل هواجس الكثيرون من الإخوان المسلمين خاصـــة، ومـــن الإســـلاميين عموماً، تعود في بذورها الجنينية لما أشاعته ثورة يوليو حول هذا "الجهاز".

فإلى أي حد كانت ثورة يوليو محقة أو مضللة فيمــا ألــصقته بــذلك الجهاز من صفات؟

إن الأستاذ **علي عشماوي**، مؤلف الكتاب الذي هو بين أيدي القارئ، يجيب على هذا السؤال. وهو يفعل ذلك **كشاهد وفاعل ومسئول** من أهل هذا الجهاز. وقد سجل المؤلف اعترافاته حول عضويته فــي جماعــة الإخــوان المسلمين ثم تجنيده في الجهاز السري أي التنظيم الخاص، على حلقــات تــم نشرها في مجلة "**المصور**"، منذ ثلاثين عاماً ثم جمعت في كتاب صدر عــن "**دار الهلال**"، عام 1993 ونفذت طبعات الكتاب في حينه. ولم يعد المهتمــون والدارسون يجدوا نسخاً من الكتاب لإشباع حاجتهم إلى معرفة تلك الحقبــة، بخفاياها، وما لها وما عليها.

ولأننا في مركز ابن خلدون نقوم بمشروع بحثــي أشــمل بعنــوان "**الإصلاح الديني**"، تحت إشراف الداعية والمفكر الإسلامي **جمال البنا**، فقــد رحبنا بمبادرة الأستاذ **علي عشماوي**، لإعادة نشر كتابه "**التــاريخ الــسري لجماعة الإخوان المسلمين**"، مع مقدمة جديدة. ويجئ توقيت نشر الكتاب مع الصعود السياسي للإخوان في مصر، عام 2005 بنجاح 88 من مرشــحيهم لمجلس الشعب، وكذلك نجاح فرعهم في فلسطين في الفوز بالانتخابات تحت اسم "**حركة المقاومة الإسلامية**" ــ **حمــاس**، وتشكيلهم للحكومة الفلــسطينية. وقد ضاعف ذلك من الجدل حول الإسلاميين ودورهم في الحياة المعاصرة.

ونحن ندرك أن كثيراً من الإخوان المسلمين يختلفون مع رؤية وتقييم الأستاذ **علي عشماوي** للحقبة التي كان فيها واحد منهم. وطبعاً نحن نرحــب بنشر وجهات النظر المخالفة.

نتقدم بالشكر للمؤلف ولمن راجعوا مخطوطة الكتاب وأعدوه للنــشر. وعلى الله قصد السبيل.

سعد الدين إبراهيم

مركز ابن خلدون ــ المقطم ــ القاهرة

2006/12/12

مقدمة الطبعة الثانية

لما طلب منى كتابة مقدمة للطبعة الثانية مــن كتــابي عــن الإخــوان المسلمين، لم يكن أمامي إلا اللجوء لبعض الخواطر عــن ســلوك الإخــوان جماعة وأفراد حيث يستطيع القارئ منهم، واستيعاب أحداث المذكرات التـــى كتبتها منذ سنين. ولقد أثر فى فكرى بعد خروجي من السجن أن تيــسر لـــى السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتى كنا ندرس كراهيتها مع دراســتنا لأصول ديننا.

ولقد كان انبهاري شديد وإعجابي أشد لما رأيت من قيمة للإنسان والتى كنا قد نسيناها من كثرة ما عشنا من قهر وإهدار للحرية والكرامة الإنسانية.

ولقد حضرت بعد وصولي إلى الولايات المتحدة بشهور قليلــة مــؤتمراً إسلامياً جامعاً نظمته منظمة الطلبة المسلمين، وكان فيه المئــات مــن شــتى الولايات وحضر الكثير من رموز الدعوة الإسلامية مــن العــالم الإســلامى وتحدثوا بكل الحرية وقالوا ما لم يستطيعوا قوله فى بلادهم، وكان من بيــنهم الشيخ يوسف القرضاوى والحاجة زينب الغزالى والأســتاذ جمــال بــدوى المصرى الذى يعيش فى كندا والشيخ (عبدالله العقيل) الكويتى الجنسية والذى كان يمول النشاط الإسلامى فى الكثير من بقاع الدنيا. هذا المنظــر زاد مــن إجابى وحبى لأن يعيش الناس فى كرامة وأن يكون الفرد هو محور كل شئ، ورأيت أيضاً أن الكثير من قيادات الأخوان الهاربة والتى تعيش فــى بــلاد أخرى وجدت طريقها للتعامل مع المارد الأمريكى الذى حــذرونا منــه بــل واستفادوا كثيراً من المزايا التى يكفلها المجتمع الأمريكى لمن يعيــشون فــى كنفه، ووجدت أنهم يتعاملون بشخصيتين واحدة التشدد وبث الجمود فى عقول الأفراد وأخرى هينة لينة فى التعامل مع السلطات الأمريكية، قد تــصل إلــى حد المداهنة للسلطات الأمريكية بغية إعطائهم صورة حسنة عن الإخوان كي يفوزوا بتأييد أمريكاني ضد حكام دولهم، وكنت أعلم أن هذا نوع من الريــاء مما زادنى ثورة عليهم لعلمى بحقيقة أمرهم وأنهم أساتذة فى هذا النــوع مــن النفاق، ولعل الموضوعات القادمة تتناول بعض الجوانب مــن ســلوكياتهم .. أرجو الله أن تفى بالغرض.

على عشماوي

"لا رابطة أقوى من العقيدة ولا عقيدة أقوى من الإسلام" .. هذه الصيحة كانت كلمة حق أريد بها باطل، فقد كانت النداء الذي سيطر به الإخوان على شباب هذه الأمة، ثم قاموا بغسل أدمغتهم والسيطرة عليهم يوجهونهم إلى أى اتجاه يريدون.

ومن هذا النداء انبثقت وسائل السيطرة وهى البيعة، والسمع والطاعة. ذلك أن الشباب حين يدخل إلى الجامعة لابد أن تكون له بيعة، والبيعة مع مجموعات النظام الخاص، وهو الجهاز السرى للجماعة باستعمال المصحف والمسدس.

أما "إخوان الأسر" هو النظام المعمول به لربط الإخوان تنظيماً فيكون باستعمال المصحف فقط، ولكن عم يبايع الأفراد ؟ .. إنه شئ مهم يحكم سلوكهم باقى يأتهم إنهم يبايعون على السمع والطاعة، وهذا هو مفتح السيطرة والتحكم فى الأفراد.

ويقولون إن النظام الخاص قد انتهى ولكن الواقع أنه الآن موجود، فقد سيطر إخوان النظام الخاص على الجماعة، والقيادات أغلبهم من هذا النظام، ولقد نصبوا أفراد النظام فى القيادة بجميع مناطق العمل فى مصر لأنهم يرون أن هؤلاء هم الأقدر على الحركة فى الظروف الاستثنائية.

وهم يستفيدون حالياً من حالات الزواج البيئي، حيث يتزوجون من بعضهم البعض، فتكون الاتصالات التى تتم فيما بينهم لها غطاء مهم جداً وهو النسب والقرابة، أما باقى الأفراد بالمنطق فيتم الاتصال بهم فرادى، أى أن تزورهم مجموعة المسئولين فى كل منطقة فرادى ويوزعون عليهم البرامج فرادى.

ولكنهم ينتهزون الفرصة من آن لآخر فى المناسبات الدينية، فيتم عمل اجتماعات عامة فى المساجد، خاصة فى الريف واستحضار أحد دعاة

الإخوان، وغالباً ما يكون محافة مجاورة، لتضليل رجال الأمن. ويتم تلقى الأوامر من القيادة العليا بالقاهرة عن طريق الشخصى بقادة المناطق وهم بدورهم يقومون بإبلاغها إلى المستويات الأدنى حتى تصل إلى جميع الأفراد بيسر وأمان.

إن هذا ما يميز الإخوان الآن عن باقى الأحزاب الموجودة فى الساحة، فهى لا تعدوا أن تكون جريدة ومجموعة أفراد يلتفون حولها، أما الإخوان فهم قاعدة منظمة تنظيماً جيداً ولديهم وسائل الاتصال على أحدث ما فى السوق، وهم يهتمون جداً باستعمال الكمبيوتر لتيسير الاتصال بينهم.

لقد درس الإخوان جميع التنظيمات العالمية حين حاولوا بناء النظام الخاص، وقد تأثروا جداً بالفكر الباطنى فى التاريخ الإسلامي، حيث كانت التنظيمات والعباسية والعلوية .. والشيعة وما صاحبها من فرق سرية، مصدراً أساسياً تم الرجوع إليه ودراسته والاستنارة بالأفكار الحركية فى كل تنظيم على حده.

وفيها أيضاً كانت هناك وقفة شديدة أمام فرقة الحشاشين أتباع مصطفى الصباحى، وكان الانبهار من وصولهم إلى حد الإعجاز فى تنفيذ آليات السمع والطاعة، وكيف كان الأفراد يسمعون ويطيعون حتى لو طلب منهم قتل أنفسهم، أما الحركات العالمية الأخرى سواء كانت حركات إجرامية أو حركة سياسية مثل المافيا العالمية والتنظيمات الفرنسية، وأخيراً التنظيمات الصهيونية العالمية بما لها من قوة وانضباط واتصالات بجميع القوى السياسية ومعرفة إخضاع الخصوم والسيطرة عليهم أو تصفيتهم.

ولقد كان للأستاذ سيد قطب تعليق على ذلك، أن أى تنظيم يطبع أفراده بصفته، أى أن التنظيم لو كان إجرامياً، خرج الأفراد مجرمين، وإذا كان صهيونياً خرج الأفراد معجبين بالصهيونية.

وكان يعلم أن القيادة النظام الخاص كانت مخترقــة مــن الأجهــزة الغربية الاستعمارية وتعمل لحسابها، وأن جميع الأعمال الكبرى التى يتفاخر بها الإخوان فى تاريخهم قد تم تفريغها من نتائجها، فمثلاً حرب فلسطين التى يفخر بها الإخوان باستمرار، فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جداً فيهــا، ثــم صدرت من الشيخ محمد فرغلى الأوامر بعدم الدخول فى معارك بحجــة أن هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين، ولكن هذا كان مبرره فى الأساس لحمايــة اليهود من إحدى القوى الخطيرة إذا استعملت، وتــم تنفيــذ الأوامــر وظــل الإخوان فى معسكرهم لا يحاربون إلى أن عادوا من فلسطين.

وكان شباب الإخوان فى غاية التوتر والقلق لعــدم اشــتراكهم فــى المعارك لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن الشيخ فرغلى قــد خــان وينبغــى تصفيته، وفعلاً قرروا ذلك لولا أن الخبر قد وصل إلى الشيخ فــاجتمع بهــم وشرح لهم الأمر وأطلعهم على الأوامر التــى صــدرت لــه مــن القــاهرة وأسبابها.

ومثلاً هناك واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كــان هذا الفندق يعج بالإنجليز وبالجواسيس فى جميع الأشكال، وقد أراد الإخــوان ضرب هذا الفندق، ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أى تأثير ضــار بالإنجليز، وكان من نتيجة ذلك أن قتل منفــذ العمليــة دون أدنــى ضــرر بالإنجليز.

ولقد أورد الحادث الأستاذ صلاح شادى فى مذكراته فقال التى أمرنا داخل قسم الوحدات على القيام بعملية إرهاب فى داخل فندق الملك جــورج، بإشعال عبوة ناسفة لا تؤدى إلى قتل أو إصابته بجسامة، وإنما تعلم فقط عن ملاحقته للعملاء والمخابرات الإنجليزي، وكلفنا الأخ رفعت النجار من سلاح الطيران بالقيام بهذه العملية، بأن يحمل دوسيهاً به مادة ناسفة، ويــشعلها ثــم يتركها فى ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلف ستارة مــدلاة علــى حــائط

الردهة ثم ينهض بعد ذلك ويمضى خارج الفندق وجرى التنفيذ على أحسن وجه، ولكن ظهر للأخ رفعت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذى اقترب من المكان ولكن الأخر ظل ممسكاً بالدوسيه حتى انفجر فيه ومات متأثراً بجراحه، فقد خشى أن يقتل رجل المخابرات الإنجليزي.

وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليز ووصموا الجماعة بالإرهاب دون أدنى فائدة.

وموضوع آخر أكثر غرابة فقد نشط بعض الإخوان المتحمسين من غير إخوان النظام فى عمليات خاصة، من هؤلاء إخوان مصر الجديدة، وكانت لديه دراجة ومسدس، فكان يركب دراجته وينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة ثم يطلق عليهم الرصاص وينطلق بدراجته، فقتل بعض وأصاب آخرين، وكان ذلك فى شهر أغسطس 1948، فما كان عبدالرحمن السندى إلا أن أصدر تعليمات بالبحث عمن يفعلون ذلك ومهم إلى النظام ومنعهم من أى عمل مماثل لأن النظام الخاص كان يحد من أى عمل مماثل.

بدأت أراجع جميع أعمال الإخوان والتى كانوا يعتبرونها أمجاداً لهم بعد معرفتى بعلاقات العمالة والتبعية من بعض قادة الإخوان للأجهزة الغربية الصهيونية والتى أكدها لى المرحوم الأستاذ سيد قطب من أن عبدالرحمن السندى والدكتور محمد خميس والذى كان وكيل للجمعية فى عهد الأستاذ حسن الهضيبي وأن أحد أصحاب المطابع الكبرى والذى كان أحد كبار الإخوان وكان عميلاً للمخابرات الإنجليزية.

أما تجربتى الشخصية والتى سمعتها مباشرة من صاحب الشأن وهو أننى التقيت فى عنبر بالسجن الحربى بالدكتور م.ع.ف "رئيس مكتب إدارى إحدى المحافظات الكبرى فى مصر ــ بكل ما فيها .. قال إنه كان فى نهاية الأسبوع دائماً يذهب بصحبة زوجته والتى وصفها بأنها كانت من أجمل نساء الأرض كان يذهب كل أسبوع إلى الإسماعيلية حيث يسهر مع الضباط

الإنجليز هو وزوجته، ويقضون الليل فى الرقص ولعب البريدج، وكان يقول أن الشئ الذى يتعب شباب الإخوان هو تفكيرهم الدائم فى الجهاد، وكان من السهل قيادتهم حين تحدثهم فى هذا الأمر.

هكذا نرى الضرر الفادح الذى يلحق الساذجين الذين ينتمون إلى مثل تلك التنظيمات، فهم مخلصون وقادتهم عملاء يتصرفون فيهم بلا آمان ولا رقابة ودون أى تقوى من الله الذى يبايعون الأفراد على طاعته والالتزام بأمره، فيطيع الأفراد ويضل القادة، ويستعملون الأفراد فى غير طاعة ولا خوف من الله.

وحين يتصادف ويواجههم رجل واع ميريد أني ناقش وأن يفهم من مثل ما فعلا السكرى ومن بعده مصطفى مؤمن فيكون مصيرهم الفصل من الجماعة.

وبعد فلقد هب الإخوان فجأة ـ يسابقون الزمن ويصعدوا من نشاطهم ـ فقد أقاموا بمظاهرات صغيرة، ثم مظاهرات أكبر مستغلين فيها طلبة الجامعات وهم وما يدهشنى هو هذا التحرك المفاجئ. وعلى أى شئ يرتكز وهل حساباتهم هذه المرة صحيحة أم ستكون كالمرات السابقة، يستعملون فيها مخلب قط، وتكون النتيجة أن يجنى غير ثمرة جهدهم، ويهبون هم إلى غياهب السجون حيث اعتادوا.

السؤال هو: هل هم مستعدون أن يجعلوا الكثير من شعاراتهم ومواقفهم كى ينسجموا مع المجتمع المدنى الذى يريدون أن يتعاملوا هم حسب قواعده كما أعلن الكثير من قادتهم الحاليين، فما الذى سيقولونه لقواعدهم عن الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا وهل سيتغير الخطاب الإخوانى عامة ويتوقف عن أن يكون خطاباً عدوانياً، متربصاً، ومنتهزاً الفرصة للانقضاض والانقلاب على حلفائهم، هل هم مستعدون للقبول بالدستور المدنى واحترام بنوده أم أن نبذ العنف بأشكاله وصوره

مجرد شعارات للمرحلة الحالية، ثم تعود الأمور إلى ما كانــت عليــه، هــل يدركون أن فى مصر عدداً ليس بقليل من الأقباط، أنه ينبغى طمأنتهم علــى أحوالهم خاصة ان أحد قادة الإخوان السابقين كان قد ألعن كلاماً ضد الأقباط، ثم اضطر أن يعتذر عنه وهو المرشد الأسبق مصطفى مــشهور، كــل هــذه الأمور ينبغى أن تدرس بجدية وأن يتضح الموقف من كل أمــر بوضــوح، ولعلهم يدركون الآن أنهم يتحركون وحدهم بعيداً عن باقة القوى الوطنية التى ابتعدت عنهم الواحدة تلو الأخرى لأن الأسلوب المتبع غير مقنع والموقف لا يحتمل المغامرات.

أُصبت بإحباط شديد وغضب وثورة داخلية تكاد تقتلــع قلبــى مــن مكانه، حزناً على عمرى الذى أضعته كلــه مــع هــذه الجماعــة وقــررت الانسحاب حتى قبل أن تداهمنا الاعتقالات ودخول السجن، ولكــن الأهــداف كانت أسرع وأن ما كان الانفصال داخل السجن وتبعه اضطهاد من الجماعة.

وتتالت الفتاوى فى حقى بالتكفير تارة وبالنفاق تارة أخرى، ورأيــت وعشت كيف تخرج الفتاوى من ترزية هذا النوع من الفقــه، وســاعد علــى قسوة الأمور ما صاحب الفتاوى من سمع وطاعة من أفراد الجماعة دون أن يعمل أحدهم فكره ويعترض، ثم فوجئت بعد أن انتهت المحاكمــة أن جــاءنى الأخ عباس السيسى بعرض محدد هو نسيان ما كان فــى أثنــاء المحاكمــة، نسيان الفتاوى إذا حددت موقفى من الحكومة وهو ما كان إذا كنــت أنــوى تأييدها أم لا، فأجبته أن الحق أحق أن يتبع وأننى انتهيت منهم تماماً، فــزادت جرعة المقاطعة والتشهير، ولكنهم لم يصلوا إلى الحد الذى وصــلته معملــة إخوان سنة 1954 لمن خرج عليهم وأيد الحكومة، فقد ضربوهم بشدة.

حتى بعد أن خرجت من السجن وجدتهم قد ألفوا كتباً كثيــرة تقــول عنى الكثير من التشهير، والسبب، وحين تركت لهم المنطقة كلها وذهبت إلى أمريكا وجدت التعليمات إلى الإخوان فى أمريكا قد سبقتنى إلى هناك وهكــذا

فهم يجيدون إيذاء كل من وقف معهم فترة من الزمن، إذا حدث واختلف معهم مرة فقد ساعدتهم السعودية وقطر والكويت والكثير من الدول العربيـــة، فمـــا كان منهم إلا أن أساءوا إليهم وطعنوهم وانقلبوا عليهم، كما كانوا يفعلون مـــع الأحزاب التى كانوا يتحالفون معها، فعلو كذلك مع الدول التى آوتهم وأحسنت وفادتهم.

وكما قلن كان مدرسو الإخوان فى جميع هذه البلدان يجندون الشباب ويشحنونهم ضد حكامهم وبلدانهم، حتى ينقلبوا عليهم وكلما وجـــدوا فرصـــة للانقضاض انتهزوها وكان أبرز مثال على ذلك موقفهم فى الكويـــت حـــين غزاها صدام حسين فقد وقفوا مع صدم ضد تلك الدولة، مع أنـــــــه قـــد جاءهم الكثير من التمويل من الكويت على مر الزمن، على يد قادتهم هنـــاك مثل الشيخ عبدالله العقيل الذى كان يقوم بتمويل المؤتمر الإسلامى فى أمريكا كل عام.

والغريب أن الإخوان فى العراق قد وقفوا مع أمريكان فـــى العـــراق وكان مندوبوهم متعاونين للغاية فى مواجهة محاولة السيطرة على مقـــدرات العراق داعمين جميع خطط الأمريكان التى تنف الآن، ومن التناقض أن يقف الإخوان فى مصر ضد غزو العراق .. فمن نصدق ؟ القادة المحليين أم قيادة الإخوان فى القاهرة أم أنها السياسة التى لا مبدأ لها ولا أصول إلا البحث عن المصلحة والجرى خلف السلطة. ولقد اكتوت السعودية أيـــضاً بنـــارهم الآن، فإن الذين يقومون بعمليات التفجير والقتل وإشاعة الفوضى هناك هم تلاميـــذ أساتذة الأخوان، ولقد صرح سمو الأمير نايف وزير الداخلية منذ مدة وجيزة أن وجود الإخوان بالمملكة قد أحدث أشد الضرر بالبلاد ؟

أما فى قطر آوتهم ودعمتهم ولكنها لم تكتو بنارهم بعد ولكن أنا قـــد جربت حتدهم حين ذهبت للعمل فى الدوحة فى مؤسسة المسند، وكان الـــشيخ ناصر المسند رحمه الله صديقاً عزيزاً وذهبت معه فى سنة 1981 للعمل فى

مؤسسته بعد أن أعدت من أمريكا، وكنت أننى قمت معه فى الماضى ببعض النشاط الإخواني.

وهو الأخ سليمان الشناوى فاتصلت به وجاء لمقابلتى، والترحيب بى فى قطر، ثم دعانى إلى الطعام فى بيته، ولكنه قد دس لى السم فى الطعام، وخرجت من عنده لإفراغ ما فى معدتى، وفطن زملائى أنه تسمم، فنقلونى إلى المستشفى حيث أجريت لي عملية غسيل معدة، وأخبرتهم أننى ربما قد تناولت طعاماً فاسداً ثم طلبت من الشيخ ناصر المسند أن يسمح لى بالعودة إلى مصر، وبعد إلحاح منى والرجل لا يعرف سبب إلحاحى على العودة وافق وأعادنى إلى مصر، وتلك تجربة لم أبح بها لأحد من قبل لأنهم يوزعون كتاباً يتضمن هجوماً علىَّ، لكل من حولى إمعاناً فى التشهير بي حتى إن إحداهن قد التقت ابنتى وهى عائدة من الدرس لتقرأ عليها ما كتب عنى من سب وقذف !

ومثلما فعلوا بدول الخليج فعلوا ما هو أشد بالجزائر فلقد كانت جبهة الإنقاذ تقدم نفسها للعامة وعلى أنهم دعاة الإسلام المعتدل، والتيار الوسط ولكنهم حين اختلفوا مع الحكومة ووجدوا أنهم لن يصلوا إلى هدفهم ألا وهو الحكم انقلبوا على الحكومة وعلى الشعب، وعلى الوطن وعلى جميع الناس البسطاء وبدأت رحلة القتل والنسف وإزهاق الأرواح، وتدمير اقتصاد الجزائر دون أن يهتز لهم جفن ! وقد ساهمت القيادة المصرية عن طريق أحد الدعاة الذى تولى منصب مدير الجماعة فى الجزائر وقام بتربية الكوادر التى قامت بهذا القتل والتعسف والتدمير، والغريب أن جبهة الإنقاذ هى امتداد للإخوان المسلمين فى مصر.

ولقد تميز العنف بالجزائر بنوع فريد وهو الهجوم على الناس الأبرياء وذبحهم ولا أدرى أهذا نوع جديد من الجهاد فى سبيل الله !

وبهذه المناسبة لقد انتشرت بشدة هذه الأنواع من الجهاد الجديد حيث السيارات المفخخة، والتى تقتل المارة بدون جريمة ولا ذنب وهذا ما يحـــدث فى العراق الآن كل يوم، وهو قتل العراقيين دون المساس بالمحتل وكذا فـــى السعودية، ومؤخراً فى الكويت هل قتل الناس بدون هدف أصبح هو الحل !

إنهم يستبيحون الآخرين كل من ليس فى الإخوان، حلال لهـــم دمـــه وماله، وعلى هذا الأساس كانت استباحة دم كل من خرج عليهم أو انشق عن الجماعة، ولهذا فقد قاموا باغتيال المهندس السيد فايز حين خرج عن النظـــام التابع لعبدالرحمن السندى وانضم إلى تنظيم يوسف طلعت، إنه لم يخرج مـــن أفحوان ولكنه ترك السندى إلى يوسف طلعت فصدرت تعليمات السندى بقتله، وقد تم إرسال علبة من الحلوى هدية له ولما فتحها انفجرت وقتلتـــه وقتلـــت معه أخاه الصغير الذى كان يقف بجانبه. لقد اتهم فى هذه الحادثة أحمد عادل كمال، ولكنه كان قد رتب أموره أن يثبت وجوده فـــى مكـــان آخـــر حـــين الحادث، وأننى حتى الآن لأعجب كيف استحلوا دمه وبأى منطق ولـــم أجـــد إجابة إلا أن هذا سلوك إجرامي من أفـــرزه تنظـــيم إجرامـــي التكـــوين. إن تجربتهم فى النقابات تشهد، فإن النقابات التى سيطروا عليها كان سلوكهم فيها أنانياً فلم يكن ينم عن ديمقراطية أو شفافية فكانت الوظائف حتـــى الـــصغيرة منها التى شغلها لتحقيق أهدافهم ولم نر فى المجالس امرأة قبطياً أو مناهـــضاً فى الرأى ولما حدث أخيراً أن تحالفوا مع الحزب الناصرى فمـــا لبثـــوا أن اتخلفوا معهم وانقلب التحالف إلى صراع وعدوات، ولذا فلقد بدأ نجمهم فـــى الذبول وجاءت انتخابات نقابة المحامين الأخيرة مخيبة لآمـــالهم، لأنهـــم لـــم يتعودوا على الاحتفاظ بالصداقات ولذلك فليس أمامهم الآن إلا الطريق الـــذى يجيدونه بشدة وهو طريق إحداث الفوضى فى الشارع، وهم يظنون أنهم أقدر الناس على هذا الفعل لأن لهم تجـــارب ســـابقة وتـــاريخهم الطويـــل منـــذ الأربعينيات يشهد بذلك.

حتى إن فؤاد سراج الدين حين أخرج من السجن فـي سـنة 1950 كافأوه بأن نظموا مظاهرة حاشدة وكان كل فخرهم أن الداخلية فوجئت بتلـك المظاهرة .. وهكذا يزايدون على الجميع.

لقد انفض عنهم الجميع نتيجة لسلوكهم مع الكـل .. تحـالف .. ثـم نقض العهد والطعن فى الظهر حتى إنهم استبعدوا من الحوار الوطني ومـن تجمعات الأحزاب حتى إن بعض الأحزاب قالوا لا نريد الإصلاح الـسياسي ولسنا متحمسين له الآن حتى لا يستفيد منه الإخوان، انظـر إلـى أى مـدى صارت الأمور وأن هذه الأمور التى وضعوا أنفسهم فيها جعلـتهم يحـسون بالعزلة والإهمال، وهذا شعور خطير إذا أصاب جماعة فى قـوتهم وحـسن تنظيمهم، فهم يتصرفون الآن وظهرهم إلى الحائط وليس أمامهم إلا السير فى الطريق الذى رسمه الإخوان وينفذه مركز بن خلدون، إنـه طريـق إحـداث الفوضى فهى تحقق عدة أهداف، إنها تربك الأمن وتكسر حـاجز الخـوف، وتشجع كل نائم أن يستيقظ ويهب للحركة ثم إنه قد يـشجع بعـض القـوى الشعبية التى ترفضهم على الاقتراب منهم والتعاون معهم.

لقد ورد فى النشرة التى يصدرها مركز ابن خلودن باسـم المجتمـع المدنى عدد 120 السنة العاشرة نوفمبر 2004 ورد فى كلمة المحرر شريف منصور تحت عنوان "هل بدأ العصيان المدنى ؟" تمر خطير فى ضوء عـدة متغيرات غير مسبوقة الأحزاب المصرية تتحد مع بعضها البعض فى جبهـة وفاق وطنى. مجموعة متزايدة من تكتلات الجمعيـات الأهليـة والحقوقيـة المصرية تتشكل التنسيق يتصاعد بوتيرة منتظمة بين الأحـزاب ومنظمـات المجتمع المدنى والحركة الشعبية الناشـئة للتغييـر، الإخـوان والجماعـات الإسلامية المعتدل منها والمتطرف يعلن مراجعة نقدية للـذات ويمـد بدايـة للمشاركة فى الحياة السياسية من جديد ؟ وهكذا يظهـر التنـسيق بـين ابـن

خلدون والإخوان، بل والاتفاق على خطة عمل واحدة لحساب الأمريكان، فلم يعد الأمر سراً، ولكن الأمور قد اتضحت بلا لبس أو غموض.

إنهم يزايدون على الجميع وتلك إحدى وسائلهم المشهورة، المزايدة والتصعيد وأنهم يستغلون أية بادرة حرية وبدلاً من أن يدعموه تجدهم يتسابقون لاستغلاله وهم بذلك يخيفون من يريد أن يفتح نافذة للحرية والديمقراطية وعندهم المعادلة الشهيرة للتغيير ليضعوها موضع التنفيذ.

لقد بدأوا يحركون قوى الإخوان فى كل مكان للغط لمساعدة المخطط الأمريكى بالمنطقة فإخوان سوريا الذين خرجوا من السجون بعد دفوعهم للحركة من جديد مطالبين الإدارة السورية بالإصلاح الديمقراطى، حتى وإن جاءت هذا التحرك من مجموعة إخوان سوريا الموجودين بإنجلترا إلا أنه يثير للسجون داخل سوريا أو يعيدهم للسجون مرة ثانية.

وهم قد أتتهم الفرصة للمزايدة على الجميع فى موضوع الأقصى، إنهم يطالبون بفتح باب التطوع لإنقاذ الأقصى وما أشبه الليلة بالبارحة، ففتح باب التطوع يعنى فتح معسكرات التدريب، ومعناه فتح باب التبرع لجمع المال من جديد ثم شراء السلاح ثم تخزينه لحساب الإخوان وتتكدس خزانة الإخوان بالأموال من تبرعات المسلمين من كل الدول الإسلامية يتكرر ما حدث سنة 1948 وأكثر بكثير فهذه المرة عندهم التجربة السابقة بسلبياتها وإيجابياتها، وهم هذه المرة لن يتركوا الفرصة السانحة تمر، المهم انتهاز جميع الفرص الممكنة لإحداث الفوضى وإثارة البلبلة ومن ثم النفاذ إلى هدفهم وهو إحكام السيطرة على مقدرات هذا البلد.

حدثنا التاريخ عن أن التنظيمات والحركات الباطنية الفكر والاعتقاد مثل جماعة الإخوان المسلمين بكثرة الشللية، وكثرة الدسائس والمؤتمرات بغية السيطرة والقفز على مراكز القيادة، وإحكام السيطرة على الأفراد وهم

إلى جانب تكتيكات الشلل والمؤامرات، فهم يستعملون شعارين في غاية الأهمية بغية السيطرة هما السمع والطاعة، وقد ترض هذا الطرح لكثير من النقد والهجوم على الجماعة وعلى قادتها عبر تاريخ طويل.

لذلك فقد انتهز القيادى البارز فى الجماعة، الصاعد كالصاروخ الدكتور محمد السيد حبيب النائب الأول للمرشد العام فرصة إحدى الندوات التى أقيمت مؤخراً بمركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان تحت عنوان "هل الإخوان رصيد للإصلاحيين أم خصم متهم ؟" للرد على الكثير من تساؤلات الإخوان الحاضرين فى تلك الندوة، ولكنه لم يستطيع الرد على جميع التساؤلات من خلال الندوة، فأكمل الحديث فى إحدى صحف المعارضة وكان موضوع الرد هو السمع والطاعة. وحاول تثبيت المعنى فى نفوس الإخوان وتعميقه خشية أن يتأثر تحت معاول الهجوم المتصل من الآخرين على هذا المعنى حيث قال "من بين الأسئلة التى أثبتت مسألة السمع والطاعة فى الجماعة والتى لا تعنى عند البعض ـــ ممن لا يعرفون الإخوان ـــ سوى جندية عمياء وقيادة متجبرة، المرء الذى لا يتناسب مع الظروف الحالية التى نعيشها والتطور والتقدم الذى ننشده، فضلاً عن أن ذلك يورث أفراد الجماعة فقدان الشخصية وعدم القدرة على الابتكار والإبداع والقدرة الفرصى فى إفراز عناصر متميزة يمكن أن تفيد الجميع فى الفكر والحركات والاستشراف نحو المستقبل، والحقيقة أن السمع والطاعة فى الجماعة أمر ضرورى ومهم لتحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها، والشعار الثانى المستعمل للسيطرة على الآخرين هو "دعنا نتعاون فيما نتفق عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، وسوف نتطرق للحديث عن هذا الشعار كثيراً فى الحلقات القادمة. أقول إن تلك الشلل وهذه الصراعات التى تتم بغية السيطرة على الجماعة حدثت عدة مرات من أبرزها المؤامرات التى تمت من قبل الثلاثي صلاح شادي وحسن عشماوي ومنير الدلة لتعيين حسين الهضيبي الذى أتوا به لتولى

منصب المرشد بعد اغتيال حسن البنا، وسوف أشرحه لاحقاً، أما ما يحدث الآن فلا ينبغى أن يمر دون شرح وتبيان فلقد تم تعيين المرشد الحالي الأستاذ مهدي عاكف كمرحلة انتقالية لفترة لن تزيد على سنتين أو ثلاث على الأكثر لإعطاء الفرصة لتلميع وإظهار شخص آخر وإعداده لتولى هذا المصب بعد ذلك، استبعاداً لآخرين كان يمكن أن تظهر أسماؤهم لتولى هذا المنصب هما عبدالمنعم أبو الفتوح وعصام العريان لأن المطلوب هو تلميع وإظهار وإعداد الدكتور محمد السيد حبيب النائب الأول الحالى للمرشد العام الأستاذ محمد مهدى عاكف، فهو المؤهل لتولى منصب المرشد العام بعد أن يستقيل الأستاذ عاكف حين وصوله إلى سن الثمانين، ما صر من قبل. فإنهم فى صراع مع الزمن لإعداد المرشد الجديد، فسوف يتولى بعد ذلك دون أى عناء ولا انتخابات ولا أى إجراء من الإجراءات المعادة فى مثل تلك الظروف، فسوف يتولى بسهولة بفترته الحالية كنائب أول للمرشد.

وهكذا تم تنفيذ المخطط للاستيلاء على مقدرات الجماعة بسهولة ويسر هذه المرة، وبأقل الخسائر استفادة من الدرس السابق الذى حدث مع صلاح شادى حينما أحضر الأستاذ حسن الهضيبي من خارج الجماعة، ضرباً بخصومه المرشحين لتولى منصب المرشد العام بعد اغتيال الأستاذ حسن البنا وهم الشيخ صالح عشماوى أو الشيخ الباقورى أو الشيخ محمد الغزالى، وهم على علاقة جيدة مع عدوه اللدود عبدالرحمن السندى والنظام الخاص الذى كان فى صراع مستمر مع صلاح شادى ورفاقه خاصة منير الدلة الذى كان حديث عهد بالإخوان حيث دخل فى عام 1947 وقد وصف دخوله الجماعة وقتها أنه إدخال للكاديلاك والارستقراطية إلى قلب الحركة ، وكان الدلة قد ساهم بالكثير من ثروته كأحد كبار ملاك الوجه القبلى، وكان لهذه الأسباب مسموع الصوت فى اختيار حسن الهضيبي من خارج الجماعة رغم أنه ليس عضواً فى مكتب الإرشاد، ولا حتى فى الهيئة التأسيسية وكأن

من اختاروه يظنون أنه سيكون واجهة لهم يوجهونه كيف يشاءون، وقد عمل صلاح شادى الذى كان شديد التسلط والدكتاتورية على تصفية خصومه من أعضاء التنظيم الخاص، فقد استغلوا كراهية حسن الهضيبي للعنف والقتل، وصوروا له هؤلاء الخصوم على أنهم قتلة وسفاحون، حتى إنه رفض أن يقابل مجموعة من المفرج عنهم، وأن تلتقط معهم صورة تذكارية، فقال أنا لا أقابل القتلة وكان لهذا التصريح عمل السحر فى تحفيز أعضاء النظام الخاص ضد الهضيبي.

وكان من نتيجة ذلك وتمرد رجال السندى على القيادة الجديدة أن تم فصل السدى ومعه أحمد عادل كمال، أحمد زكى ومحمود الصباغ وهم يمثلون قيادة النظام الخاص.

وقام أتباعهم بعد ذلك باحتلال المركز العام، ووصل الأمر إلى حد ذهاب بعضهم إلى منزل الهضيبي وقيام بعضهم بوضع المسدس فى رأسه ليجبره على إلغاء قرار الفصل، إلا أن حسن الهضيبي كان أكثر صلابة مما تصور الجميع وقام بفصل مجموعة أخرى حوالى ستين عضواً كان أبرزهم الشيخ محمد الغزالي والشيخ سيد سابق والشيخ يوسف القرضاوى وغيرهم.

هكذا كانت المؤامرات التى دبرت للقفز على قيادة الجماعة وما أتت به من آثار سيئة كان أخرها دخول الإخوان إلى السجن.

فهل تنجو الجماعة هذه المرة من الآثار السلبية التى قد تحدث من جراء القفز على قيادة الجماعة، خاصة أن الدكتور حبيب لا يترك فرصة حتى يصحح للمرشد أقواله، ويرجع تصريحاته إلا أنهم قد أخذوا على غرة حين سئلوا لأول مرة عن المفاوضات مع الأمريكان، فقد صرح عاكف أولاً بأنه مرح بكل من يريد أن يتفاوض معهم ولكن الدكتور حبيب وغيره قاموا بتصحيح أقوال عاكف، وكانت كلها ردوداً غير مدروسة إلى أن عثروا فيما بينهم على الإجابة المثلى وهى أنهم إذا أراد الأمريكان أو الأوربيين أن

يتفاوضوا معهم فلن يحدث ذلك إلا إذا أتى عن طريق وزارة الخارجية وهذا القول فيه الكثير من الخداع والمغالطة وهو قول مردود عليه لأنه من المعروف للجميع أن الأمريكان حين يفاوضون جمعيات أهلية فإنهم يرسلون أفراداً من خارج السلطة أو من الاستخبارات.

يا ترى هل ستنجح القيادة الحالية فى تفادى السلبيات التى حدثت سنة 1954 أم أن التاريخ سيعيد نفسه وتحدث مشاكل وانقسامات داخل الجماعة، وإذا حدث داخل الجماعة، وحيث حدث وتفادت القيادة الجديدة المشاكل المفترضة فإننى ألمح نفس الأخطاء السياسية التى حدثت سنة 1954 فقد تميزت تلك الفترة بنوعية معينة من التصعيد السياسي فى الصدام مع الحكومة، فإن نفس الخطوات قد بدأت الآن، المظاهرات ومحاولة التحالف مع القوى المعارضة والتصاعد بالأحداث حتى تصل إلى حد العصيان المدنى، ولكن هذه المرة فهناك الدعم الخارجى الواضح والذى يدفع أية فئة على مدى التاريخ بالعمالة والتعاون مع القوى الخارجية ضد الشرعية، ولست تلك التحركات وهل هى محسوبة جيداً أم سيكون المصير هو نفس المصير ؟!

أرجو ألا يتورطوا فى أخطاء تضاف إلى أخطائهم وتدمغهم مدى الحياة أن مكتب الإرشاد الحالى مطعم بمجموعة من الشباب إلى جانب الحرس القديم، وما كنت أتصور أن ينظم إلى مكتب الإرشاد مجموعة من فضيلة سنة 1965 منهم الدكتور محمود عزت إبراهيم والشيخ محمد الخطيب إلى جانب بعض رؤساء المناطق مثل السيد نزيلي محمد وغيره، وأذكر أن الأستاذ صلاح شادى حين أبلغ فى سنة 1965 بوجود هذا التنظيم غضب وأصدر أوامره إلى المهندس مراد الزيات أن يبلغ البوليس عن هذا التنظيم !!

إلى هذا الحد كان القرار غير مستند إلى شرع أو عقل ولكن إلى الهوى الشخصى فكان المهم فى نظرهم الطاعة والاستئذان أولاً وإلا إبلاغ

البوليس، لقد حدثت من قبل محاولات عدة للإنقلاب على الأستاذ البنا نفــسه وهو مؤسس الجماعة، ولكنها جميعاً باءت بالفشل وأدت إلى فصل أصــحابها كما حدث مع أحمد السكرى فى أولى مراحل قيام الجماعة حيث كان السكرى يطمع فى قيادة الجماعة ووصل الأمر إلى فصله من الجماعة وكذلك انفصال مجموعة شباب محمد الذين كانوا على علاقة بالأستاذ محمود شــكرى وهــو عالم إسلامي جليل، فكان يدرس لهم الإسلام من جديد وكان يقول لهم حــين يلقاهم أخلعوا الأفكار التى عملها لكم البنا مع أحذيتكم خارج المنــزل. وبعــد فلقد تمرد عليه مصطفى مؤمن حتى أدى الأمر فى النهاية إلى فصله، وهكــذا فإن الطبيعة البشرية غلابة مهما قيل من أسباب فإن الصحابة قد اختلفوا، بــل اقتتلوا، ولن يكون الإخوان أحسن من ذلك فهذا تاريخهم مملــوء بالعلامــات الواضحة التى تؤرخ للخلافات الشديدة والبأس بين الأفراد، حتى وإن أدعــوا غير ذلك وحاولوا الظهور بالملائكية، فإن الحقيقة تظهر دائماً صارخة للعيان وأنا فى انتظار نتيجة الأوضاع سواء داخل الجماعة، أم فى صــراعهم مــع النظام، فلقد هدد نائب المرشد الحالى والمرشد المتوقع بتنظيم مظاهر كبــرى تتكون من عشرات الآلاف وهو فى طريق التصعيد وزيادة الضغط المــستمر على الحكومة حتى يصل إلى تحقيق ما يريد، وهو بذلك يجر الآلاف المؤلفة من شباب الإخوان باسم السمع والطاعة لي حيث يريد، فيــا ليــتهم يعلمــون فكرهم وعقولهم ويضيفون إلى مبدأ السمع والطاعة كلمة أخــرى وهــى أن تصبح السمع والطاعة والمبصرة بدلاً من أن تكون عمياء.

إن من يتصدى لحكم بالإسلام عليه أولاً أن يعى أن الحكم الإســلامى كان نتاج مجتمع مسلم تربى لمدة 23 سنة على القرآن يــستوعب أيــة بعــد الأخرى، وكان نزول القرآن بهذه الصورة مقصوداً مــن الحــق ــ تبــارك وتعالى ــ لتربية الأفراد من المسلمين رجالاً ونساءً، حيث قال تبارك وتعالى (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً" .. وهكذا ترى أن

الفرق كان مقصوداً وأن المكث كان مقصوداً، وذلك لتربية أجيال المسلمين حضرت هذه المرحلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه الأمة التى ترتب على هذا الشكل من أبرز صفاتها أنهم مجبولون على الخير والالتزام ومراعاة حقوق الآخرين، دون تذكير أو جهد كبير فى التوجيه والحكم ولذلك أقول أن قيام حكم إسلامى يلزم له أمران.

شعب نربى على الإسلام، ثم أحكام شرعية ولهذا كان حكم الخلفاء الراشدين إلى جانب حكم عمر بن عبدالعزيز هو أقرب الحكومات إلى الإسلام.

وأن هذا الأمر لن يتكرر كثيراً لأن شروطه صعب وواجبات الحاكم فيها أصعب، وبرغم ذلك فإن حكم الراشدين قد تخللته فتن ودسائس لم يكن لها أن تحدث فى عهد الصحابة، فما حدث فى عهد عثمان، وما حدث فى عهد على من فتن يوقف الإنسان أمام فتن من الصعب التغلب عليها لأن الانقسامات والدسائس، والمؤامرات إن حدثت فى الصفوف فالنتيجة هى الانهيار والتشرذم، وهذا ما حدث تاريخاً مما يجعلنى فى قناعة مرة ثانية أن الحكم الإسلامى كما أفهمه لن يعود ثانية لأنه أقرب إلى مجتمع الملائكة منه إلى بنى البشر ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن الحدود قد أقيمت مرات قليلة جداً فى هذه الحكومات، لأن الناس لا يفعلون المعصية إلا لماماً، ولكنهم قد أتوا من الفرقة والانقسامات التى يجد فيها المرجفون والمتربصون الفرصة السانحة للنفخ فى النار سواء كانوا من ضعاف النفوس من المسلمين أم كانوا من فئات أخرى يزعجهم قيادة الإسلام ونجاح المسلمين على هذا النحو.

ولقد ظلم الإخوان أنفسهم، وظلموا المسلمين والإسلام حيث تصدوا لهذا الأمر وهم يعلمون من تاريخهم الملئ بالانقسامات والفتن والدسائس ما تضيق له الصدور، فلو تتبعنا الفتنة التى حصلت بينهم من أول مؤامرة تعيين الأستاذ حسن الهضيبي من قبل مجموعة أرادت أن تقوم بانقلاب داخل

الجماعة، وقد تم لهم ما أرادوا، حيث جمع الأستاذ منيــر الدلــة المجموعــة المرشحة لتولى قيادة الجماعة بعد وفاة الأستاذ البنا وهم صــالح عــشماوى والشيخ الباقورى والأستاذ جمال البنا والأستاذ عبدالحكيم عابدين والذى كانت عليه بعض التهم الشخصية التى تجعله غير مؤهل لهذا المنــصب، وفــاتحهم الأستاذ منير الدلة بأنه من المطلوب اختيار مرشد خلفــاً للمرشــد الراحــل، ولكنهم تعففوا جميعاً، فهم جميعاً راغبون فى المنصب إلا أنهم وكلهــم كــذلك يريدون أن يختارهم الآخرون لأن طالب الولاية لا يولى، واســتغل الأســتاذ منير تلك الحالة وفاجأهم بعرض اسم الأستاذ الهضيبي، ولم يكن معروفاً بين الإخوان، ولكنهم لم يعترضوا حياءً مع الاحتفاظ بالضغينة فى داخلهم، ونتيجة لهذا السلوك العجيب الذى يعتبر الصراحة، ولكنهم يريدون للأمور أن تــأتى لهم، ولكن بطريق ملتو وغير صريح، وقد تمت الموافقة على اسم الهضيبي، وأخذت موافقة الهيئة التأسيسية بالتمرير، وكان هذا أول نجاح يحرزه صلاح شادى فى صراع مع السندى حيث لم يكن يحبه وكانت المنافسة بينهما كبيرة حتى أن صلاح شادى قد أنشأ له جهازاً سرياً خاصاً بــه ســمى مجموعــة وحدات تولى الأستاذ الهضيبي القيادة وأحاط نفسه بمجموعته المكونــة مــن صلاح شادى ومنير الدلة وحسن عشماوى وعبدالقادر حلمى وغيرهم، ولمــا خرج إخوان السيارة الجيب من السجون، ودعى الأستاذ الهضيبي للقاء هؤلاء قولته الشهيرة : أنا لا أقابل المجرمين والقتلة، وكان لهذا التصريح عمل النار فى الهشيم بين أفراد النظام الخاص، وبدأت حركة غير طبيعية بــين هــؤلاء الإخوان، وكان قد تم تعيين السيد فايز رئيساً للنظام فى غياب السندى ولمــا بلغ السندى أن السيد فايز قد وضع ولاءه للمرشد الجديد اشتاط غضباً، وكان شخصية دكتاتورية لا يجب أن ينازعه أحد أو ينافسه أحد، وكان يقضى على جميع منافسيه حتى لا يكون على الساحة غيره، فأرسل للسيد فايز من يقتلــه فأرسلت له علبة حلوى فى منزله انفجرت حين فتحها، وكــان هــذا نــذيراً

للهضيبي أن المجموعة لن تتركه، ولكنه كان صلباً عنيداً جداً، فأصدر قراراً بفصل الأربعة رؤساء النظام عبدالرحمن السندي وأحمد زكي وأحمد عـادل ومحمود الصباغ، ثم تلاها بكشف آخر به حوالى ستين من القيادات الموالية للسندى منهم الشيخ الغزالي والسيد سابق ويوسف القرضاوي وغيـرهم مـن المناوئين، ترتب على ذلك اجتماعات من طرف مجموعـة السندى لخلـع الهضيبي. وفى نفس الوقت كان أفراد القيادة السابقة للنظام يتخوفون على ما لديهم من أسرار، فذهب أحمد عادل كمال إلى أحد مرؤوسيه وكان مسئولاً عن النظام فى شبرا وهو الأخ سيد عبده وترك عنده شنطة وجد بها جوازات سفر مصرية بدون أسماء وتقارير لمخابرات الإخوان عن حركـة الجـيش، وتحركات الجيش وتحركات السفارتين الأمريكية والبريطانية وتقـارير عـن تحركات الشيوعيين، وهكذا ترى كيف يفكر وماذا يبحثونه، وبعـدها عمـل أحمد عادل على تجميع مجموعة من الإخوان للذهاب عن أسباب الفصل، فإذا لم يجب إجابة واضحة طالبوه بالاستقالة، ثم تذهب مجموعـة أخـرى إلـى المركز العام للاعتصام هناك ومحاولة اختيار مرشد جديد، وكان من هـؤلاء صالح عشماوى ومحمد الغزالى وعبدالعزيز جـلال وسـيد سـابق، وكـان المفروض أن يختاروا صالح عشماوى مرشداً جديداً ذهب إلى منزل المرشد حوالى عشرين من شباب النظام الخاص من بينهم على صديق وفتحى البوز ومحمود زينهم وعلى المنوفى اتفقوا لأنه أكثرهم هدوءاً، زيادة أم مظاهرة ؟! فقالوا : زيادة ثم بدأ على المنوفى بالكلام فقال: جئنا نسألك عن فـصل قـادة النظام، ثم قال محمد حلمى فرغل نحن لم نحضر للسؤال، ولكننا فقط تعبنـا منك لأنك لا تعرف كيف تقود الجماعة ونحن نطالبك بالاستقالة، فلمـا هـم بتركهم والخروج من الغرفة تصدى له محمد أحمد ــ وكان سكرتير السندى ــ وفتحى البوز ومنعاه من الدخول وخلعا سماعة الهاتف فحاول الخروج من الباب المطل على السلم فلحق به على صديق ومحمود زينهم وقـام محمـود

زينهم بحمله وإعادته للغرفة، وهكذا تعاملوا مع الرجل الــذى كــان رمــزاً للجماعة ومرشداً لها، أردت أن أروى هذا المشهد بالتفــصيل حتــى يــرى القارئ وفى تسوية أمورهم مع بعضهم البعض، فكيف يكون أخلاقهــم مــع الآخرين، وكيف هم إن حكموا، وما الذى يفعلونه مع الناس وهم حكام، إنــه الدم والظلم والاستبداد باسم الله !

ثم تم احتلال المركز العام بقيادة النظام والاعتــصام بداخلــه حتــى يستقيل المرشد، وأدعى بعض أن الشيخ سيد ســابق ذهــب لمقابلــة جمــال عبدالناصر، وقد عاد من عنده ليخبر الجميع أن جمال يؤيد الانقــلاب علــى الهضيبي وأنه لن يتدخل فى الأمر، كذلك ذهب سعيد رمضان مكلفاً من قبــل المرشد لمقابلة صلاح سالم وزير الإرشاد يطلب منه عدم نشر هذه الأحــداث فى الصحف، وقد وافق صلاح سالم إلا أن عبدالناصر تنشر ما تــشاء، وقــد ذكر أحمد أبو الفتوح أن جمال عبدالناصر سمح له بالنشر، والمهم فــى هــذه الملحمة التى شارك فيها المرشد ورجاله وصلاح شادى ورجاله، والــسندى ورجاله، وكلهم كان يخاطب جموع الإخوان عن السمع والطاعة حتى انتهــى احتلال المركز العام بقيام المجموعات التابعة للأستاذ صلاح شادى بــدخول المركز العام وطرد المتمردين منه وانتهت الأزمة ونجح صلاح شــادى فــى تدعيم مركزه داخل الجماعة عن طريق المرشد الذى اختاروه، إنى حين أقرأ تاريخ الإخوان أشعر بالفزع حين يتحدثون عن العمل بالــسياسة أو تكــوين حزب سياسي، ولهذه الأسباب أولها أن هذا تاريخهم مع بعــضهم الــبعض، ثانيها أن فكرهم السياسي ضحل جداً، ورؤيتهم السياسية قصيرة النظر وثالثها أنهم ليس لديهم الفكر والدراسات اللازمة للعمل السلطوي فهم ليــسوا رجــال سلطة لأنهم حالمون وورومانسيون أكثر منهم عمليون والنجاح فى الحكم غير النجاح فى قيادة جماعة، هذا إن كانوا يريدون أن يعــدلوا بــين النــاس وأن يخدموا الناس. وقد كان فى صدر الإسلام رجال طيبون عابدون ولكنهم لــم

ينجحوا حكاماً، ومن هؤلاء سيدنا عثمان بن عفان والذى كان صحابياً كبير القلب، ولكنه لم يكن حازماً، وقام بأخطاء أخذت عليه حتى اجترأوا عليه وأن بعض الصحابة فى المدينة كتبوا لزملائهم فى البلاد الأخرى أن عودوا فالجهاد هما قد الخليفة.

وقام عثمان يقول للناس: "ألا فقد عبتم على بما أقررتم لابن الخطاب بمثله" وهكذا فالأمر يتعلق بشخص الحاكم وكيف يتحرى الصواب فقد أخطأ عثمان فى تولية أقربائه الولايات وأطلق أيديهم فى بعض الأمور التى عابها عليهم الناس، فأين الإخوان من صاحب رسول الله صلى الله عليهم وسلم ؟ وصهره؟ ! قد قام على المسلمون وثاروا ضده فهل يعتقدون أنهم سوف يكونون منارة أصلح للإسلام من بعض الصحابة، إن الحكم الإسلامى قد انتهى بعد عمر ابن عبدالعزيز وما بقى كان حكم مسلمين وليس حكماً إسلامياً، وحكم المسلمين مرهون بالدساتير التى تحكمهم وبالأساليب التى تثبت ملكهم سواء كانت مع الحق والعدل أم كانت غير ذلك لأهواء شخصية، وهم وما يتوجهون فالحاكم يصلح بصلاح خلق كثير ويشقى بفساده خلق كثير، ولله عاقبة الأمور.

إن من يشرف على منظمة سرية مسلحة يعيش فى قلق دائم لأن السيطرة على الأفراد ألا يقوموا بأعمال عشوائية نتيجة للشحن المتواصل للأفراد مما يجعلهم متوترين يريدون أن يقوموا بأعمال، أى أعمال لوضع تدريبهم موضع الاختبار، وكان ذلك ظاهراً جلياً فى عملية مقتل الخازندا التى قام بها محمود زينهم حيث قام بقتل الرجل لأنه حكم بأحكام قاسية على بعض أفراد الإخوان. وسمع تعليق حسن البنا على ذلك بأن الرجل يستحق القتل لما قام بإصداره من أحكام .. ولما سمع محمود زينهم هذا القول اعتبرها فتوى لإهدار دم الرجل فقام مع زميل له بمراقبته وقتله، ولكن حسن البنا اعتبر ذلك خارجاً على النظام العام للجماع، وقام بمحاسبة المسئولين

عنه مدعياً أنه فوجئ بالأمر، أن الأحوال تكاد تخرج عن السيطرة، وتباكت قيادات النظام الخاص على ما فعل زينهم وزميله مدعين أن ذلك خطأ كبير وأن مثل تلك الأعمال ينبغى أن تصدر بها فتوى من هيئة الفتوى الخاصة بالنظام وكانت تلك الهيئة مكونة من اثنين من مشايخ الأزهر التابعين للإخوان.

إن فى رقبتهم الكثير من الدماء التى سالت فى عمليات مماثلة من نسف منشآت، وقتل أفراد بناءً على فتوى الشيخين، والفتاوى أمر خطير فى أزماننا هذه أحالت حياة الناس إلى ما يشبه الجحيم فالقتل بفتوى والخروج على النظام العام يتم بفتوى على النظام العام يتم بفتوى، ومقاومة أولى الأمر كانت بفتوى، ولبس الحجاب وكذلك النقاب كان بفتاوى من كل حدب وصوب، حتى أصبحت أحوال الناس غير مستقرة حيث تدخلت الفتوى بعد ذلك فى كل كبيرة وصغيرة، والله يعلم أن أغلب الفتاوى خطأ وظلم للناس والدين معاً، لأن كل من هب ودب قد تصدى للفتوى وكل من قرأ كتاباً أو تعلم حديثاً قد أفتى بغير ما يعلم، حتى أصبح الإسلام متهماً بالتخلف والرجعية والعنف، وبعض تلك الفتاوى أخذت عن أعلام مثل الشيخ "ابن تيمية" وهو منها براء، وأن كثيراً من المنظمات المتطرفة أخذت الإمام ابن تيمية مرجعهم ومفتيهم فى المسائل الفقهية، حتى إن الإخوان المسلمين أيضاً يعتبرونه كذلك، فإنهم يدرسون كتبه وكتب تلاميذه مثل القيم تدرس داخل الجماعة.

إن ابن تيمية إمام مجتهد ــ فقيه ومحدث ــ غزير العلم قوى الشخصية عنيد فى إصرار على آرائه، ولعل ذلك راجع على أصله الكردى فهو ذو طبيعة خاصة، ولقد نشأ وعاصر فترة من أشد وأحرج أوقات فى تاريخ العالم الإسلامي فترة اجتياح التتار لديار الإسلام فى عصره وما

صاحبها من ضعف بعض المسلمين وانقيادهم وانبهارهم بقوة التتار حتى ساروا فى ركابهم وما لأوهم على بنى جلدتهم من المسلمين !

وكان الجهاد فى تلك الظروف هو القيمة الإسلامية العليا، وترتبت على ذلك مواقف وأحكام كثيرة، وإن الباحث ينبغى له أن يتوخى الأسلوب العلمى فى البحث ولا يتتبع الغريب من الأحداث والشاذ من الآراء لإثبات وجهة نظره، فهذا خلط للأمور ومجافأة للحقيقة، وخطأ فى القياس بين الأمور المتشابهة، لقد كثرت فى أزماننا الفرق الإسلامية كما كثرت فى زمن ابن تيمية، وكلها يعمل لإثبات وجهة نظره والآراء التى تثبت وتؤيد فكره وتشمن له السيطرة على الأتباع، وهم فى سبيلهم إلى ذلك قد وقعوا فى عدة أخطاء منها أنهم جعلوا بعض السنن فى مرتبة الواجبات ونزلوا ببعض الواجبات إلى مرتبة السنن، وتجاهلوا بعض التكاليف الأخرى ولم يفكروا فيها أصلاً، قال الإخوان المسلمون أنهم بعثوا فكرة الجهاد مرة أخرى، وقالت فرقة أخرى أنها أصبحت فريضة غائبة، ولم يجدوا وسيلة للجهاد فى أبوابه الثابتة، فأفتوا بخروج المسلمين من دينهم وكفروهم، ثم انقضوا عليهم يستحلون أرواحهم وأعراضهم وأموالهم وبدأوا يشنون عليهم حرباً لا هوادة فيها مدعين أن هذا جهاد فى سبيل الله، ثم يقولون أن ابن تيمية فعل ذلك مع التتار، حيث حاربهم وفيهم من يقول "لا إله إلا الله"، أى خلط للأحداث هذا وأى ظلم لهذا يقع فيه مسلم ويترتب عليه قتل أرواح المسلمين وسلب أموالهم، إن ابن تيمية برئ من ذلك ولو شهد تلك الأحداث لقاتل القائمين بها وقتلهم .. إن شيخ الإسلام لم يقاتل التتار بعد أن أسلم عدد كبير منهم على أنهم كفار.

ولكنه قاتلهم لأنهم بغاة أغاروا على ديار الإسلام، ولم يراعوا حرماتهم وهم شرعاً مثلهم كأية فئة مسلمة أغارت على فئة مسلمة أخرى، ولقد خرجت فئة من قبل على سيدنا على فقاتلهم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج قوم فى أخر الزمان، أحداث الأسنان

سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ولا يجاوز إيمـــانهم حنـــاجرهم، يؤمقون من الدين كما يمزق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فـــإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة، على ذلك يكون الخروج على المسلمين أو القبض عليهم وقتالهم موجباً لتحقيق تلك الصفات، وأوجب على المـــسلمين قتال تلك الفئة الباغية حتى تفئ إلـــى أمـــر الله، ولا تقـــول أن المجتمعـــات الإسلامية فى تلك الحقبة وارتكاب الكبائر وفساد بعض الحكام، كلا فلقد كانت مثل تلك السلبيات موجودة، ولكنها لم توجب تكفير المجتمع، ولا تكفير الحاكم أو الخروج عليه، والصبر على الحاكم الجائر أولى من الخروج عليه، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من واجبات الحاكم حسب نـــص فتـــوى ابـــن تيمية، والذى بلبل الفرق الإسلامية الحديثة والتى تنجو منحى الخـــوارج فـــى فقه ابن تيمية أنه يكون مجموعة من الشباب من حوله يقومون بعمـــل الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع، وكان هؤلاء القوم خير عون لـــه فى حرب التتار الذين يغيرون على دمشق من آن لآخر، تصور لـــبعض أن يتمثلوا هذه الفئة فى مجتمعاتهم وأعطوا لأنفسهم الكثير مـــن الحقـــوق علـــى المجتمع وحتى على الحاكم واستعلوا على الناس بعباداتهم وأعطوا لأنفـــسهم من الحقوق الربانية على الخلق وعلى الأمة ما لم يعطها لهم أحد، وهكذا فعل الإخوان المسلمون وبعض الفرق الإسلامية الحديثة التى يـــزد الأمـــر حـــين يستفحل أمر بعض الأمراء فى الطغيان على تقديم النـــصح لـــه أو شـــكايته للوالى، أما الخروج على الحكام أو مزاولة الأمر بالمعروف والنهـــى عـــن المنكر دون رأى الحاكم فهذا مر لم يوافق عليه ابن تيمية، ولم يقره، وكـــذلك باقى الأئمة الأربعة والخروج على الحكام غير موجود إلا فى فقه الخـــوارج والأزارفة، وخلافهم من الفئات التى خرجت على المجتمـــع، وهـــو أيـــضاً موجود فى فقه الإخوان المسلمين حيث أقر الأستاذ عبدالقادر عودة فى كتابه

التشريع الجنائي فى الإسلام الخروج على الحكام بحجة أن ذلك يمنع حـــدوث فتنة فى الدين، وكذلك قالت الخوارج.

وينبغى أن نذكر هنا أن أتباع الشيخ لم يقوموا بعقـــاب أحـــد يفعـــل المعصية، ولكنهم كانوا يقبضون عليه ويسلمونه للشرطة أو للقاضـــى، وهـــو الذى يقيم يحق له عقاب أهل الجنايات وقهر الناس على إلزام الجادة، إتبـــاع حكم الشريعة وأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـــر، ولا يـــتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه الله من الجهاد والعـــدل، وإقامـــة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم وإقامة الأعيـــاد، ونـــصر المظلـــوم وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة، لهذا روى "أن السلطان ظل الله فى أرض" ويقال "ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بـــلا ســـلطان" وهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون : "لو كانت لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان "وهو يعنى السلطان بـــرأ كـــان أو فاجراً".

ومن ما يتبين سابقاً بلا أدنى شك إن إقامة الأمر بالمعروف والنهـــى عن المنكر لابد أن تتم بيد الحاكم أو يأمره ساء فى فقه وعمل ابن تيميـــة أو باقى الأئمة الأربعة له، وحين سار مع حماس أتباعه من الشباب وخالف تلك القاعدة عاد إلى الصواب مرة أخرى وتاب عما فعل وبين لأتباعه من الشباب ما كان من خطأ، وهذا مسلك كبار النفوس، والعودة إلى الحق لأن الحق أحق أن يتبع أما عكس ذلك من أقوام يسيرون فى الخطأ وإذا ذكرتهم ونـــصحتهم، وأخذتهم العزة بالإثم، فهذا مسلك الأقزام والضعفاء.

وكذلك قرر ابن تيمية أن الصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه، لما فى ذلك من منع للفتنة التى تنتج من الخروج عليه، وتلك للأبريـــاء وكلا الأمرين مكروه، ولكن أقوى المكروهين ــ أى الفتنة والقتـــل ــ أولـــى بالترك، وقد كان الشيخ حريصاً على علاقات جيدة مع أولى الأمر مع عـــدم

التفريط فى جانب الله أو حقوق الناس، وقد أفادته كثيراً من تلك العلاقات الطيبة مع أولى الأمر فى إسداء النصح لهم فهذا أمر شرعي.

تقديم النصح للحكام ومن فى مستواهم هكذا كان الشيخ لم يكفر المجتمع ولم يخرج على حاكم، وفى الوقت نفسه لم يسكت على باطل ولا دهان فئة من فئات الإفساد والضلال داخل المجتمع، ولكن فى حدود الأصول الشرعية والتزام الأصول الشرعية صعب وهو مثل إتباع القانون فى أيامنا الحاضرة، وليس ذلك ميسراً لكثير من عامة المسلمين وقتل البرهان، انغلقت العقول وتحركت الجوارح، وكان هذا سبباً إلى سلوك مسلك الإرهاب والخروج على القانون وكسر أمن المجتمع وكان الإخوان ممن وقعوا فى تكفير المجتمع رغم أنهم ينكرون ذلك. فقد حدث الإعلان عن التفكير وهم فى سجن الواحات، فقد وقف الشيخ أحمد شريف، وقد كان عضو مكتب إرشاد ورئيس مكتب إدارى أسيوط، حيث وقف يخطب الجمعة وقال: "نحن جماعة المسلمين، فمن خرج علينا فقد خلع طريقة الإسلام من عنقه "قال هذه الكلمات القصيرة والقاطعة لتتضح أهم وأخطر القضايا التى يخل فيها الإخوان فيما بينهم.

نواياهم عدوانية من البداية وهدفهم هجومى لا يحمل قدراً من الدبلوماسية الديمقراطية، فكيف يلتزم بإدعاءاتهم مع الناس ؟!

وهل سيعلنون تبرؤهم من أقوال "حسن البنا" وتعاليمه ويخلعون عنهم الماضى تماشياً مع ما ينشرونه الآن من برامج ذات توجه جديد ؟!

لما تم تأسيس جماعة "الإخوان المسلمين فى الإسماعيلية سنة 1928 على يد المرشد الأول للجماعة الشيخ حسن البنا، كانت طريقة تأسيسها من أول يوم قائمة على الخطاب الهجومي، وتستطيع أن تقول الخطاب العدواني، فلم تكن حركة سليمة منذ البداية، بل تزامن مع إنشاء الجماعة بشكلها العام

إنشاء بالجهاز السرى للجماعة أى النظام الخاص كما يسميه الإخوان، وكانت الخطة هى احتواء الأفراد الذين يقتربون من الجماعة دون النظر إلى انتمائهم أو قدراتهم، المهم هو تجميع أكبر عدد ممكن من الناس.

لكن فى نفس اللحظة كانت هناك الجهات السرية بقيادة الشيخ صـالح عشماوى يختلطون بالجماهير ويصفونهم ويضعون الـصالح مـنهم للعمـل السرى والعسكرى تحت الاختبار مدة ستة أشهر دون أن يدرى، ثم يقتربـون منه ويعرضون عليه الانضباط داخل النظام الخاص ويعرفونه أن هـذا هـو طريق الإخوان العاملين الذين سوف تعتمد عليهم الجماعة فى حركتها، ومنـذ ذلك الحين تتم له البيعة على المصحف والمسدس، ويـصبح مـن الإخـوان العاملين، وكان شعار الجهاد والموت فى سبيل الله تستوى الأفراد، ولم يكـن واضحاً عند الأفراد وقتها الجهاد ضد الموت على يد مـن وكـان الـبعض يفترض أن المقصود هو الجهاد ضد الإنجليز المحتلين، وكانت تلك الشعارات البراقة تستهوى الكثير من الشباب، خاصة من خلال المؤتمرات كان ينظمهـا المرشد ويخطب فيها، وفى كل مؤتمر كان العدد يزيد والجموع تقترب مـن الجماعة، وكان أشدهم منافسة للإخوان فى هذا الوقت هو حزب الوفد وحزب مصر الفتاة، وفى مرحلة من المراحل قامـت الأحـزاب الثلاثـة بتكـوين ميليشيات لإدارة الصراع فيما بينهم، وكان الجميع يخـافون قـوة الإخـوان المتنامية، والتى لا تسلك السبيل المدنى فى الصراع، بل الأسلوب الهجـومي والتصادمي باستمرار سواء فى الحديث أو فـى الحركـة، فكانـت بعـض الجماهير لا تعتمد على حشد الجماهير فقط، ولكن كانت تقوم بتفجير بعـض القنابل حرصاً على إظهار القوة والجبروت حتـى وصـلت الجماعـة إلـى المؤتمر الخامس الذى أوضح فيها المرشد الشيخ البنا وأهدافه واضحة جليـة، ولكن للأسف لم يكن هناك الكثيرون ممن يقرأون تلك المقاصد والأهداف فقد أعلن فى المؤتمر الخاص قائلاً :

"فى الوقت الذى يكون فيه منكم ــ معشر المسلمين ــ ثلاثمائة كتيبــة قد جهزت نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافــة، وجــسمياً بالتدريب والرياضة .. فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجاج البحار، واقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإننى فاعــل إن شــاء الله".

هذا القول كان فى حوالى السنة العاشرة منذ تأسيس الجماعــة، كمــا ترى أن فى هذا التصريح الكثير من النوايا العلانية، ومن الواضح أنهــا لــم تكن ضد الاستعمار كما يودعون، ولكن كان هذا التهديد للحكومات والهيئــات وكل من يختلف مع الأخوان فى الرأى أو الفكر أو الاتجاه، فهو يوجه للجميع التهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولكــن حــين تكتمــل لــه الأعــداد المطلوبة، وهو كما حدد ثلاثمائة كتيبة، وهذا يعنى أثنــى عــشر ألفــاً مــن الأفراد، وأنه يستند فى ذلك إلى حديث يقول "لا يغلب أثنى عشر ألفاً من قلة" وهكذا فإن الهدف هو هدف هجومي، وليس فيه أى قدر من الدبلوماســية أو الديمقراطية، فالجماعة لا تعرف هذا المعنى فى داخلها فكيف تلتزم بعد مــع الناس، طبعاً الحديث فى مناقشة أى قول للأستاذ البنــا غيــر مــسموح بــه الجماعة، فهو كما يقولون "تابو" لا يمكن الاقتراب منه أو مناقــشته ولكننــى أفتح هذا الملف اليوم وأعرف أنه سوف يغضب الكثيرين ولكن آن الأوان أن نناقش كل الأمور، وأن نفتح جميع الملفات، لأن هذا ســوف يتوقــف عليــه الكثير من النتائج إننى عليه مكانة الأستاذ البنا، وتوجيهاته بين الإخوان فهــم ينزلونه منزلة تقترب من منزلة الأنبياء حتى إنه حــين دب الخــلاف بــين الإخوان وهم فى السجون وكانت خطة الأستاذ سيد قطب وأفكاره قد بــدأت تنتشر بشدة بين الإخوان فى السجون، ولما انقسم الإخوان على قسمين طالب المعترضون أن يتم الاحتكام إلى أقوال الشيخ حسن البنا لحسم الخلاف، ولــم يقل أحدهم لنحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، بل كان الاحتكام إلى أحاديــث

البنا المرشد العام ومؤسس الجماعة التى كما قلت أسست على بنـــاء جـــيش وليس أفراداً مدنيين وكانت التوجيهات كلها تتسم بالطابع العسكري الهجومي، وإن كان هناك خطابان، خطاب للخاصة من الإخـــوان، وخطـــاب للعامـــة، وشتان بين الخطابين، واعتادت الجماعة موقفاً يتسم مع النـــاس والجمـــاهير، وتعليمات أخرى وفكراً آخر داخل الجماعة، فيا ترى كيف يتناسق هذا المنشأ مع ادعاء أنهم يريدون حزباً سياسياً مدنياً يلتزم بالقانون الوضـــعى ويحتـــرم مبدأه، فهل يا ترى سيعلنون تبرؤهم من أقوال وتعليمات حـــسن البنـــا التـــى ذكرت فيها عينة فقط، فإن الباقى أشد من ذلك، وإن فعلوا فليتخذوا لأنفـــسهم أسماء أخرى وتاريخاً آخر وليخلعوا عنهم كل الماضى ويعلنون للناس برامج جديدة تتفق مع التوجه الجديد، إنهم طوال تاريخهم لم يـــستطيعوا أن يقـــدموا للناس برامج متكاملة يمكن تطبيقها حول الحكم بالإسلام فى جميـــع الأمـــور، وكيف يعلنون أن يطبقوا الله فى جميع نواحى الحياة وجميع مشاكل النـــاس، وهذا مما يدل على عدم الجدية أو الفشل فى تجهيز تلك البرامج حتـــى تـــرد على جميع المعارضين بخطط واضحة ومنهاج ثابت، إن جميع تـــصريحات القادة الحاليين تتخذ موقفاً متشدداً باستمرار، يتصاعد، ولست أدرى إلى أيـــن هم ذاهبون وماذا سيفعلون بأنفسهم وبالأفراد البسطاء الذين هم وقـــود تلـــك المظاهرات، فلقد صرح الأستاذ محمد هلال رئيس الإخـــوان فـــى الدقهليـــة وعضو مكتب الاسترشاد، أنهم يقومون بالتصعيد حتى يسمح لهـــم بتأســـيس حزب يتحركون من خلاله فى الحياة السياسية ويعطيهم الفرصة مـــع بـــاقى قوى الشعب.

وفى رسالة للأستاذ البنا باسم نظام الحكم قال فيها رأيه فى الأحزاب التى يطالب الإخوان الآن الحصول على ترخيص بأحدها قـــال: مـــا الـــذى يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذا الشيع والطوائف من الناس لتى تسمى أنفسها الأحزاب السياسية ؟!

إن الأمر جد خطير، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو مؤقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد، ونبشوا واخفقوا، ولم يعد الأمر يحتمل انصاف الحلول، ولا مناص من أن تحمل هذه الأحزاب جميعاً وتجميع قوى الأمة فى حزب واحد، هذا رأى الأستاذ البنا مؤسس الجماعة، وواضع أسس عملها والذى تربى على يديه بعض القائمين على القيادة الآن، إنهم خرجوا على رأيه ونزلوا إلى الشارع مطالبين بتأسيس حزب، وهل هذه جماعة الإخوان المسلمين أي أنه تجمع غريب على هذا البناء القديم ؟! إن هذا التوجه يتسم مع فكر البنا الذى يقول بتجميع الشباب وتدريبهم حتى يصبح لديه جيش من إثنى عشر ألف جندى، يحارب بهم الجميع ويغزو بهم كل عزيز جبار، كما قال فى عبارته فهل يا ترى هذا التوجه الجديد الذى يقوم به القادة الحاليون هو مناورة سياسية للعامة، ولكنهم يعدون العدة فى الخفاء للانقضاض إذا حانت الفرصة، أم أنه ترهل فى الجماعة حكم بأن يسلكوا هذا المسلك حرصاً على مبرر الوجود فى الساحة، وأنهم يتطورون مع الزمن، وهم لذلك يتراجعون خطوة بعد الأخرى حتى يتوافقوا مع الفهم الأوروبي الأمريكى، كما يجب أن يكون عليه الإسلام الحديث، وإنهم مستعدون للقيام بتلك الرسالة المعروضة فى الساحة، إذا كان الأمر كذلك فإنهم فكر آخر وتجميع آخر وأنه أصبح القول الذى قاله بعض المراقبين السياسيين أن إخوان اليوم ليست لهم علاقة بإخوان الأمس، ومن التغير الجيد الذى لم يكن موجود فى الجماعة من قبل هو تلك النغمة العنصرية الكريهة التى لم يكن لها وجود، حيث كان الكل سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، كل ذلك قد اختفى وأصبحت المباهاة بأن المقبوض عليهم من الأساتذة والأطباء والمهندسين .. وكأن المقبوض عليهم من العمال والفلاحين والطلبة، لا وزن ولا كرامة لهم عند الإخوان المسلمين الجدد.

صرح سيادة النائب الأول للمرشد أن المظاهرات التى يقوم بها الإخوان هى فى المقام الأول ضد سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط، وفى نفس الوقت يصرح الرئيس الأمريكي مرتين فى أسبوع واحد بتصريحات لحماية المظاهرات، ترى نصدق من ؟! القائمون بالمظاهرات أم الذين يعملون على حماية تلك المظاهرات، أم أنها نكتة سياسية كبرى تجعل الإنسان لا يعلم أيضحك أم يبكى على ما وصل إليه الحال ؟! إن من يقومون بالمظاهرات اليوم مطالبون بحزب سياسى هم فى الأصل من أنصار الحزب الواحد، هذا ما قاله مؤسس الجماعة، وهذا أيضاً ما طبقه من أدعوا أنهم يقيمون ما طبقه من أدعوا أنهم يقيمون دولة الإسلام، فهم كذلك قد منعوا قيام أحزاب، وقد حدث ذلك فى أيام حكم طالبان فى أفغانستان، وكذلك فى إيران وغير مصرح بقيام أحزاب أخرى فى البلاد، أم أنهم قد عدوا العدة حين ينجحون فى الانتخابات وتصبح السلطة فى أيديهم أن ينقضوا على مقدرات البلاد ويحكموا قبضتهم عليها، ثم يقومون بتصفية الخصوم وفرض الحكم الذى يريدون على رقاب العباد ؟!

إنهم لا يقرأون التاريخ، فإن الحركات الإسلامية التى خدمت الأمريكان كانت دائماً هى الوقود بعد انتهاء المهمة، وليس الأمس ببعيد، فقد سمعت بالأمس فى إذاعة لندن نبأ القبض على رئيس الإخوان فى العراق من قبل السلطات الأمريكية، وهذا الرجل كان قد شارك فى التمكين للأمريكان فى العراق، وكان من مجموعة الحكام الذين حكموا العراق بالتناوب، ولكن الآن قد انتهت مهمته ولم يعد إليه حاجة فتم القبض عليه، وانتهى الدور، وتولى آخرون إكمال المسرحية.

فيا إخواننا ألا تسمعون .. ألا تقرأون .. ألا تتدبرون ؟! إننى أخاف عليهم وهم الأتباع الذين كانوا وسوف يكونون وقوداً لا يحس بهم أحد ولا يدافع أحد، ولكن القول والدفاع والتمجيد كله سوف يعود على المثقفين من

الجماعة، من ذوى النفقات المهنية، فهم الأولى بالرعاية مـــن القـــادة لأنهـــم يظنون أن الحديث عن هذه الفئة سوف يساعد فى تعزيـــز مركـــزهم عنـــد الأسياد، عند من يخططون لهم فينفذون، وعند من يعدونهم فيصدقون !

قيادى إخواني يكشف الإخوان المليارات التى يعبث بها الإخـــوان ؟ كيف يوظفون أموال القصر وفلوس الزكاة فى تمويـــل خططهـــم ؟ معادلـــة التغيير التى يسعون إليها "فوضى وغليان شعبى" إخوانى فى الكويت أفتى بأن للحكم فى اتخاذ الرأى الذى يراه، اجتماع مريب فى بيروت مع الأمـــريكيين حضروه ممثلون لجماعات إسلامية متنوعة.

يبدوا أنهم يريدون أن يدافعوا بالأمور حتى نهايتها كما يخططون لها، ويبدوا أن أحد ما قد أوهمهم بالمساندة وبالدعم، إنهم ينفذون خطتهم الجـــاهزة لكل الأزمان، وجميع الحالات، وهى توليفة مدروسة بشدة تقوم على إحـــداث بعض المتغيرات، والضغوط، والخطة كالآتي :

تدهور الأحوال مع تصاعد قوة المعارضـــة مـــع ضـــعف الـــسلطة ولجوئها إلى العنف مع غليان شعبى يؤدى بالضرورة إلى صاعقة التغيير !! هذا هو نوع التغيير الـــــــــــذى يعرفونه، إنهـــم يعملـــون علـــى إثـــارة الفوضى وتحريض جميع القوى ليصلوا إلى الهدف الأول وهو تصاعد قـــوة المعارضة.

ولكنهم إلى حد كبير يجدون معارضة وعدم تفاهم من بعـــض قـــوى المعارضة الواعية لهذا المخطط، ويعملون على إضعاف السلطة أو محاولـــة إظهارها بهذا الشكل ليدفعوها دفعاً إلى استعمال العنف معهـــم، وهـــم بـــذلك يرفعون قميص عثمان متباركين على الحريات المهدرة وحقـــوق المـــواطنين الممتهنة وسوف يتصاعدون بالموقف تصاعداً مدروساً جيداً حتـــى يحـــصلوا على النتيجة التى يريدون.

ولكنهم لن ينجحوا هذه المرة أيضاً لأن الناس قــد كــشف ألاعيــبهم المتكررة بنفس الأسلوب على مر التاريخ إنهم يعملون على تــشجيع جميــع القوى الكامنة والمتربصة للخروج من جحورها، وكمــا خرجــت مجموعــة جديدة حتى ولو كانت إرهابية، فهى تصب فى ريقهم وتساعد خطهــم حتــى وإن لم يرد منفذوها ذلك.

إن البلاد لم تعد تحتمل هذا العبث بأقدار النــاس ومقــدرات الأمــة، فالمتربصون فى الخارج لا علم لنا بالأسلوب الذى سوف يتخذونه للاســتفادة من الفوضى التى يحدثها الإخوان حتى ولو لم يكونوا علــى تنــسيق معهــم واتفاق مسبق على أسلوب العمل، وهم بهذا لا يدركون أنهم يقدمون لهم بلدهم على طبق من ذهب، ولكن الظاهر من الأحداث المتلاحقة والمعلومات التــى تلهث الواحدة تلو الأخرى تقول وتؤكد أن التنسيق موجود، وأن الدعم بكــل أشكاله موجود، فالإخوان لا يمكن أن يقوموا بهذا التحــرك، وبهــذه الــشدة، مهددين، أنهم سوف يتصاعدون بموقفهم، وهم بهذا يصعدون حتى يصلوا إلى نهاية المعادلة الوصول إلى صاعقة التغيير.

إنهم لا يتصرفون بهذا الإقدام وتلك الخطوات المتصاعدة ما لم يتيسر لهم أمران، هما الداعم السياسي والمعنوى من قوى استطاعت بالفعل وثانيهــا تمويل مستمر ومتصل وبلا حدود.

أما الأولى هى الدعم، فلكى يحصلوا عليه فعليهم أن يقومــوا بتلــك الأعمال الفوضوية مستغلين جميع أشكال السلبيات الموجودة فى المجتمع ثــم يقومون بالنفخ فيها وتكبيرها محرضين بــذلك الجمــاهير ضــد الحكومــة، محاولين كسب أرضية وإقناع قوى أخرى بالانضمام إليهم والتحرك معهــم، إنهم يعملون على إرضاء الأمريكان بكل السبل حتى ينالوا دعمهــم الكامــل والمستمر، وهم يعلمون جيداً ومنذ فترة طويلة أيام كانوا يقيمون المــؤتمرات داخل أمريكا، ويرسلون مندوبيهم كل عام لحضور تلك المؤتمرات، إن كل ما

يطلبه منهم الأمريكان هو إتباع فكرة أمركة الإسلام، والأمريكـــان يعملـــون للوصول إلى هذا الهدف منذ سنين، والمفاوضات بينهم وبـــين الإخـــوان قـــد أخذت وقتاً طويلاً وعهداً متصلاً من الطرفين.

وكانت إحدى أدوات الضغط التى اســتعملها الأمريكـــان لتـــرويض الإخوان هو إنشاء منظمة بديلة وهى ضرب تأسيسه فـــى الأردن علـــى يـــد (تقلى الدين النبهانى) وظلوا يؤيدون هذا الحب الذى يحمـــل رايـــة الإســـلام الأمريكاني، فظلوا يحاربون به الإخوان سنين طويلة حتى يكسروا شـــوكتهم، حتى وصلوا إلى مرادهم فى نهاية الأمر، وسلم لهم الإخوان قيادتهم وســـاروا مع خططهم عاملين على إرضائهم بشتى السبل، وزاد هـــذا الانـــدفاع حـــين سنحت الفرصة وأصبح الأمريكان يريدون فى هذه المرحلة.

ولقد ورد على لسان أحمد منصور فى مقال الأسبوع الماضى الخبر الآتي (نجح اليستر كروك فى عقد لقاء غير مسبوق فى بيروت يـــومى 21، 22 مارس الماضى بين شخصيات أمريكية مقربة من دوائر صنع القرار فى الولايات المتحدة، وقادة أو ممثلين لبعض الحركات الإسلامية فـــى المنطقـــة، وكان من أبرز الشخصيات من الجانب الأمريكى مليك بيرن مدير عمليـــات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السابق فى أفغانستان، وجراهام فولر هو مسئول سابق عن مركز دراسات الشرق الأوسط فى الـــ (سى أي أيـــه) والفريد وهوف مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ومدير هيئة ميتـــشل التى قادت المفاوضات فى أيرلندا، وجورج كرايل المنتج التنفيـــذي لبرنـــامج "ستون دقيقة" أشهر برنامج للتحقيق الوثائقي التليفزيوني فى الولايات المتحدة، وبوبى مولر رئيس جمعية المحاربين القدامى فى فيتنام وأحـــد الشخـــصيات البارزة فى الحزب الديمقراطى الأمريكى وهو صديق مقـــرب مـــن مرشـــح الرياسة السابق جون كيرى والسيدة هيلاري كلينتـــون، أمـــا عـــن الجانـــب البريطاني بخلاف كروك فقد حضر سفير بريطانيـــا الـــسابق عـــن ســـوريا

والدكتورة بيفرلى مليتون إدوارز المحاضرة بجامعة كوينز فى بيلفاست بأيرلندا، وحضر مندوبون من محطتى الجزيرة الفضائية والبى بى سى ممثلة الحركات الإسلامية، فقد حضر ممثلون لأربعة تنظيمات إسلامية هى حزب الله اللبنانى ومثله نواف الموسوى المسئول السياسى فى الحزب، ومن الجماعات الإسلامية فى لبنان ومثلها إبراهيم المصرى وأحمد هرموش، وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" ومثلها موسى أبو حمدان وترددت حركة الإخوان فى مصر عن الحضور ولكن حضر مندوب الجماعة الإسلامية فى لبنان الذى يعتبر امتداداً طبيعياً للإخوان، وقبلها عبدالغفار عزيز ومحمد إبراهيم خالد وعاطف لقمان قاضى.

هذا الجزء لا ينبغى أن يمر دون تسليط الضوء عليه من جميع قوى الإعلام لأن الاتصالات جارية على قدم وساق مع مندوبى الأجهزة الأمريكية المختلفة ولكنهم ينكرون باستمرار، وهكذا فهم واثقون من هذا الدعم لأن المصالح المشتركة قد اتفقت على إحداث الفوضى التى تريدها وزيرة خارجية أمريكا لإحداث الأثر المطلوب.

هكذا فقد وضح اتصالهم بالأمريكان بأكثر من طريق، وهم بذلك قد أمنوا الدعم السياسى والمعنوى وأحياناً الدعم المادى عن طريق الأمريكان، وللأمريكان طرق متعددة لدفع الأموال، فأحياناً تدفع عن طريق وسيط، وأحياناً تدفع على هيئة صفقة تجارية مع أحدهم يكسب فيها المبالغ المطلوبة، وهكذا يكون الدفع مغطى تغطية كاملة أو عن طريق أحد الإخوان العاملين فى الخليج العربى الذى يمكن من أموال يستطيع التصرف فيغرف منها ويعطى للإخوان ما شاء الله من أموال.

ولديهم فتوى دائمة لكل موقف يحلل لهم كل شئ، وقد ظهر الأستاذ سالم البهنساوى وهو من الإخوان وتحيط اسمه وموقعه علامات استفهام كبيرة، وخاصة حول علاقاته بالإخوان فى الكويت والإخوان فى مصر، ظهر

فى حديث مثير للاهتمام، خلال برنامج شبكة التليفزيون، كشف فيه أنه كـان مسئولاً عن التصرف فى أموال القصر واليتامى فى دولة الكويت عن طريق عمله فى وزارة الأوقاف الكويتية، وأنهم أفتوا أن تلـك الأمـوال ينبغـى أن تستثمر حتى لا تأكلها أموال الزكاة سنة بعد أخرى، وقاموا هـم باسـتثمارها وإخراج الزكاة عنها، وهذه الأموال تقدر بالمليارات، ولك أن تتصور حجـم الأموال التى تم تحويلها للإخوان عن هذا الطريق، وهو سبيل واحد، فما بالك بباقى دول الخليج وباقى الأساليب الأخرى المتبعة للسيطرة على المال وإنفاقه فى سبيل تحقيق أغراضهم، ناهيك بجمع أموال الزكاة مـن جميـع أغنيـاء المسلمين فى الخليج وفى غير الخليج حتى هنا فى مصر فإنهم يتقربون مـن كل الأغنياء الذين تعدت رؤوس أموالهم المليون ويحيطونه كظلـه حتـى لا يرى إلا من خلالهم ويتم السيطرة عليه لحسابهم، ثم يمتصون أموالـه، ويـا حبذا لو كان غير متعلم ولا متحضر، فيكون فريسة أسـهل، وللـدين تـأثير السحر على الأفراد من هذا النوع فيسهل قيادته وتوجيهه، وقديماً حين خرج الإخوان من السجون بعفو من الرئيس السادات الذى كافأوه بالاشـتراك فـى قتله يوم عيد النصر، حين خرج الإخوان وظهر أن الأستاذ عمر التلمـسانى هو المرشد الجديد أنهالت عليه الأموال من جميع بلاد العـالم، وتـم إهـداؤه خمس سيارات لاستعماله الشخصى، وكان مبهوراً من كل هذا، ولا يدرى أى سيارة يركب المهم أن الإخوان لهم وسائل كثيرة فى جمع الأموال.

وقد عادت الإخوان أن يطلقـوا الفتاوى المناسـبة لإرضـاء حكـام الخليج، حتى يتركوهم ويطلقوا أيديهم ليفعلوا ما يدون، وقد أصـدر الأسـتاذ سالم البهنساوى فى الكويت فتوى تقول أن للحاكم الحق فى اختيـار الـرأى الذى يطبق فى البلاد حتى ولو لم يكـــن الرأى الـراجح، وقـد اسـتدل بوقائع ثابتة، والفتوى صحيحة، ولكنهم يطلقون للـبعض ويحجبونهـا عـن البعض الآخر.

والسؤال الآن هل يمكن السماح للحاكم فى مصر أن يتعامل مع هـذه الفتوى ويستعملها، أم أن للحاكم فى مصر له فتوى أخرى بهـا الكثيـر مـن التشدد وهذا يدل على أن الجماعة تكيل بمكيالين وتفتى برأيين وهـذا هـوى يحاسبون عليه ولا يتفق مع من يدعى تحكيم الإسلام فى كل فعله وقوله.

إن سلوك الجماعة ينكشف كل يوم عن مخالفـات للـشرع وإهمـال للرأى الفقهى إن لم يتمش مع المرحلة ولا يخدم مصالحهم، وهذا عبث بالدين يحاسبون عليه، والأرجح أنهم قاربا أن يتعاملوا مع الإسلام علـى الطريقـة الأمريكية، ويدخلوا فى المنافسة مع حزب التحرير الإسلامي، الذى يهتم فـى الإسلام بالحكم والدولة وتشريعاتها، ولا يهتمون بالعبادات والمعاملات، ولهذا فإنهم يجمعون المريدين، ويحشدون الأتباع لأنهم لا يؤاخذون الأفراد على أية التزامات، وهم الآن يستعملون لإحداث الفوضى فى أوزبكستان، وهذا أيـضاً لحساب الأمريكان، الذين يستعملون الإسلام ومنظماته فى كل مكـان، وقـد عاشت تلك المنظمات طيلة عمرهم يقولون أن أمريكا هـى الدولـة الأكبـر ويتحدثون دائماً عن المخططات الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين، ولكن بعد أن ظهر الأمريكان بخططهم وأفكارهم المعادية للإسلام والمسلمين، بعـد أن ظهر كل هذا، فإنه يعون أيديهم فى أيديهم، ويـضعون أنفـسهم فـى خدمـة أغراضهم، يسيرون خلفهم ويجعلون أنفسهم وأتباعهم الذين لا يفركون ولكـن يتبعون دون تفكير تحت بند السمع والطاعة، ثم يجدون أنفسهم يحاربون فـى صف الأمريكان الذين يحاربون الإسلام فى هذه الأيام.

لقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من عدم الإخلاص فى الجهاد، وبين أن من قاتل لهدف غير الإسلام أو لجاه أو لمال .. كـل ذلـك مـردود وغير مقبول عند الله.

إن للإخوان أن يتحدثوا باستفاضة عن الجهاد عندهم، وهل يكون من داخل الحكومة المسلمة أم يكون عملاً فردياً.

الإخوان سحروا الشباب بالحديث عن الجهاد، ولما طال الأمد ولم يجاهدوا بدأوا يمارسونه ممارسة خاطئة، أن يذهب نفر من المحسوبين على الإسلام فينسف مدناً آمنة هرباً من مواجهة الجيوش فى المعارك، فهذا عمل جبان خارج عن قواعد الدين.

الهجوم على مركز التجارة العالمى بنيويورك ومعه مبنى البنتاجون بواشنطن ثم الهجوم الكبير الذى حدث فى مدريد، وانتهى الأمر بتفجير قطارات لندن، ويعلم الله هل هذا ستكون النهاية، أم أن هناك عمليات أخرى فى الغيب؟ عملياً جعلت من المسلمين والإسلام أمراً مخيفاً مرعباً للناس فى جميع أنحاء العالم، ووضعت المسلمين فى موضع الدفاع والتراجع المستمر، خسارة كل يوم، وهجوم على المسلمين يومياً حتى صار المسلمون إرهابيين وقتلة وسفاكى دماء، هذه صورة المسلمين الآن، حتى الهجوم على الإسلام موضة شائعة فى الغرب. قد أعلنت باكستان أنها سوف تراقب المدارس الإسلامية، وسوف تغلق أية مدرسة تدرس الجهاد، أين الإخوان من كل ذلك، فلم أسمع منهم أى دفاع عن الإسلام أو تبرير وشرح للجهاد الذى هو أحد الأركان الأساسية فى سياسة الإخوان المعلنة، والحقيقة أن الدفاع الذى أرقأه منهم كل يوم أن سياسة أمريكا وبريطانيا هى التى تدفع الناس إلى هذه الأفعال قول مردود، فلا ينبغى أن يكون هذا هو استعمال الدين، فإن السكوت على الخطأ أورث الأمة الإسلامية الكثير من التراجع والانحسار.

والحقيقة أننى حين قررت أن أكتب فى الجهاد من وجهة النظر الإسلامية، وجدتنى وكأننى أمشى على الشوك أتلمس خطاى ببطء فطالما أجلت الحديث فى هذا الأمر لأننى سوف أغضب الكثيرين الذين تعلموا من الجهاد معاملة خاطئة من وجهة نظرى، فالجهاد هو البلورة التى يغازل بها الإخوان عيون الشباب المملوء بالحماس والاندفاع، وهو موضوع الساعة وكل ساعة، هو الذى أرغم الشباب على السمع والطاعة دون تفكير أو روية،

وهكذا فالأمر يحتاج إلى حديث وتبيان، فالجهاد فريضة، ولكنها فرض كفاية إذا قام به مجموعة من المسلمين سقط تكليفه عن باقى المسلمين، والجهاد لا يكون إلا بأمر ولى الأمر أو الحاكم المسلم، كما حدث فى حرب أكتوبر المجيدة، فقد كان هذا جهاداً فى سبيل الله، وقد كان إعمالاً لفريضة الجهاد التى نص عليها الدين، لأن الجهاد كما فرض على المسلمين لم يفرض لغزو البعض، ولكن فرض للدفاع عن ديار الإسلام، أما أن يذهب شخص غير مسئول ولا مأذون بالجهاد وحده ودون أن يفهم حدود الجهاد وواجباته فيحدث الكوارث والنوائب على الإسلام والمسلمين، فهذا أمر غير مقبول ومردود — بل ومجرم — فالرسول حين أرسل الجيوش لتحارب الفرس أو الروم لم يكن ذلك عدواناً، ولكنه كان لصد هجماتهم على ديار الإسلام، ولم يحارب إلا الجيوش المحارب ولم يرسل مجموعات لضرب المدن أو المدنيين الآمنين الذين لم يرفعوا سلاحاً فى وجه المسلمين، هذا هو الجهاد فى الإسلام، وغير مسموح بقتل امرأة ما لم تكن مقاتلة، ولا طفل ولا تقطع شجرة أو يدمر مبنى سالم، أما أن يذهب نفر من المحسوبين على الإسلام فينسف مدناً آمنة هروباً من مواجهة جيوشهم فى المعارك فهذا عمل جبان وخارج عن قواعد الإسلام وعمل المسلمين فى جميع العصور. لقد آن للإخوان أن يتحدثوا باستفاضة عن الجهاد عندهم، وهل يكون من داخل الحكومة المسلمة أم أنه يكون عملاً فردياً ؟ وما مشروعيته فى هذه الحال؟ لقد جاءت عصور الانحطاط الإسلامية حين أخذ الأفراد بيدهم أمورهم ولم يلتزموا بقيادتهم وحكامهم، أصبحت الفتوى على كل لسان وأصبح الواجب فرضاً والفروض مهملة حسب ما يتيسر لهوى هذا أو ذاك، وحين خرج المسلمون على حكامهم رافعين السلاح لأنه لم يعيبهم رأى أو قرار من حق الحاكم اتخاذه، وقد بدأ ذلك فى عهد عثمان ثم تلاه عهد على بن أبى طالب، حيث تشرذمت الأمة، وصار كل من لا رأى له زعيماً وقائداً، فمن تشيعوا لعلى خرجوا عليه بعد

فترة وخرج عليهم بعضهم، وصار الأمر لمن لا أمر له وتفتت الأمة ومازالت تتفتت حتى الآن وتتقسم على نفسها على طريقة البكتيريا .. كل جماعة تتقسم إلى عدة جماعات وهكذا، وهذا سبب ضعف المسلمين وانحسار كلمتهم، فالفرقة هى أخطر طريق لهدم أى كيان، وقد فطن أعداء الإسلام إلى ذلك فساعدوا كل من يدعو على فرقة أو انقسام وقد سحر الإخوان عيون الشباب بالحديث عن الجهاد، ولما طال الأمد ولم يجاهدوا بدأوا يمارسون الجهاد ممارسة خاطئة وأن الجهاد أمر آخر غير ذلك بدأت الجماعة تتفسخ وتخرج منها مجموعات من الجماعات الإسلامية، وكل وضع تخيلاً خاصاً للإسلام والجهاد وزادوا فى التطرف.

إن الخلاف الذى حدث بين عثمان والخارجين عليه، والخلاف الذى بدأ بين على بن أبى طالب والخارجين عليه من شيعة وخوارج، واتخذ كل منهم مذهباً، لم يكن لعلى بن أبى طالب يد فيه، فقد حدثت حروب شديدة بين الخوارج وبين على، وحدثت حروب أخرى بينهم وبين الأمويين، ونجمت عن ظهور الشيعة حروب كثيرة أدت إلى قيام الدولة العباسية فى النهاية ومن يومها والانقسامات هى الخطر الداهم على الإسلامية، وهذا كله راجع إلى التفسيرات الخاطئة للإسلام والتى تتفق مع هوى أصحابها.

والجهاد له أشكال أخرى غير القتال، فقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال حين العودة من إحدى الحروب رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، فهذا النوع من الجهاد قد انحسر حتى ممن يحملون راية الإسلام، فمحاسبة النفس أولاً بأول وتقويمها باستمرار يساعد على استقامة الأفراد، وبالتالى استقامة الأمة على الجهاد.

وكان الأولى بهم أن يتعلموا أن التوافق مع الآخرين خير من الاستئثار بالرأى والتشبث بأن يكون الأمر كله بيدهم وحدهم، لأن هذا لن يحدث الفرصة الذهبية التى أضاعتها الجماعة !

التفسخ القائم بينهم وسوء الرؤية والتخبط كانت كافيـة لقيـادتهم أن يستوثقوا من عجزهم عن تحقيق أهدافهم، اعتادوا طوال تاريخهم أن يثـورا ويتوهموا أنهم قادرون على الفعل، وحيـث تـصل الأمـور إلـى ذروتهـا يتراجعون ويؤثرون السجن على المواجهة !

والآن يكررون أخطائهم ويصعدون مواقفهم دون رؤية ثاقبة .. لكنهم يندفعون بمجرد إشارة !

لقد كانت لجمال عبدالناصر علاقات قبل الثورة بـالقوى الـسياسية الموجودة فى مصر وأبرزها الشيوعيون والإخوان المسلمون وقـد أعطـى للطرفين انطباعاً أنه منهم وملتزم بفكرهم وتنظيماتهم، وتبعاً لذلك فقد كانـت له علاقة بالإخوان المسلمين، حتى أنه قد بايع عبدالرحمن الـسندي رئـيس النظام الخاص فى الإخوان المسلمين على المصحف والمسدس على الـسمع والطاعة، وفى نفس الوقت كان له علاقة بصلاح شادى وحـسن عـشماوى، وغيرهم من قيادات الإخوان، استغل عبدالناصر هذه القيادات فى تنفيذ أهداف الثورة فى أول أيامها للسيطرة على الشارع المصرى وعلى الجماهير.

الحقيقة أن هذه العلاقة كانت فرصة ذهبية للإخوان المسلمين ولكن لم يستطيعوا كعادتهم استغلالها، فحين قامت الثورة أيدها الإخوان فى كل مكان، وقد حفظ رجال الثورة حسن علاقتهم بالإخوان، ولكن الإخوان لـم يحـسنوا قراءة رجال الثورة ولم يعرفوا كيف يتعاملون معهم، حتى بعد أن مرت القوة بحل جميع الأحزاب لم يتم حل الإخوان وتركوا لهم السيطرة على الـشارع وحده، ولكن الإخوان تصوروا أنهم فعلاً القادة الوحيدون لهذه الثورة وأرسـل إليهم المرشد العام "حسن الهضيبي" ليعلنهم أنه يتوجب عليهم استئذان مكتـب الإرشاد قبل أن يتخذوا أى قرار، وكان هذا الأمر هو القشة التـى قـصمت ظهر البعير واستفزت رجال الثورة، وبـدأت المـشاحنات بـين الطـرفين والتصاعد والشد والجذب بين الطرفين، وبدأ الإخوان يسيئون التصرف فـى

الواقعة تلو الأخرى حتى أن عبدالناصر حين أختار اثنين من الإخوان للعمل كوزيرين فى الوزارة الجديدة أجبرهم حسن الهضيبي المرشد العام للجماعة على الاستقالة لأنهما قبلا الوزارة قبل أن يرجعا إليهم، واعتبرها عبدالناصر إهانة موجهة له، وبدأ الجفاء بينهما حتى إنه كان سعيداً حين اختلف الإخوان وحدثت بينهم انشقاقات وفصل الأخوان بتصعيد الموقف حيث قام جماهير الأخوان بمظاهرة كبرى فى مارس 1954 واصطدموا بجهات الأمن وتم حل الإخوان عقب تلك المظاهرة، ولكن رجال الثورة لم يريدوا للعلاقة مع الإخوان تلك القطيعة، حيث إنهم القوة الشعبية التى يتندون إليها، ولكن الإخوان طبيعتهم مغررون ومتسلطون ودائماً يريدون كل شئ أو لا شئ فقامت مجموعة من الإخوان بتدمير محاولة لقتل عبدالناصر فى المنشية فى الإسكندرية، وقد اختلف فى هذه الواقعة الكثير من الرواة إلا أن الذى يهمنا فى هذا السياق أنها حدثت بالفعل، وطبعاً كانت النهاية بين الإخوان وبين الثورة وتم اعتقال الكثير من الإخوان، والغريب أن الإخوان كانوا يحشدون قواهم لخلع عبدالناصر بالقوة وكانوا مذهوين بقوتهم، وهم طوال تاريخهم كذلك يثورون ويتوهم البعض أنهم قادرون على الفعل ولكنهم حين تصل الأمور إلى الذروة تجدهم قد تراجعوا وأثروا السجن على المواجهة.

وقد تكرر ذلك فى تاريخه كثيراً، والغيب أنه قد حدثت مناقشة بعد حادث الاغتيال بين حسن عشماوى ويوسف طلعت قائد النظام الخاص الجديد سأل حسن عشماوى يوسف طلعت: ألم تعد العدة لخلع عبدالناصر، فهذه هى الفرصة السانحة ؟ لكن يوسف طلعت اعتذر بأمرين، أولهما أنه يخشى أن يقتلوا الإخوان المحبوسين، والأمر الثانى أنهم خافوا التدخل الخارجى، والسؤال المهم لما لم يحسبوا هذا الحساب من قبل حتى تكون خطواتهم متسقة ولا يخرون مواقع باستمرار ؟! إنهم الآن يكررون أخطاءهم ويصعدون موقفهم ضد الحكومة دون خطة مسبقة أو رؤية ثاقبة، ولكنهم يندفعون بإشارة

من قوى خارجية غير موثوق فيها وتاريخها ينم عنها، وهم طالمــا كــرروا قولهم للجماعة أن المخططات الأمريكية تستهدفهم، فجأة يشير لهم أحد القــادة الأمريكيين بإشارة غامضة فيندفعون ملبيين قائلين لبيك أمريكا لبيك، محركين كل قواهم دون أن يعلموا أو يستوثقوا من النتائج والغريب أن هناك سراً يذاع لأول مرة أنه منذ قامت الثورة والمرحوم عبدالرحمن السندى كــان مقتنعــاً وساعده على هذه القناعة جمال عبدالناصر، وحيث كان يعطيه الانطباع دائماً أنه مازال على البيعة له وأنه يعتبر السندى رئيساً له، وأنه حقــق للجماعــة أهدافها بإقامة الحكم الإسلامي قد تحققت بقيام الثورة، ولذلك وبناءً على هــذه القناعة فقد قام السندى ورجاله بتسليم عبدالناصر قوائم بأسماء رجال النظــام الخاص ومخازن الأسلحة الرئيسية.

وقد استخدم ذلك ضد الإخوان فى سنة 1954، ولقــد ســمعت ذلــك بأذنى فى تحقيقات سنة 1965 حيث كان أحمد عادل كمال جالساً فى غرفــة العميد سعد عبدالكريم قائد البوليس الحربى حيث دبر لى أن أقف خلف أحمــد عادل وهو لا يدرى وأسمع بنفسى وهو يعترف بأنهم سلموا الإخــوان ســنة 1954 بكامل القوائم ومخازن الأسلحة إلى جماعة عبدالناصر، وكان يــدلل بذلك على ولائه للثورة واستحالة تأمره عليها، وهكذا يتضح التفــسخ القــائم داخل الجماعة وسوء الرؤية والتخبط، وقد كانت هذه المواقف كافيــة لقيــادة الجماعة أن يستوثقوا من عجزهم عن تحقيق أهــدافهم وأن يجنبــوا الأفــراد المحن والسجون التى مروا بها وأن يعلنوا الفشل والحل الــذاتى للجماعــة، ولكنها الأهــواء الشخصية والمنافع الذاتية التى يتمتع بها القادة ولم يكن لهــم أن يتركوا ذلــك طواعية ولكنهم حين يفشلون فى طريق يحاولون بأســلوب آخر حتى يظلوا فى الساحة، والأفراد لا يعلمون ما يفعله القــادة والجماعــة تسير الآن بالقصور الذاتى حتى أن القادة أنفسهم لا يعلمون إلــى أيــن هــم ذاهبون.

ولقد استفاد حسن الترابى فى السودان مــن أخطــاء الإخــوان مــع عبدالناصر، فلمــا قامت ثورة الجيش فى السودان بزعامــة البــشير كــان الإخوان فى الســودان هم شركاء الثورة، فأقاموا تحالفاً قويــاً بيــنهم وبــين الجيش واشتركوا فى السلطة وكانوا نموذجاً جيداً لفترة طويلة، إلا أن طبــاع الإخوان قد غلب عليهم فى لحظة ما، وحاولوا أن يأخذوا الكل فسقطوا وحقت عليهم المطاردة، وأبعدوا عن السلطة ودخلوا السجون كما حدث فــى مــصر تماماً.

لقد حضر الملك سعود للوساطة بين الإخوان والحكومة بعــد الحــل الأول، وفعلاً جامله أعضاء الثورة وفتحوا صفحة جديدة مع الإخــوان إلا أن المتتبع لسلوك المرشد حسن الهضيبي بعد ذلك مع الحكومة يرى أنه لم يبــد أى نوع من المرونة، بل كان متشدداً جداً ويتعامل معهم كأنه ناظر مدرســة ويتعمد أن يشد إذن التلاميذ العاقين، ولم يكن ذلك بالسلوك الجيد للتفاهم مــع حكومة ثورة، حيث إنه قابل الإخوان حسن المعاملة التى لاقوها من الحكومة بالإفراج عن المعتقلين وحسن المعاملة وعدم تجميد الأموال والممتلكات بــأن طبعوا منشوراً ووزعوه فى الشوارع ينبئ ببدء الصراع من جديــد وقــرر الهضيبي السفر فى رحلة إلى بلدان الهلال الخصيب وزيارة الملــك ســعود لتقديم الشكر على جهوده من أجل التوفيق بين الإخوان والحكومة وقبــل أن يسافر أرسل خطاباً إلى عبدالناصر يقول له فيه "سوف أمكث خارج الــبلاد لمدة شهرين، أفعل ما بوسعك حتى يتوافر جو التفاهم بيننا، فالخلاف القــائم بيننا ليس فى صالح البلاد"، وبعد عودته من الخارج زاد التوتر بسبب اتفاقية الجلاء ونقد الإخوان لها ثم تبين أن الهضيبي كان قد أقام مفاوضات خاصــة مع الإنجليزي مع "مستر إيفاتر" وتنازل فيها تنازلات شــديدة، وقــد قامــت الحكومة بنشر هذا الأمر رداً على هجوم الإخوان على لاتفاق المبــرم بــين الحكومة والإنجليز، وبعد ذلك زاد الإخوان من نــشاط المنــشورات والتــى

تحالفوا فيها مع الشيوعيين إن كل فريق يوزع منـــشورات الآخـــر، وكـــان المسئول عن تلك المنشورات هو سيد قطب الذى كان يتولى منصب رئـــيس تحرير جريدة الإخوان.

لقد كانت شخص الهضيبي وبطانته مثـــل صـــلاح شـــادى وحـــسن عشماوى ومنير الدلة الذين ينفثون فى النار ليزيدوا الصراع حـــدة، ولـــذلك كانت هناك محاولات كثيرة من الحكومة لعزل الهضيبي، لأنـــه كـــان مـــن الواضح أن الحكومة لا تريد أن تخسر علاقتها بالإخوان، ولكن المرشد كـــان شديد الكراهية لعبدالناصر إذ كيف يخرج عبدالناصـــر عـــن طـــوع حـــسن الهضيبي !!

أصدرت الحكومة قراراً بإسقاط الجنسية عن خمسة من الإخوان هـــم سعيد رمضان وعبدالحكم عابدين وسعد الـــدين الـــوليلى وكامـــل إســـماعيل الشريف ونجيب صموئيل ومعهم أحمد أبو الفتح الوفـــدى والمتحـــالف مـــع الإخوان وكان جميعهم من سوريا يعملون على تحـــرض الحكومـــات ضـــد عبدالناصر، كانت الأمور تسير، هكذا تصرف من هذا الجهة ثم ردف فعـــل من الجهة الأخرى مع وجود بعض الشخصيات من الطرفين تحـــاول تهدئـــة الموقف إلا أن حادث محاولة اغتيال عبدالناصر فى المنشية عاجـــل الجميـــع وقلب جميع الموازين والحقيقة أن الفكر حين يتوقف ويعجـــز عـــن العمـــل تتحرك الجوارح وتصير الأمور إلى الأسوأ، إننى أسوق تلك التفاصيل حتـــى يعتبر الإخوان ويتعلموا من أخطائهم لأنها أصبحت كثيرة وأودت بهم دائمـــاً إلى المشاكل وأنهم أضاعوا من يدهم فرصة ذهبية أن اختلفوا مع عبدالناصر ورفاقه بينما كان الأولى بهم أن يستفيدوا من الجهد الخضم الذى بذلوه ســـوياً قبل قيام الثورة، وأن يتعلموا أن التوافق مع الآخرين خيـــر مـــن الاســـتئثار بالرأى والتشبث بأن يكون كل الأمر بيدهم وحدهم لا شريك لهم فيه، فهذا لن يحدث.

- فتحوا باب القتل وسفك الدماء على مصراعيه
- ساعدوا فى اغتيال الإمام يحيى راعى ثورة اليمن وقبضوا الثمن شيكات بالإسترليني
- وصفوا الآخرين بالجاهلية وبالتالى استباحوا دماءهم وقتلهم بحجة أنهم مفوضون بذلك من السماء

تعتبر الاغتيالات السياسية فى فترة الثلاثينات والأربعينيات مجداً وفخــراً لمرتكبيها، حتى إن بعض القضاة قد مجدوا مسار الإخوان وعمليات الاغتيال التى قاموا بها، حتى إن الرافعى ــ المؤرخ المصرى ــ قد أعرب عن أسفه لأن قاعات المحاكم التى شهدت تلك القضايا وحضرها محامون من مختلــف الانتماءات السياسية قد تحولت إلى "منابر لتمجيد القتل والجريمة" وقد كانــت كل عملية من عمليات الاغتيال فى هذا الوقت تحتاج إلى فتــوى مــن أحــد مشايخ الفتاوى.

وكان السندى الذى يستندون إليه عملية اغتيال أمرها رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لقتل كعــــب بن الأشراف حيث قال الرســول فــى مجلسه: من لكعب بن الأشراف حيث أذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة: أأقتله يا رسول الله ؟ قال: نعم، قال: هل أستأذن فى أن أقول كلام الكفر حتى من أصحابه بحجة أنهم يريدون منه قرضاً حتى استدرجوه خــارج المنــزل وقتلوه!

قد أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأكثر من عملية من هــذا النوع، منها أنه قد بلغه أن شعبان بن خالد الهزلي يقيم بيعمر، وأنــه يجمــع الجموع لحرب المسلمين فأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبــدالله بن أنيس الجهنى بقتله فقتله، ولما استند شيوخ الإخوان على مثل هذه الوقائع لتبرير الاغتيالات فقد نسوا أمراً مهماً وهو أن الرسول ــ صــلى الله عليــه

وسلم ــ حين أمر بذلك كان بصفته رئيساً للدولة، وبناءً عليه فإن من يريد أن يستعمل هذا الأمر لابد أن يكون رئيس الدولة، وليس لأى مسلم سواء كان منتمياً لأية جماعة أو غير ذلك، لا يجوز له أن يستعمل هذا الحق لانتهاء صفة القيادة أو الرئاسة فيه، ولكنهم خلطوا الأمر وضحكوا على أنفسهم هذا حدث فى السابق حين كانوا يحاولون أن يجدوا تبريراً لعملتهم، أما فى عصرنا الحديث فقد فتحوا الباب على مصراعيه: باب القتل وسفك الدماء، فأفتوا بأن الناس جميعاً فى جاهلية، وأنهم بذلك يحل دمهم، أفتى البعض الآخر أنهم جماعة المسلمين وبالتالى فالباقى يستحل دمهم ومالهم، وبذلك لم نر حرجاً من مدبرى هذه الأمور أن يجروا القتل فى الشوارع وتحصد الأرواح دون حرج، والسيارات المفخخة، وانتشر هذا الأسلوب، ولم يضربوا به عدوا ولا مقاتلاً، ولكن يضربون به المسلمين فى كل مكان، فقد حصدوا أرواحاً كثيرة فى الجزائر، والآن نسمع يومياً بقتل العراقيين الأبرياء بحجة أنهم مع المحتلين، وكان أولى بهم أن يواجهوا المحتل وجهاً لوجه، أما أن يتركوا عدوهم ويقتلوا بنى جلدتهم فهذا أمر عجيب يحار فيه المرء، ولقد كان الإخوان يتبنون جميع القتلة حتى ولو لم يكونوا منهم، فلقد تلقفوا حسين توفيق الذى قتل أمين عثمان وقاموا بإيوائه وتهريبه خارج مصر، وأن صلاح شادى ليفخر بأنه قام بهذا العمل، ومن القصص الظريفة التى حدثت أن محاولة قتل حامد جودة الفاشلة والتى قبض على جميع العاملين فيها، وتدافع عنهم جهابذة القانون فى مصر بقيادة الأستاذ/ حسين عشماوى، والذى لم يعجبه حكم القانون على موكله نجيب جويفل فدبر وقرر المحامى رجل القانون أن يعمل على تهريب موكله، وفعلاً دبروا له الهروب وانتظروه بسيارة كان يقودها المحامي رجل القانون حسين عشماوى ويناوبه ويساعده ضابط البوليس، والمفروض أنه منفذ القانون الأستاذ/ صلاح شادى، وقد أخذوه إلى مكان أمين ودبروا له جواز سفر باسم مستعار وأخرجوه من

مصر، والآن يتباكى الإخوان على القانون وسيادة القانون وعلى الديمقراطية وأنهم يريدون أن يكونوا جزءاً من ذلك كله، ونسوا هذا التاريخ الذى داسوا به على القانون بكل ما أتوا من قوة، فأما أن يكون القاتل فى صفهم وإلا فالويل للقانون والقضاة، ولم يكتف الإخوان بالاغتيالات فى مصر، ولكنهم حين تبدر لهم بادرة لمثل هذا العمل فى أى بلد عربى آخر فقد حانت لهم الفرصة للتآمر مع مندوب الإخوان فى اليمن، وعلى رأسهم عبدالله بن الوزير لمحاولة الانقلاب فى اليمن، حيث اتفقوا على حسن البنا فى مصر وشكلوا معه الوزراء بأسمائهم واتفقوا على الانتظار على الإمام يحيى حتى يموت موتاً طبيعياً، حيث كان طاعناً فى السن، مليئاً بالأمراض، وفعلاً أعلن وفاته واندفع قادة الإخوان فى مصر بنشر النبأ فى جريدة الإخوان المسلمين، حتى أنهم ذكروا أسماء الوزراء القادمين واعتبروا أن ذلك سبق صحفى، ولكن الإمام يحيى قد عاد إلى الحياة مرة أخرى، وكان ذلك موقفاً فى غاية السوء حيث فضح نوايا الإخوان فعاجلوا باغتياله على يد أحد حراسه، وهو جميل أحد ضباط حركة رشيد عالى الكيلانى بالعراق، حيث لجأ إلى اليمين بعد فشل الحركة فى العراق، حيث أفرغ فى الإمام ما يقرب من ثمانين مقذوفاً وكأنما أراد أن يتوثق من موته هذه المرة، وشكلت الوزارة التى نشرها الإخوان من قبل، وكان بهذا العمل وقع شديد على الدنيا بأسرها، فقد كان التواطؤ وصار موقف الإخوان فى غاية السوء فهم قد يقتلون جنود الاحتلال أو الصهاينة أو بعض الرموز فى مصر، فهذا إرهاب وجرائم، أما أن يقتلوا ملكاً لدولة شقيقة عضواً فى جامعة الدول العربية فهذا ما لم يقبله العالم.

بعثت بيد الوزير إلى الإخوان بمصر مبلغ مائة ألف جنيه إسترلينى على دفعتين عن طريق بنك باركليز فى عدن، وكانت هذه سبة فى جبين الإخوان، حيث قامت القوة المعارضة لهم بالتشنيع بهم وكل ما استطاعوا

عمله هو إنكار استلام هذا المال، ولكن روى أن الفضيل الورتلاني قد خرج من اليمن وهو يحمل ثلاثة أكياس كبيرة من الذهب، هذا سلوك الإخوان، لابد أن يجنوا الفائدة من كل عمل يقومون به ويكون منظره الخارجي عملاً وطنياً، فلما أقاموا المعسكرات لتدريب الإخوان على السلاح من أجل فلسطين قاموا بتشوين نصف هذا السلاح فى مخابئ سرية خاصة بالجماعة، وقد تم اكتشاف العديد من تلك المخابئ سنة 1954 ، ولما ساعدوا فى ثورة اليمن وقتل الإمام يحيى قبضوا الثمن تحويل عن طريق بنك باركليز وأكياس الذهب مع الفضيل الورتلانى، ولكن كانت سبيلهم فقد اشتركوا فى إرسال الفدائيين إلى أفغانستان، وقد قام بالكشف الطبى عليهم المرحوم الدكتور أحمد الملط، وتم إرسالهم إلى أفغانستان للتدريب على يد القوات الأمريكية تحت قيادة أسامة بن لادن، وقد قبضوا الثمن حيث كانت الخزائن الأمريكية مفتوحة لكل من ساعد وساهم، وقاموا بإرسال المتطوعين إلى الشيشان حيث كان يشرف عليهم حتى وقت قريب المرحوم كمال السنانيرى، وكل ذلك فيه فوائد جمة للجماعة ورجالاتها، وسوف يثبت التاريخ أنهم متورطون، حتى أعناقهم فى العراق حيث يقومون بتوجيه الفصائل المقاتلة من كل أنحاء العالم إلى العراق راسمين لهم خط السير وكيف يدخلون.

وأعتقد أن الأمريكان يعلمون ذلك جيداً ولهذا السبب فهم يلعبون مع الإخوان وهم يعلمون حقيقة نواياهم، حيث يقومون باستغلاله فى بعض الأوقات، ولكن فى بعض الأعمال المحدودة ثم هم بعد ذلك لا يقومون بتغطية هذا العمل والأخوان من جانبهم يحاولون الضحك على الأمريكان، ومحاولة أخذهم إلى جانبهم والاحتماء بهم، ولكنهم حتى الآن قد فشلوا فى فعل ذلك والحقيقة أن الإخوان يكرسون معنى "الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا" وهم لا ينكرون ذلك حتى الآن، وحتى حينما قالوا إننا سوف نلتحم بالمجتمع المدنى، كانوا بذلك يناورون ويباهتون وهم يعلمون قبل

غيرهم أنهم هم يحاولون كسب الوقت والحصول على اعتراف الدولة بهم كحزب سياسى، وبعد أن يحصلوا على كل ذلك سوف ينقضون عهودهم مع الجميع وسوف يحاولون إيجاد الفرصة التى يتذرعون بها لنقض عهودهم مع الجميع، وأن الأحداث القادمة فى المنطقة قد تساعدهم فى الحصول على ما يريدون، وهما أدق ناقوس الخطر محذراً لأننى أعلم بهم من غيرى، أنهم حين يمتلكون الفرصة سيكونون أشد ضراوة ولن يبقوا على عهد أو وعد، ولكنهم سيعلمون على إنقاذ فكرهم السابق حيث أننى لا أتصور أنهم يتراجعون تكتكي، ولكن إستراتيجيتهم مازالت قائمة ومازالوا على عهدها، فلقد كانت لهم سوابق كثيرة تظاهروا فيها أنهم قد غيروا وتراجعوا عن مفاهيمهم السابقة، ولقد تحديتهم أكثر من مرة أن يعلنوا نبذهم للشعار السابق حتى نصدقهم فيما هو قادم من حركة إلا أنهم قد صموا أذانهم ولم يستجيبوا للنداء، وظلوا يخالفون القانون الذى وعدوا باحترامه.

ولقد سبق أن قلنا كيف احترموا القانون بتهريب نجيب جويفل من السجن وأن الذى هربه رجل قانون وآخر ينفذ القانون، وأقول لهم كونوا صادقين مع الناس حتى يصدقوكم، فإن الناس ليسوا أغبياء وما خرج من القلب وصل إلى القلب، أما ما خرج من اللسان فلن يتجاوز الأذان، فالأولى بكم أن تراجعوا فكركم وأن تحسبوا خطواتكم حتى لا تتعثروا ... والله المستعان.

التجمع الجديد الذى يدعوا إليه الإخوان أسوة بغيرهم سيزيد من التراجع الفكرى حتى يظفروا بمباركة القوى المشاركة لهم.

ليعلم كل من يتحالف مع الإخوان أنهم سيتركونه وحده فى الطريق عند أول بادرة بمنحهم بعض المزايا، لقد أصبحوا الآن دعاة للديمقراطية الحزبية التى طالما حاربوها ووصفوها بأنها أدوات فرقة فى المجتمع !

لقد فسر الإخوان الإيماءات الصادرة من البيت الأبيض تفسيراً خاطئاً، حيث فهموا أن الأمريكان قد نقضوا أيديهم من الحكم الحاضر وأنهم يبحثون عن البديل، وربما أن بعض التلميحات قد أكدت أن البيت الأبيض لا يعارض فى إقامة حكومية دينية إسلامية ودللوا على ذلك أن مثل تلك الحكومة قد نجحت فى تركيا، وبناءً عليه فقد تسابقوا للفهم الخاطئ والرؤية القصيرة كعادتهم .. تسابقوا فى إظهار مواهبهم وقتهم للعم سام.

إنهم يستطيعون أن يحدثوا الفوضى التى تريدها وزيرة الخارجية الأمريكية، واندفعوا يصعدون الحركة ضد الحكومة، المرة تلو الأخرى حتى احترقت أصابعهم واعتقل الكثير من الكوادر المهمة فى الحركة وهم مازالوا قيد الاعتقال ولم نسمع من الأمريكان طلباً بالإفراج عن أحدهم إلا مقولات مهزوزة لها طابع العموم وبالإفراج عن المعتقلين، وانتهى المولد، وانفض السامر وبقى الإخوان فى مكانهم ويحاولون أن يجدوا لهم دوراً جديداً يلعبونه حتى يبينهم فى الساحة فقلدوا الآخرين بأن يجمعوا بعض الساسة والأساتذة ويجعلوا منهم مؤتمراً وطنياً مثل باقى المؤتمرات التى تشكلت أخيراً لبحث الإصلاح والديمقراطية، المهم أن يظلوا موجودين والله أعلم متى سوف يقومون بمغامرة أخرى حين تصدر بعض الإيماءات الأخرى أم أنهم سوف يتعلمون الدرس ولا يندفعون نتيجة للعزلة التى يحسونها والتى حكمت حركتهم فى الفترة الأخيرة حيث بذلوا الكثير من المحاولات لانتزاع اعتراف الحكومة بهم.

ومن الواضح أنهم ضجوا مما هم فيه من إهمال وتهميش، وما لبثوا أن سمعوا من الإدارة الأمريكية تلك الإيماءات الغزلية لهم حتى فسروها بحاسة التفكير بالتمنى، ولكن هذه الإشارات كانت كالعادة بالونات اختبار عن سرعة استجابتهم ونوع هذه الاستجابة .. إنه نوع من غسيل المخ الجماعى والذى يجيده الأمريكان ويستعملونه فى أماكن كثيرة، وكان أولى بهم أن

يقرءوا إعلانهم فى أكثر من مناسبة أن الإسلام هو المستهدف، وأن الخطاب الديني لابد أن يتغير، أن مناهج التعليم لابد أن تعدل ويحذف منها كل ما هو ضد إسرائيل أو يدعوا إلى كراهيتها، بل كان أولى همن يتعظوا من تجميد أصول بنك التقوى وهى أموال الإخوان أولاً وأخيراً، ثم التحقيق الذى هو المسئول عن التنظيم الدولى للإخوان فى نفس الوقت، لقد أدرج الأمريكان سوف يتركون الباب مفتوحاً بينهم وبين الجماعة لممارسة المزيد من الضغط فقد أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية فى محاضراتها بالجامعة الأمريكية، أن اتصال مباشر بينهم وبين الإخوان ولكنها لم تنف وجود اتصال غير مباشر، إن مركز ابن خلدون يضغط بشدة لحذف البند الخاص بأن الإسلام هو دين الدولة، وهو بوق الأمريكان فى مصر.

إن الظاهر الآن للجميع أن ما تبقى من فكر الإخوان بعيد كل البعد عن الإخوان الذين نشأوا منذ سبعين عاماً على يد حسن البنا، فأولى لهم الآن أن يغيروا اسم الإخوان المسلمين إلى أى اسم آخر وتنتهى المشكلة، فالاسم هو الباقى حتى الآن من التركة، إن التجمع الجديد الذى يدعوا إليه الإخوان، أسوة ببعض التيارات الأخرى سيزيد من التراجع الفكرى خطوة تلو الأخرى حتى يظفروا بإعجاب ومباركة القوى المشاركة معهم فى هذا التراجع الفكرى، أى التجمع من أجل الديمقراطية الذى أنشأوا حديثاً من جميع الفئات الفكرية .. والله المستعان على ما هم فيه.

لقد أصبح الإخوان دعاة للديمقراطية الحزبية التى طالما حاربوها ووصفوها بأنها أدوات فارقة بين المجتمع، وللأستاذ محمد قطب رأى فى الديمقراطية حيث كتب (وفى لعبة الديمقراطية، التى انبثقت عن الثورة الفرنسية، والتى يعجب المستعبدون للغرب حين نقول أن اليهود لهم فيها مأرب متعددة، فى تلك اللعبة تستخدم الجماهير التى لا تملك من الثقافة ولا من الخبرة ولا من القدرة على التحليل والتقويم ولا من النظر الثاقب ما تؤدى

به المهمة الحقيقة المنوطة بها ــ نظرياً ــ فــى الديمقراطيــة، وهــى حكــم الشعب بواسطة الشعب كما يعبر أصحاب الديمقراطية عنها، ومن ثم فعمادها الأول فى تكوين أفكارهم ومواقفهم هو وسائل الإعلام المختلفة، والتى يسيطر عليها اليهود فى العالم ــ كتاب رؤية إسلامية ص91 ــ هكــذا فــإن الفكــر الديمقراطي قد اختلف فيه المفكرون الإسلاميون من معرض، ومــن موافــق ومتحمس، وفى النهاية فى مرحلتنا هذه فإن تلك الديمقراطية التــى يتكلمــون عنها الآن هى وافدة من أمريكا، بل أن يكون لهم فيها مأرب كثيرة ومنــافع شتى وإلا ما حاولوا فرضها على العالم، لقد وصل بنا الشك فى كل ما يــأتى من هناك إلى هذا المدى لأن التجربة مريرة فيما يحاولون فرضه على الدول النامية منذ زمن بعيد. والحقيقة هنا فى كل الأحوال نسير خلفاً يطلــب منــا مفقودى الإرادة، مسلوبى الفكر والعزم، حتى ولو أدى بنا هذا إلى الوقوع فى المهالك، نهم يخططون ونحن ننفذ، والغريب أن البعض يتصور أنــه ينــاقش ويضغط وأنه يغير ما هو موضوع .. ولكن الحقيقة أنها لعبة ونحن أدواتهــا ولسنا لاعبين أصليين فيها، بل ولا نملك أدوات الدخول فى الملعب كلاعبين، هل أدرك الإخوان ذلك حين ينتقلون من مطب ويقعون فــى حفــرة أعمــق وهكذا، فالمسيرة ليس فيها منهاج إسلامى ولكن كلها أفكار مستوردة ونحــن نتعامل معها بنفس الأسلوب الذى نجيده .. وهكذا فقد فقدنا الرؤيــة وضــلنا الطريق حيث الوسيلة غير إسلامية وسوف تؤدى إلى نتائج غيــر إســلامية فالمناهج الإسلامية لابد أن يؤدى بالضرورة إلى نتــائج إســلامية والعكــس صحيح.

إن قبول الإخوان أن يكونوا أقلية مضطهدين لأمر خطير وافقوا على أن يكونوا جماعة منسلخة من مجتمع المسلمين الموجود فى مصر وهم بهــذا إما اعتبروا أنفسهم جماعة ويترتب على هذا الفهم تفكير المجتمع كله دون أن يعلنوا ذلك أو أن يكونوا قد وافقوا على هذا الوصف للاســتفادة مــن دفــاع

الأمريكان عن الأقليات المضطهدة فى العالم الإسلامى لعل ذلك يرفع عـنهم ما هم فيه من عنت وإهمال، ولكن ليعلموا أن ما يراد بمـصر أخطـر ممـا يتصورون، فمصر مستهدفة فى آمنها وفى وحدتها وفى اقتـصادها والعـين يقظة فقط هى التى تعمل على حماية مصر من تلك الأخطار ويسير بها إلـى بر الأمان على أن الإخوان دائماً ما يتحركون أثناء الأزمـات فـى محاولـة الاتفاق مع القوى الوطنية الأخرى، كما يحاولون هذه الأيام كما قلـت آنفـاً تشكيل لجنة وطنية من قوى مختلفة، هكذا فعلوا من قبـل أثنـاء مفاوضـات صدقى باشا مع الإنجليز، حيث تحالفوا مع الوفد والشيوعيين على مراقبة تلك المفاوضات ووضع شروطاً لها، ثم انقلب الوضع إلى رفض المفاوضات من أساسه وظلت المعارضة بكل أشكالها مـن مظـاهرات مـستمرة وحرائـق والاعتداء على الممتلكات العامة حتى استقال صـدقى باشـا وتـلاه وزارة النقراشى والتى أيدها الإخوان بعد أن غدروا بحلفائهم لمجرد أن الحكومة قـد أظهرت لهم بعض اللين وبعض الوعود الخاصة، فقد تنكبوا لحلفائهم ولـيعلم كل من يتحالف مع الإخوان فى هذه المرحلة أنهم سوف يتركونه وحده فـى الطريق حين أول بادرة من الحكومة بإعطائهم بعض المزايا أو الإفراج عـن المعتقلين، ولذلك فقد رفضت حركة كفاية الانضمام إلى التجمـع الإخـوانى لعلمهم التاريخى بما سيكون من الإخوان .. إلى جانب ضيق أفقهـم وقـصر رؤيتهم للأحداث والتاريخ، إن كل ما يريده الإخوان من كل هذا هو الـسماح لهم بالعمل العلنى المعترف به، وهم فى سبيل ذلك مستعدون لـدفع أى ثمـن وقد كان هذا هو حالهم حين خرجوا من السجون فى عام 1949 وقد حاولوا من جديد التمسح بأذيال الوفد على أنه حزب الأغلبيـة ولـيس بينـه وبـين الإخوان أى تعارض كما قال صالح عشماوى فى هذا الوقت لمراسل وكالـة أسوشيتدبرس .. (إن الوفد هو الحزب الشعبى لمصر وأعضاء ينتمون إلـى نفس الطبقات التى ينتمى إليها الإخوان، أى الطبقات الشعبية، وعلـى ذلـك

فليس هناك أى تنافس بين الجماعة والوفد) حتى أنهم كــى يرضــوا حــزب الوفد فقد اقترحوا تغيير اسم الجماعة إلى "النهضة الإسلامية" وبعد قليــل تــم اتهام الوفد بالغدر والخديعة، وعادوا مرة أخرى إلى العداء والتقليــد بيــنهم، أنهم يكررون أخطائهم بنفس القدر ونفس الأســلوب ولا يتعلمــون أبــداً ولا يستفيدون من أخطائهم مع أن حديث الرسول " لا يلدغ المؤمن مــن جحــر مرتين" فلعلهم يعودون ويتعلمون ويــصححون مــسارهم .. إن الأمريكــان ينجيكم لأمر خطير أرجوا أن يخيبكم الله منه لأن فيه دماركم ودمار أجــزاء كبيرة من وطننا الحبيب مصر، إننى إذ يجب أن نقف جميعاً صفاً واحداً لدرأ أى خطر داهم لأن بلدنا الحبيب قد مر عبر العصور بمشاكل كثيرة .. وقــد هزمها بفضل تكاتف أبناء هذا الوطن ولــيس أدل علــى ذلــك مــن وقفــة المصريين ضد التيار فى وقت كانت مصر فيه مهترئة مقسمة ولكــن عنــد الخطر الداهم التحم الجميع.

- ابتكروا أسلوب "الحزب المتفجر" فى عمليــة اغتيــال عبدالناصــر 1954.
- قسم الوحدات برئاسة صلاح شادى ابتكــر عربــة الــسيد المحملــة بالمتفجرات.
- لديهم جماعات انتحارية .. وجماعات العنف خرجت مــن عبــاءتهم بطريقتهم.
- مفجرو "الأزهر وعبدالمنعم رياض" .. وضع لهم التنظــيم طريقــة السير وأسلوب العمل.

تتحمل جماعة الإخوان المسلمين المسئولية عن جميع أعمــال العنــف باســم الدين التى تحدث فى أى مكان فى العالم الإسلامى وبجميع صوره وأشــكاله، والحقيقة أنى حين قلت أن جماعات الإرهاب خرجت من عبــاءة الإخــوان

فإننى لم أجانب الحقيقة ولكننى أعود أكرر أن جماعات العنف باسم الدين لـم تخرج من عباءتهم أفراداً، فقد خرجت من عباءتهم فكـراً واعتقـاداً، وهـذا أخطر بكثير وأشمل من مجرد أفراد لأن التفريخ مستمر، مادام هـذا الفكـر المتمكن والمتماسك والبراق فى أعين الشباب موجوداً، بل ويتـدد باسـتمرار فسوف يكون هناك إعمال لهذا الفكر باستمرار على هيئـة جماعـات تقـوم بأعمال قتل ونسف وانتحاريين وسيارات مفخخة تقتل من تـصادف، سـواء كان مسلماً أو سائحاً أو عدواً أو صديقاً، فإنها لا تبصر ولا تختار ضـحاياها لأن مبتكرى هذا النوع من الإرهاب أجبن من مواجهة عدوهم وقتاله وجهـاً لوجه، ولكنهم يتبعون أسلوب العصابات الدولية الذين يفجروا طائرة بمن فيها لأنهم يريدون تصفية شخص ما يركب فى هذه الطائرة.

ولقد انتشر هذا الأسلوب الجبان فى كل مكـان فنجـد الانتحـاريين والسيارات المفخخة فى العراق وفى لبنان وفى السعودية وفى الجزائر بأنهـا باختصار فى كل مكان به قلاقل، وإننى أحمل الإخوان مسئولية هـذا الخلـل الذى أصاب عقول وحركة جميع فرق المقاومة فى كل مكان، ولا أدرى مـا هى الفتوى التى صدرت باستعمال هذا النوع الخسيس من الحرب ؟ وكيـف افتوا بقتل الأبرياء الذين لا دخل لهم بالصراع ولكن تصادف وجـودهم فـى مسرح الجريمة، إنها فقط لا تزيد من سخط الناس المسلمين على هذا الفكـر وتستعدى غير المسلمين على الإسلام، بل وضعت المسلمين جميعاً فى حالـة دفاع مستمر وتراجع مستمر ويعلم الله إلى أى مستوى سوف تصل.

أنا لا أفترى عليهم ولا اخترع من عندى فتلك الوسائل التى أعيبهـا عليهم وأتهمهم بابتكارها ثم صارت أسلوب عمـل عنـد جميـع المنظمـات المماثلة، فهم سيحاسبون أمام الله عن كل فرد استعمل هذه الأسـاليب لأنهـم مبتكرون.

إنها : 1- الحزام الناسف والذى ابتكره الإخوان عام 1954 لقتل عبدالناصر، وكان أول من تطوع لاستعماله هو الأخ نصير، وهذا الأسلوب هو الذى تطور بعد ذلك ليصبح القنابل البشرية، والمنتحرين والأجسام المفخخة وهكذا فإن الإخوان مسئولون عن هذا الفعل وعن كل من استعمله وقتل الناس عن طريقه ... 2- أما الأسلوب الآخر فهو السيارات المفخخة والتى تستعمل حتى الآن الإرهاب الناس وقتلهم رجالاً ونساءاً وأطفالاً، هذه الطريقة وهذا الأسلوب يستعمل الآن فيما يسمى الكفاح ضد الغزاة .. وزعزعة الأرض تحت أقدام الحكام.

لقد ابتكره أحد أقسام الإخوان وهو قسم الوحدات الذى يشرف عليه صلاح شادى، فقام بتفجير عربة محملة بالمتفجرات فى حارة اليهود بالقاهرة فى 1948/6/5، ثم أتبعها بتفجير عربة يد أخرى فى نفس المكان وهو حارة اليهود فى 1948/7/19، وقد كان هذا فى شهر رمضان، وقد قتل فى هذا الحادث مفجر العربة وعدد من المارة الذين لا حول لهم ولا قوة، إلا أنهم يمرون فى نفس الشارع المفروض أن يكون آمناً.

والغريب أن أحمد عادل كمال، وهو من قيادات النظام الخاص فى هذا الوقت قال: "كان الرأى العام يدرك أن الإخوان هم أصحاب هذا النوع من العمليات، وكان كبير الثقة بالإخوان حتى أنه حين تقع حادثة ليست على المستوى كان يدرك أنها ليست من صنع الإخوان" وهكذا كان مثل هذا العمل الآثم محل فخر من الإخوان .. وهذا ما حدا بالكثيرين أن يقتدوا بهم حين يريدون التشابه، فيقلدونهم، فهم قادة هذا النوع من الإرهاب، هكذا خرجت المجموعة التى قامت بالتفجير بالأزهر، وميدان عبدالمنعم رياض، ثم المنقبتان فى السيدة عائشة، إنهم لا يحتاجون إلى تنظيم يوجههم إلى قيادة لكى تصدر لهم الأوامر، فالتنظيم قد وضعه لهم طريق السير وأسلوب العمل وقد سن لهم السنة السيئة والتى سيحاسب عليها وعلى كل من فعلها إلى يوم

الدين، فيما أيها الإخوان لا يكفى أن تشجبوا العمل بـــأقوال متـــرددة، ولكـــن ينبغى أن تراجعوا هذا التاريخ وتعتذروا عنه جزءاً جزءاً، فـــأنتم مـــسئولون أمام الله عن تلك الجنايات التى انتشرت فى جميع أنحاء العالم، وكفى الحديث بوجهين، وجه مع الإخوان ببث سمومه ووجه آخـــر للعامـــة يتحـــدث عـــن الإسلام وكأنهم ملائكة، يقولون الله غايتنا ويقول الله " ولا تقتلوا النفس التـــى حرم الله إلا بالحق" ويقولون الرسول زعيمنا ويقول الرسول فى وصيته إلى المقاتلين من المسلمين وهم يقاتلون غير المسلمين "لا تقتلوا طفلاً ولا شـــيخاً ولا امرأة" فكيف يكون القتل بعد ذلك عشوائياً فى الطرقات العامة عن طريق القنابل البشرية، أو السيارات المفخخة التى ابتدعها الإخوان، ونظرة ســـريعة إلى الأسلوب الذى استعمله الإخوان لمعالجة موقفهم من هذه الأحداث الأخيرة ومحاولة تنظيف وجههم من نتيجة العمل أمـــام جمـــوع المـــواطنين، كيـــف استنكروا العمل وتركوا ضحاياهم يواجهون مصيرهم وحـــدهم، فقـــد أعلـــن الدكتور حبيب النائب الأول للمرشد فى جماعة الإخوان يقول فيه أن الجماعة تستنكر هذا العمل، ولكنهم فى نفس الوقـــت لـــو قـــرأت الجريـــدة الحزبيـــة المعارضة التى تتحدث باسمهم تحاول فى طى صفحاتها أن تهون من الأمر، بل تشكك فى بيان الداخلية وما احتواه، وتعزو ما حدث إلى أمور أخـــرى لا دخل له بالواقع الذى حدث، فيها إخوان تابوا إلى الله، واستغفروه قولاً وفعلاً بإعلان مسئوليتكم عما يحدث للإسلام على أيديكم وكلما أسرعتم بالتوبة كلمـــا كان ذلك أكرم وأدعى إلى قبول التوبة.

لقد أصاب الإسلام ضرر كبير على أيديكم، وعبر تاريخهم الطويـــل والذى يصل إلى سبعين عاماً من العنف الذى ترسخ فى وجدان الناس علـــى أنه الإسلام والدين منه براء.

لقد أصبحوا أسرى لهذا الفكر المتطرف ولا يستطيعون الفكاك منـــه، وكل همهم أن يعلنوا أن هذا الفكر له صفة العالمية وأنهم ينتشرون فى العـــالم

أجمع، وقد قال الأستاذ الهضيبي المرشد الثانى للإخوان فى إحدى المناسبات "نحن معشر الإخوان المسلمين لا نعترف بحدود جغرافية فى الإسلام، وإن اهتمامنا موجه لعزة الإسلام وسوف نخوض دفاعاً عنه المعركة التى تضم العالم الإسلامي برمته، فعلى سبيل المثال قد لا يكون مهماً بالنسبة للإسلام أن تبدأ المعركة فى القناة بل أن تبدأ من تونس أولاً، إن لنا خططنا وأهدافنا وقادتنا المستقلين الذين يكرسون حياتهم لهذا المجال الرحب، وليس ضرورياً أن تستثمر رؤيتهم المحلية فى مصر.

هكذا فإنهم اقتنعوا بما يفعلون وأطلقوه فى العالم وعلموه لجميع القادة المحليين فى كل دولة، وما عليهم إلا المتابعة والتطوير، ولكن البداية خطأ والمتابعة مزيد من الخطأ والإعلان عن هذا الخطأ، التوبة منه وإلان ذلك للعالم والإقرار بمسئولية النفس وبتوبة شديدة أمام الناس، ولكن لينظر كيف يقابل ربه وفى رقبته دم طفل أو شيخ أو امرأة لا جريمة لهم إلا أن ساقتهم الأقدار إلى مواقع الإخوان، ليقابلوا ربهم أطهار يطلبون من الله القصاص لهم ممن ظلمهم بغير سبب جنوه إلا أن كانوا ضحايا لفكر الإخوان، وأساليب الإخوان فى القتل والنسف والتدمير، ن هذا الفكر منذ نشأت وبمراقبة أساليب تطبيقه هو فكر تكفيرى يكفر الناس جميعاً ما لم ينضموا إليهم، وإنه لهول عظيم، فالناس غير المنضمين للإخوان من جهة نظرهم مرتدون، لا توبة لهم ودمهم حلال ؟!

وكان عداؤهم للأستاذ سيد قطب أنه جهز بهذا الفكر، وطوره وقننه، وهم كانوا يعملون على إخفاء تلك الحقيقة طوال عمر الجماعة، فخرج سيد قطب على إجماعهم فى الإخفاء وأعلن أن فقه الجماعة واعتقادها قائم على فكر الخوارج، وفصل هذا الفكر وصدرت فيه كتب كثيرة حتى أعتنقه الكثير من الجماعات الإسلامية.

وهو يقول على :

أولاً : إن الحاكيمة لله، وهو بهذا يلغى أى ولاء آخر لحكام الأرض.

ثانياً : إن الشعوب الإسلامية الحالية تعيش فى جاهلية ينبغى دعـوتهم مـرة أخرى ليجدوا إسلامهم ويتبعوا الإخوان المسلمين، ومـن هنـا جـاء استحلال أرواح الناس وأموالهم.

الحقيقة أننى أين أتحدث إلى الإخوان الآن ناصحاً لهم أن يتوبوا عما قدموا من قول أو فعل كان سبباً للعنف والإرهاب، إلا أننى لا أعتقـد أنهـم قادرون على الاستجابة فإنهم كما وضحت من قبل أصبحوا أسرى لهذا الفكر بل أنهم على العكس ماضون فـى مخطـط التـصعيد وإدارة الـصدام مـع الحكومة، ويبدو أنهم هذه المرة يعتقدون أنها الفرصـة الـسانحة ويريـدون استغلالها للنهاية، فقد صعدوا من أسلوب التظاهر رغم عدم موافقـة الأمـن، وبهذا فقط سقط لهم حد القتلى، وتم اعتقال المئـات، وهـم عـازمون علـى المضى قدماً فى هذا الاتجاه، لست أدرى أى نوع من التحالف مع الأمريكان يشد أزرهم إلى هذا الحد، غير أن تصريح كونـاليزا رايـس الأخيـر عـن الفوضى وكيف يمكن استغلالها.

والغريب أن محطة سوا الأمريكية تحدثت بنفس المعنى، وبينما يفعل الإخوان هذه الفوضى لحساب الأمريكان، وهم يعلمون جيداً أن الأمريكان هم المستفيدون من هذه التحركات إذا بهم يعلقون اللافتات فى كـل الـبلاد أن لا للأمريكان، والدعوة إلى مقاطعة كل ما هو أمريكى، إنه أسـلوب الإخـوان الدائم للتغطية على أفعالهم واتصالاتهم، وإننى أقول لهم أما اكتفيتم مـن هـذا العمل الذى يتكرر كل مرة بوهم التأييد من بعض القوى، ثم يتركونكم دائمـاً لتواجهون مصيركم وحدكم، فأنتم بالنسبة لهم لا تزيدون على مخلب قط يـتم استغلاله، وفى النهاية يجنى الآخرون الثمرة ثم تداسـون أنـتم بالأقـدام، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وأنتم لا تتعلمون، ولا تفهمون الدرس، ولا

أملك إلا ابتهال إلى الله أن يهديكم سواء السبيل.

قال لى أنه يرى ــ فقيهاً ــ أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة، فلا جمعة إلا بخلافة .. وكان رأياً غريباً على لكنى اضطررت لقبوله باعتبار أنه أعلم مني ..

قراءة فى فكر "سيد قطب"

تنظيم "القاعدة" يعتبر فكراً نبراساً له ودليلاً يهتدون به، وبعض الجماعات الأخرى انتهجته وزادت انحرافاً عنه.

تأثر بنظرية المؤامرة فقد رأى الحركة الصهيونية سيطرت على المعسكرين الشرقى والغربى، فكان ذلك مدخلاً لما تلاه من آراء سياسية !

كان المرحوم سيد قطب لا يصلى الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدئ الموقف وقلت له هيا إلى صلاة الجمعة وقد فوجئت حين قال لى أنه يرى فقيهاً أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة وأنه لا جمعة إلا بخلافة، وكان هذا الرأى غريباً على، ولكنى قبلت على اعتبار أنه أعلم منى وكان يرى أن تربية العقيدة وتصحيحها هو بالإسلام، فكان قوام هذا البناء العقيدى هما :

أولاً : أن الاعتقاد الإسلامي يقوم على الفهم الحقيقي والتدقيق لمعنى التوحيد الوارد فى كلمة "لا إله إلا الله وقال أن هذا المعنى كان يفهمه المسلمون الأوائل أو العرب فى صدر الإسلام، لأنهم كانوا علىّ ذراية تامة باللغة العربية وهم أهلها، ولكن الناس فى هذا الزمن الذى نعيشه قد فقدوا معنى اللغة والإحساس بها، وقد تعددت اللهجات بحيث لا تعنى المعنى نفسه، فقد يقال فى الصيد إن فلاناً قد قتل فلاناً ولو شهدت المحكمة بهذا لأعدم القاتل، ولكنها عندهم تعنى أنه ضربه بشدة.

كان الأستاذ سيد قطب يدلل بذلك على أن اللغة العربية قد تعددت لهجاتها بشكل أفقدها معناها الأساسي، وأنها مستهدفة بقصد تضليل الفكر الإسلامي وتحريفه، وأن فهم كلمة "لا إله إلا الله" أيام الرسول كان يعنى الإيمان بالله ورسوله إيماناً بالله ورسوله إيماناً قاطعاً ينفى أى تبعية أو إيمان خضوع أو خوف من أى شئ آخر إلا بالله، وكان الرسول يقول للناس تؤمن بالله وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وهذا معنى انتقاء وجود الأرباب لأن خلع دماً دون الله هو عدم الخضوع لأى أحد أو فكر أو عادة أو عرف يخالف أمر الله، ولذلك فإن فهم الإسلام وإعادة تذكير الناس به بهذا المفهوم وهو ضرورة حقيقية لإعادة بعث الفكر الإسلامي والعقيدة فى نفوس المسلمين الذين تاهوا عن الطريق والذين قد انحرفوا وابتعدوا عن أصل العبادة، فلا سلطان لحاكم يحكم بغير شرع الله ولا سلطان لأب بأم أبنائه بعصيان الله، فقد قال الله فى موقف سيدنا إبراهيم "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه"، وإن طاعة المرأة لبيوت الأزياء، حيث يلبسونهن غير ما شرع الله فيطعنهم فذلك عبادة لهم وهكذا قياسياً على هذه الأمثلة.

ثانياً : إن رحلة الأنبياء من أول نوح حتى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ تتلخص فى أمرين : 1- الدعوة إلى إسلام الأنبياء قد جاءوا بهذا المعنى توحيد الله سبحانه وتعالى: "أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً" ثم "إن الدين عند الله الإسلام" هذان المعنيان هما "لبط الرسالات المتعاقبة من أول نوح حتى محمد، وهذا تدليل على وحدة الرسالات السابقة منذ بداية الخلق، ولهذا فإن كان ذوو الأديان السابقة للإسلام قد فرطوا فى عقيدتهم وبعيدوا عنها فقد اعتبروا متخلفين عن دينهم واعتبروا أنهم عادوا إلى الجاهلية مرة أخرى، ولذلك فإن بعد المسلمين بنفس القدر وإذ فرطوا فهم بذلك قد استحقوا أن يقال عنهم أنهم ارتكنوا إلى الجاهلية هم أيضاً، وأنه لابد من إعادة

تصحيح عقيدتهم مرة أخرى، وقد رأينا حين قيل لنا هــذا القــول أن النــاس ليسوا مسلمين ويترتب على هذا الإحساس أمور كثيرة وخطيرة منها اعتبــار الناس كفرة ويترتب على ذلك نأكل ذبيحتهم وألا نتزوج مــنهم وأن نعتــزلهم وأن نستبيحهم .. وأن .. وأن .. الخ.

نرى من ذلك أن هذا الفكر كان الأم المخزية لجماعات كثيرة انتهجت هذا النهج وصارت عليه، بل زادت انحرافاً عنه منها جماعة التكفير والهجرة وبعض الجماعات الأخرى حتى أن تنظيم القاعدة يعتبر فكر سيد قطب نبراساً له ودليلاً يهتدون به فى وضع خططهم وكان الأستاذ ســيد قطــب يــرى أن الأستاذ البنا كان عالماً بما نفعل وكان الهدف واضحاً فى ذهنه أنه قد حدد له الوسائل والمراحل بدليل وجود مجموعات فى الشعب ووجود تنظيم خــاص لهذا البرنامج وأن الدعاة فى مثل حالتنا لا ينبغــى أن يقولــوا كلمــا يــرون للمسلمين أو للناس لأننا لو قنا لهم ابتداء أنهم غير مسلمين لنفروا منا، ولكــن ينبغى أن يكون هذا الفهم بيننا لولا نجهر به للآخرين وإنما علينا أن نحــاول فقط تصحيح اعتقاداتهم وتفهيمهم ثم ربط تصحيح اعتقــادهم وتفهــيمهم ثــم ربطهم بنا فى النهاية.

وكان الأستاذ سيد يرى أن الجماعة مستهدفة من الخارج من القــوى المعادية للإسلام وأنهم أدخلوا إلى الجماعة بعض أعضائهم أو جنــدوا مــن داخل الجماعة أفراداً أو يعملون لصالحهم، وقال أن الأستاذ البنا كان يعلم هذه الأمور ولكنه يجهر بها لباقى الأخوة، فقد كان يتصرف بحكمة وكان يخفــى عن هؤلاء الناس الأسرار التى يريد أن يمنعها، وكان يبلغهم بــالأمور التــى يرى أن عليهم أن ينقلوها دون أن يحسوا أنه قد اكتشف حــركتهم فقــال أن الأستاذ البنا لم يكن أحد غيره يعلم بوجود هؤلاء الناس الذين يعلمون للقــوى المعادية داخل الجامعة العليا فى الجماعة وأن يحكموا قبــضتهم عليهــا إلــى جانب أن باقى القيادات التى كانت موجودة مع الأســتاذ البنــا، كانــت كمــا

وصفهم تقف على كتفيه، لذلك فقد كانوا يرون أنهم فى مثل طوله وأنهم أنداد له لأنهم يقفون على كتفيه فيرون رؤوسهم بجانب رأسه، ولكن حين اختفى ظهرت هذه القيادات على حقيقتها وباتت بحجمها الطبيعى وهم حجم الأقزام، ولم يستطيعوا أن يسيروا بالجماعة ليكملوا الطريق الذى وضعه الأستاذ البنا، وبدأت المشاكل وبدأ العمل المعادى لتحطيم الجماعة من الداخل ومن الناحية السياسية، فقد كان الأستاذ سيد قطب متأثراً جداً بنظرية المؤامرات، فقد كان يرى أن الحركة الصهيونية قد سيطرت على المعسكرين الشرقي والغربي، وكان هذا دائماً مدخلاً لما سيتلوه من آراء سياسية، وقد كان يرى أن اليهود بعد اضطهادهم فى أوروبا لسنوات طويلة هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى أمريكا، وهؤلاء من يهود هولندا ومنهم من اتجه إلى تركيا وهم يهود الدونمة الأسبانية الذين هربوا من محاكم التفتيش هاربين من اضطهاد المسيحي وبالنسبة لفريق الدونة فقد اعتنق جزء كبير منهم الإسلام مع الإبقاء على ديانتهم اليهودية، وهؤلاء كان لهم تأثير كبير فى وضع المخططات للسيطرة على الحركة الإسلامية لهدم الإسلام كما علموا على السيطرة على المسيحية وتوجيهها إلى صالحهم بعد أن أحكموا سيطرتهم على الفكر المسيحي استطاعوا أن يغيروا فيه الكثير ليخدم مصالحهم ثم استخدموا المسيحية لهدم الإسلام، وقد بدأ هذا الاتجاه بعمليات التبشير التى تمت فى كثير من الأقطار الإسلامية النائية، ثم استبدل التبشير بالاستشراق، وكان الاستشراق مبيناً على أساس هدم ومناوءة الفكر الإسلامي عن طريق بعض الغربيين الذين يكتبون عن الإسلام ومنهم من غالى فى حربه ضد الإسلام بصورة ساحرة مثل اليهودى "جب" الذى كتب كثيراً من الكتب التى تعرض بالإسلام ديناً وبمحمد شخصياً، وكان بعضهم يلجأ لكى يؤثر فى المجتمعات الإسلامية التى يتبع أسلوباً أكثر دهاءً، فيكتف كتباً تمجد فى الإسلام، ولكن فى نواياه يهدد جزئية صغيرة كى يبلغها القارئ بدون أن يحس.

الخاتمة

الإخوان إلى أين .... ؟

لابد من استشراف مستقبل هذه الجماعة مع الأخذ فى الاعتبار كل ما جاء من معلومات عنها، ولقد نوهت فى الخاتمة إلى احتمال أن تستهلك هـذه الجماعة فى حرب طائفية مع الأقباط إلا أنه يبقى احتمالات أخرى منهـا أن تتاح لهم الفرصة لاعتلاء كرسى الحكم وعندها سوف يتغير المسرح تمامـاً وحيث أنهم سيجرون البلاد إلى صدام عالمي بدأ من إلغاء الاتفاقات الموقعـة مع إسرائيل ولهذا الأمر تداعيات كثيرة بدأ من الحصار الاقتصادي العـالمي وانتهاء الغزو العسكري للبلاد وهم لا يجدون غضاضة إلى جر الـبلاد إلـى تلك النتيجة حيث يجدون مجدهم القديم فى تنظيم حرب عصابات ضد المحتل وهذا الهوس هو جزء لا يتجزأ من فكرهم المريض حيث صـرح مرشـدهم الحالي محمد مهدي عاكف فى لقاء مع مجدى مهنـا فـى إحـدى القنـوات الفضائية إلى هذا السيناريو، أى هوس هذا وقانا الله وحفظ البلاد من مثل هذا المصير .

أو أن يهبهم الله مرشداً جديداً فى عقله بعض الانفتاح والمرونة التـى تجعله يقود الجماعة لصالح البلاد والعباد ولا يتصادم مـع القـوى العالميـة ويحذوا حذو حزب العدالة التركي الذى يحكم تركيـا الآن فيعطـى الإسـلام معنى جديد يمسح من عقول العالم فكـرة الإرهـاب التـى ارتبطـت باسـم المسلمين.

على عشماوي

"الإخوان المسلمين" .. إلى أين ؟ سؤال يطرحه كل الكوادر السياسية المحبة لمصر وأصبح الحديث فى هذا الموضوع مثار بشدة، فى قنوات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد، وتناوله جهابذة السياسة المصريون، ويكاد الإجماع بينهم على أن هذه المشكلة ينبغى أن يوجد لها حل عملي واقعي يتناسب مع تواجدهم فى الساحة، ولكن بشروط أن يتم التأكد أنهم مستعدون أن يقبلوا بالاندماج فى المجتمع بشروطه المدنية، وليس بفكر ديني فقط، فهم قد طلبا أن يكونوا حزباً سياسياً مدنياً، وعليهم أن يعرفوا تبعات هذا الطرح ويتجاوبون معه دون التواء أو مداراة، ولكن ينبغى أن يكون حديث هذه المرة جاداً جداً لأنها الفرصة الذهبية التى تفتح الباب أمام الإخوان ليكونوا جزءاً معترفاً به ضمن المنظومة الوطنية المصرية وهذا يتطلب منهم جهداً صادقاً للقاء من يريدون لهم الخير فى منتصف الطريق، وأنا أعرف ما لدى الإخوان من مشاكل تثقل كاهلهم، والحقيقة التى لا ريب فيها أن أهم هذه المشاكل تتركز فى أن هناك انقساماً شديداً فى الرأى داخل الجماعة، ويتطلب الحسم الواضح، فإن الجماعة من الداخل بتنازعها طيران مهمان الطيار الذى يقول (من رأى منكم منكراً فليغره بيده) ويقول أيضاً (وقاتلوهم حتى تكون فتنة ويكون الدين لله) هذا الطريق الذى يتخذ العنف طريقاً منهجاً، ولكنهم ملتزمون برأي المرشد ومكتب الإرشاد فى التهدئة، ولكنهم حين تأتيهم الفرصة فسوف يطلبون برقابهم لمحاولة السيطرة على مقدرات الجماعة والانعطاف بها فى طريق دموي نسية الجميع ويحاولون أن ينسوه وأن ينساه الآخرون، والفريق الثانى هو فريق يدعو بالحسنى واللين متمثلاً فى قول الله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن" هذا الفريق هو الغالب ــ الآن ــ وينبغي حين نتعامل مع الجماعة ألا نغفل هذا التقسيم، وأن الفرقاء يتصارعون صراعاً دائماً وأن كان الفريق الأضعف ينضوى تحت راية الطاعة حتى تقوى شوكته، وهو دائماً متتمر

حتى تأتيه الفرصة ليظهر إلى السطح، ويأخذ بناصية الأمور، وهـذا حـال الإخوان دائماً لا ندرى من حكم الأمور، والحمد لله فإن الأمور فى هذه الأيام فى أيد عاقلة، أرجو أن يأتى منها الخير للجماعة وأن يأخذوا الأمور مأخـذ الجد ويحاولون توفيق أوضاعهم مع ما يتلاءم مع المجتمع المدنى الذى نعيشه وأن يدرسوا بعناية المقترحات التى صدرت عن أساتذة السياسة العقلاء مثـل الأستاذ عماد الدين أديب الذى نكن له كل الاحترام والتقدير والذى كتب تحت عنوان "إصلاح الإخوان المسلمين" وقد حدد شروطاً عامة على الإخـوان أن يعلنوها ليكونوا أهلاً لقبول المجتمع لهم، وهذه الـشروط هـى : 1-إعـلان الجماعة أن الدستور هو المرجعية العليـا للنظـام الـسياسي، 2- أن نعلـن الجماعة عن غربتها أن تكون حزباً سياسياً شرعياً وليس جماعة دينيـة، 3- أن البرلمان هو الجهة الوحيدة للتشريع فى البلاد، 4- أنها مثـل أى حـزب شرعي تؤمن بأن الوصول إلى السلطة والحكم يتم عـن طريـق الـصندوق الانتخابى وليس عن طريق أى أسلوب آخر، 5- أنها لو فرضـنا ووصـلت للحكم فإنها تلتزم بعدم الإخلال بقواعد الحكم الديمقراطى القائم علـى تـداول السلطة لمن يملك الأغلبية واستحقها من خلال الصندوق الانتخـابى وكافـة الوسائل الديمقراطية المتعارف عليهـا. 6- أنهـا تلتـزم بكافـة المواثيـق والمعاهدات والاتفاقات الإقليمية والدولية التى وقعتها الحكومـات المـصرية متعاقبة.

هذا وقد سمعت كلاماً مماثلاً من الأستاذ أسامة الغزالي حـرب فـى إحدى القنوات الفضائية، ولقد أسعدني جداً اهتمـام هـؤلاء الأسـاتذة بهـذه المشكلة المزمنة ومحاولتهم التصدى لحالها، ورجوت الله أن يتفاهم الإخـوان على أن يقابلوا هذا الاهتمام باهتمام أكبر، حيث أنها الفرصـة التـى كـانوا يتوقون إليها أن يتم التفاهم معهم وعدم تهميشهم وخاصة أننى سـمعت مـن الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح أقوالاً تعد بأنهم سوف يكونـون حزبـاً مـدنياً

يحترم الدستور والمؤسسات الديمقراطية، وأنها لفرصة أن يعلنوا هذا الالتزام علناً ورسمية ببيان صادر من مكتب الإرشاد، ولعله أن يكون فى هذا الموقف الضوء الذى انتظروه طويلاً ليحقق آمالهم، هذا وإن حدث لهم المرام وتحقق هدفهم وصارت لهم الشريعة فى أن يكونوا حزباً سياسياً، ألا نسمع مهاترات كثيرة قيلت من قبل عن التمكين والنصر وهذه الصغائر المستفزة للآخرين، وألا يشوب حركتهم بغي ولا اتهام من خصومهم، ولا تصفية حسابات قديمة لأن ذلك من شأنه أن يذهب بهم إلى القاع مرة أخرى، وأن يعملوا على إجادة الاندماج فى المجتمع وألا يظلوا مجموعة متوجسة من الأجرين منطوية على نفسها، لأن هذا من شأنه أن يزيد من العبء النفسي الذى يعانون منه الآن، وأن ينفتحوا على الناس وعلى الدنيا ويتفاعلوا مع الأحداث الدولية والمحلية بأسلوب حضاري.

وعلى الأحزاب المعارضة التى تخشى وجود الإخوان والاستحماء بالسلطة لعزلهم أو تهميشهم أن يبذلوا الجهد الأكبر فى تقوية قاعدتهم وتربية كوادرهم على العمل الجماهيري بدلاً من الاعتماد على السلطة التنفيذية لحمايتهم من الخطر القادم الذى يسمونه التيار الإسلامي، فليس هذا السبيل الأقوم للوقوف أمام هذا التيار لأنه أسلوب العاجزين والفاشلين وإنما يجب أن يكون الاحتكام أساساً للشعب وسلطانه الدائم الذى لا شك فيه، فهو الذى يحمى الأحزاب والمؤسسات وأى قوة تحاول أن تعمل فى داخل مصر، عليها أن تفكر ألف مرة كيف تصل إلى قلوب وعقول الناس.

إن المثل التركي القائم حالياً يعتبر مثلاً يحتذى من قبل قادة الإخوان، وأن يطوروه حسب ظروف العمل فى مصر، وأن يستفيدوا من تداعياته ودروسه، لأن التيار الإسلامي مرصود فى جميع دول العالم، وهو موضوع تحت المجهر وتحت الاختبار ليدرسوا سلبياته وإيجابياته، وأن أصواتاً كثيرة قادمة من الغرب تطلب بإعطاء الفرصة لـ "الإخوان المسلمون"، ولست

أدرى لماذا كل هذا الاهتمام والطلب، هل هو نتيجة قناعة حقيقـة أم أن مـن خلف الأمر مطلباً لا ندرى كنهه ولا طبيعته، المهم أن الحذر واجب من قبـل السلطات من قبل الحكومة، وأيضاً من قبل "الإخوان المسلمون" فالأمر يحتاج إلى كثير من التريث والدراسة.

إن القوة التى تظن أنها على علاقات جيدة بأمريكـا والغـرب فـى جعبتها الكثير بالنسبة للأقليات فى مصر كما هو جار فى العـراق الآن مـن إثارة النعرات الطائفية فى محاولات لتفتيت قوة الشعب وأضعافها حتى تصير بلا قيمة وتسهل الهيمنة عليها، وانقيادها للسادة الجدد، ولقد لمحت بعض تلك المؤشرات فى برنامج السيد أيمن نور حين قال (إننا جميعاً .. فراعنة وعرباً ومسلمين وشرقيين وأفارقة وحدة واحدة) إن هذا التقسيم لم نسمع به من قبـل عن مصر إن بها فراعنة مثلاً أو أي من تلك التصنيفات التـى جـاءت فـى حديث السيد/ أيمن نور، وهو قول شبيه بدعوى مركز ابن خلدون، وتصنيف الأمريكان فى العراق، والذى يكون بداية لإثارة النعرات التـى تـدعو إلـى كراهية المصريين بعضهم لبعض وتربص كل فريق بـالآخر، وإن دل ذلـك على شئ فإنما يدل على أن هناك مخططات يخشى منها على مصر وعلـى وحدة شعبها الذى صمد فى وجه كل غاز ومحتل بفعل تماسـكه، والآن فهـم يبدأون بهدم هذه الوحدة قبل الانقضاض، إن الدعوى إلى الفرعونية وعـودة المصريين إليها لم أسمع بها منذ قال بها حسين توفيق وفى قضيته الـشهيرة سنة 1965، حيث طالب بعودة المصريين إلى الفرعونية القديمة حتـى فـى العبادة، فهو قد نادى بالعودة إليها وطرد العرب من مصر، إلى آخر ما قـال فى أفكاره، والغريب أننى قد ألمح بين الحين والحين تمجيداً للفرعونيـة بمـا ينبئ عن وجود تيار مستتر يعتنق هذه الأفكار الغربية، والتى قد دفنـت مـع التاريخ. إن كل هذا يحدث فى الوقت الذى تظهر فيه الدعوة لعودة الإخـوان، إلى النور وهو يضع عبئاً نفسياً على عاتق قيادات الإخـوان كيـف يكـون

التصرف مع تلك الدعوات الغربية وهى سوف تظهر باسـم الديموقراطيـة والحرية، فإن وافقوا عليها تركتهم جماهيرهم واتهمتهم بالمتـاجرة بمبـادئ الجماعة، بل وأكثر بالعمالة للأجنبى فى سبيل الوصـول إلـى الحكـم، وإن حاربتهم نعتوا بالخشونة والعودة إلى الإرهاب ونبذ الديموقراطية.

وما لم يتدارك الأمر بعض العقلاء وأن تتم محاصرة الدعاوى القادمة عبر البحار وعدم السماح لها بالانتشار مهما كانت مؤيدة مـن أكبـر قـوى العالم، فإن مستقبل مصر فى الميزان أننى أؤكد أن نتيجة الصدام المفتـرض لو حدث فسوف تترك وراءها الكثير من الضحايا، وسوف يكون أكثرهم من الجانب غير المسلم لأن التداخل الموجود بين الأطراف على طـول الـبلاد وعرضها، سوف يفرض سقوط ضحايا ليس لهم فى الأمر شئ وسوف يكون دفع الإخوان إلى الظهور والذى يصر عليه المخططون لهـذا الـسبب كـى يحترقوا فى هذا الصراع وينتهى أمرهم.

يولع الأخوان دائماً بجميع المعلومات والتجسس على الآخرين، وهـم يفخرون دائماً أن لديهم جهاز مخابرات قادر على جمع وتحليل المعلومـات، فهم يتجسسون على كل شئ، على الأحزاب والهيئات، والحكومات، بل علـى الأجهزة، وكل فرد فى موقعه جاسوس لحساب الجماعة، فكل موظف وكـل عامل يرسل باستمرار بأسرار وظيفته أو عمله إلى قيادة الجماعة، بـل كـل ضابط وكل شرطي يقوم بنفس العمل لحساب قيادته داخل الجماعة، وأن هذا السلوك ينوط بهم منذ نشأتهم، فهم يتجسسون على الشيوعيين، وعلى الوفـد، وسوف أورد بعض النماذج السابقة التى عرفت وأذيعت، فقد قـام الإخـوان بإدخال أحد كوادرهم إلى التنظيمات الشيوعية فى مصر.

وأدخل الأخ أسعد السيد الذى كان من مخابرات الإخوان إلى حـزب مصر الفتاة، وبعد أن وصل إلى أعلى الدرجات هناك وهو الحرس الحديدي، قام بإقناع أحمد حسين أن يدخل الإخوان ليأتيه بأخبارهم، ولما ضـبط مـع

الإخوان فى حادث السيارة الجيب، تطوع أحمد حسين للدفاع عنه معتقداً أنـــه ضبط مع الإخوان خطأ، وقد قام الإخوان بجمـــع المعلومـــات عـــن القيـــادة البريطانية فى القناة، ومن الأحداث التى رواها الأخ صلاح شادى عن علاقته بالضابط الإنجليزي "جود" الذى كان على علاقة بالعملاء مـــن المـــصريين، وطبعاً كان هدف صلاح شادي من القصة أن يعرف أسماء العملاء، وإن كان بعض الإخوان قال: لما نما إلى علم الإخوان قصة هذا الضابط، فقد صـــحبه من الإسماعيلية إلى القاهرة، وكانت معه سيارة يقودها "حسن" أحـــد ضـــباط الطيران العراقى الهارب من الحكم الملكي العراقي بسبب ثورة رشيد عـــالي الكيلاني، ولجأ إلى الإخوان فى القاهرة وكلفـــت بوضـــعه تحـــت رعايتـــه والاستفادة من إمكاناته، حتى تتهيأ له أسباب العودة إلى العراق.

وأفهمت هذا الضابط موضوع صلات المخابرات البريطانية بـــبعض المصريين فى الإسماعيلية وأننى سأصحب كابتن "جود" إلـــى القـــاهرة، وأن عليه أن يقود السيارة من الإسماعيلية سائق خصوصي لي، وأن يحاول تبيين ما يحمله الكابتن "جود" من أوراق فى حقيبته، فربما وجدنا فيها ما يفيدنا مـــن هذا الشأن إذا غادرنا السيارة إلى إحدى الاستراحات فى الطريق، حيث نزلت مع الكابتن "جود" وتركت "السائق" حسن مع الحقائب، وعدنا بعد نصف ساعة ليحدثني الضابط حسن حين وصلنا إلى القاهرة عن بعض تقارير رآها مدونة باللغة الإنجليزية خالية من أسماء أصحابها، وإن تضمنت معلومـــات مبالغـــة فيها عن الإخوان المسلمين !! وقائع وهميـــة، وصـــلات أشـــخاص داخـــل الإسماعيلية يعتقد أنهم من الإخوان المسلمين، وقدموا تقـــارير عـــن رجـــال الجماعة فى الإسماعيلية أدعوا فيها أن الإخـــوان لهـــم عـــصابات لـــسرقة المعسكرات الإنجليزية، وذكرت وقائع حقيقية نسبت للإخوان كذباً.

ومن العمليات التى قاموا بها وهى متابعة تنظيم الـــضباط الأحـــرار وجمع المعلومات عنهم وإلحاق بعـــض الإخـــوان معهـــم مثـــل عبـــدالمنعم

عبدالرؤوف وأبو المكارم عبدالحى ومحاولة احتواء أنور السادات الذى كـــان صلة وصل بينهم وبين قادة الثورة، ووصل الأمر بالإخوان أنهم تصوروا أنهم يسيطرون سيطرة تامة على ضباط الحركة حتى وصل الأمـــر أن المرحـــوم الأستاذ الهضيبي كان يتعامل معهم بعد أن قامت الثورة، أنهم لابد أن يأخـــذوا تعليماتهم من مكتب الإرشاد، وهكذا تبين أنهم يجمعون المعلومات ويقومـــون باختراق الآخرين، لكنهم دائماً يفشلوا فى تحليل المعلومات وتقدير الموقـــف، وذلك لأنهم يعيشون فى خيالات من عندهم تمنعهم من التقـــدير الموضـــوعى للأمور.

لقد راقبوا الملك وعرفوا بجميع علاقاته النسائية بالتفصيل وســـهراته على موائد القمار، وعرفوا ورقه حتى النساء اللاتي عرفهن الملك، وراقبـــوا الوزراء ورجالهم وعلموا عنهم الكثير. وقد استعملوا تلك المعلومـــات عـــن الملك حين يختلفون معه، ويرغبون الهجوم عليه، وهكذا يوظفون معلومـــاتهم عند اللزوم أحياناً.

ولقد راقبوا جميع حكام الدول العربية التى عملوا بها وفتحـــت لهـــم أبوابها، كما جمعوا عنهم معلومات ؟! وكم استعملوا تلك المعلومـــات ضـــدهم أحياناً أو للسيطرة والحصول على مزايا ومواقع فى تلك الـــدول ؟! وكـــانوا دائماً يستعملون شعارهم "دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعـــضاً فيما اختلفنا عليه"، كان هذا الشعار هو مفتاح السيطرة فى أخذ مزايا ما اتفـــق عليه ثم يحاصرون الخصم ويدفعونه إلى الحائط ويجبرونه على التسليم فيمـــا اختلف فيه، هذا هو الأسلوب وتلك هى الوسائل، إنهـــم يـــستخدمون جميـــع الوسائل للحصول على ما يريدون، لقد تعاونوا مع جميـــع الحكـــام مـــاداموا يحصلون على ما يريدون، ثم ما يلبثون أن ينقلبـــوا علـــيهم حـــين تختلـــف المصالح، وأكبر مثال على ذلك ما حدث فى الجزائر، حين تحالفا مع جبهـــة الإنقاذ، ودفعوا الأمور نحو الحافة، ولما حدث الصدام تركـــوهم لمـــصيرهم

وهم يشاركون الآن فى الحكومة ويتعاونون مع رئـيس الجمهوريـة بينمـا زعماء الجبهة مازالوا تحت التحفظ !

وهم دائماً يتصرفون على أنهم أوصياء على الإسلام، ويقيمون الناس على أساس فهمهم، ولابد أن يتفق الجميع مع وجهة نظـرهم، وإلا واجهـوه وحاربوه وجرحوا فهم الآخرين للدين، هكذا فعلوا مع الصوفية، وهكذا فعلوا مع الجمعية الشرعية، ثم باركوهم حين سلموا لهم القيادة، إنهم يتعاونون مـع الشيعة مادامت هناك مصالح مشتركة بين الطرفين، لقـد اسـتغلوا الوهابيـة وركبوا موجتهم فى السعودية حتى تركوا لهم القيـادة فـى تربيـة الـشباب وتوجيههم، وكل ذلك حدث بفعل جمع المعلومات المختلفة واستعمالها.

إنهم يركزون الآن على الأحزاب الموجودة فـى الـساحة، يكثفـون عمليات المراقبة، والاختراق بغية السيطرة على أكبـر عـدد ممكـن مـن الأحزاب الموجودة.

الحقيقة أن الأحزاب متيقظة لهم، ويلعبون معهم لعبة القـط والفـأر، يحاورونهم ويجارونهم أحياناً، ثم يصدونهم ويجاهرون بعدائهم تارة أخـرى، وهناك أسباب ودواعى كثيرة تؤثر فى تلك القرارات، وقديماً حاولوا رشـوة بعض الأحزاب لتفتح لهم الباب للعمل من خلال الحزب أو ذاك، لدرجة أنهـم عرضوا على أحد الأحزاب التى لا جمهور لها مبلغ مليـون جنيـه، ولكـن مؤسس هذا الحزب رفض، ولكن حزباً آخر وافق وفتح لهم المجال للعمـل، واستغلال جريدته الناطقة باسم الحزب وكأنها جريدتهم الخاصة، يعبرون من خلالها عن أفكارهم وآرائهم، وينشرون أخبارهم، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يعملون على اختراق باقى الأحزاب، ولقد كانت لي شخـصياً تجربـة مـع أحدهم، حيث طلب منى أحد الأصدقاء أن أتعاون مع اللجنة الدينيـة للحـزب الذى هو عضو هيئة تأسيسة به، ولما ذهبت حسب الموعـد، وجـدت أحـد الأخوان موجداً بالاجتماع وأحسست أنه عضو مهم فى هـذا الحـزب ولمـا

رآني تغير وجهة وقال لهم أنهم سوف يأتى لهم بآخرين من مشاهير علمـــاء الدين لمحاضرتهم، وقد ذكر اسم الدكتور عمارة، واستأذنت منهم وغـــادرت الاجتماع وأنا فى غاية العجب .. كيف تم اختراق هذا الحزب، إنهم منذ زمن بعيد وهم يتوقعون للتفاهم مع هذا الحزب حتى أيام الأستاذ البنا، فقد فكر مـــع أحمد السكري قبل فصلهم أن ينضم الإخوان لهذا الحزب ويعملوا من خلاله، وكان السكري سعيداً بهذا القرار، حيث وجد فيه فرصة أن يعلوا نجمة داخل الجماعة ويغطى على مؤسس الجماعة حسن البنا، وأن يجعلوا رئيساً روحيـــاً فقط ويتولى السكري الأعمال السياسية، ولكن هذا المشروع فشل كما فـــشل الكثير من المحاولات، ولقد اقتربوا من أحد الأحزاب الأخرى وتحالفوا معاه، وكانت لهم النجاحات معاً فى العمل داخـــل النقابـــات، وتـــصورت أن هـــذا التحالف سيدوم، ولكن يبدو أن شهر العسل قد انتهى واختلفوا سوياً، وهاجموا بعضهم البعض على صفحات الجرائد، ولكنه لن يملوا أو ينتهوا لأنهم يعلمون دائبين لإيجاد وعاء رسمى لنشاطهم، لأن وضعهم حساس والظروف الدوليـــة متغيرة، فسوف يدقون جميع الأبواب ويحشدون ما استطاعوا من اتـــصالات دولية ومحلية بالخروج من عنق الزجاجة ! فلقـــد تقـــدموا للحـــصول علـــى التصريح بإقامة حزب سياسى خاص بهم، لكنه رفض أكثر من مـــرة، وقـــد صرحوا أخيراً أنهم يعدون العدة للتقدم من جديد لطلب تأسيس حـــزب جديـــد خاص بهم، لكنهم ينتظرون الآن الظروف المناسبة حتـــى لا يـــرفض مـــرة أخرى، لقد أصبحوا مجموعة مغلقة فى جميع أنحاء العالم لهم طقوسهم بـــأنهم فرقة من الفرق الإسلامية التى تدنى على ظهورها عبر التاريخ. إن بعـــض الدول والحكومات يتخوفون منهم بشدة نتيجـــة هـــذه الـــسلوكيات الغريبـــة، وينظرون إليهم كما لو أنهم يشبهون بالماسونية أو نوادي الروتاري المنتشرة فى العالم كله. وهم فـــى محـــاولاتهم المـــستمرة والمـــستميتة لتنـــشيط دور المخابرات الإخوانية ــ كمنا يسمونها ــ ينسون أحياناً أنهـــم مجـــرد هـــواة،

لكنهم لا يتورعون عن أن يلعبوا مع الأجهزة المحترفة، وتكون النتيجة مذهلة، حيث تلعب بهم تلك الأجهزة وتجعلهم يدورون حول أنفسهم، ويعودون إلى نقطة البداية دائماً، ولكنهم لا يملون حيث يشعرهم هذا بالاستمرار والوجود، حتى لو كان وجوداً زائفاً، وأكبر مثال حدث فى هذا الموضوع هو عملية بناء وصعود الأستاذ يوسف ندا، حيث تم تدعيمه ليكبر ويكبر حتى أصبح شخصية عالمية تتعامل فى المليارات، وأصبحت علاقاته بالملوك والرؤساء، ورجالات الأمم المتحدة، وكبار رجال المال فى العالم، ولا يمكن لشخص أن يمر فى هذا الطريق إلا عن طريق تدعيم مخابرات دولة كبرى مثل المخابرات الأمريكية، ودون مباركة ودعم من بيوت المالي العالمية التى يسيطر عليها رأس المال الصهيوني فى العالم، وقد فرح الإخوان بوجود شخصية مثل هذه منتمياً إليهم فدعموه، وعينوه مفوضاً عاماً للإخوان المسلمين فى العالم، أى مشرفاً على التنظيم الدولى بالجماعة، وقد عينه الأستاذ مصطفى مشهور، حيث كان رئيساً لهذا النظام قبل أن يعين مرشداً، وكان نائبه الأستاذ محمد مهدى عاكف وكذا يتبين إن المرشد لابد أن يكون قد مر على التنظيم الدولى فإن فيه قمة نشاط الجماعة ويعلم جميع التنظيمات فى العالم، ويعمل على الاستفادة بها لأن من نشاط الإخوان الذى ذكرنا من قبل هو النشاط التجسسى الاتصال بجميع الحركات المناوئة والمتمردة والهاربة فى العالم، ومن أية دولة أو أى حاكم، وهذه الصلة يقصد جميع المعلومات أولاً، ومحاولة الاستفادة من الموقف ثانياً، وسوف أتطرق لهذا الموضوع بالتفصيل فى مقال لاحق فإذا تتبعنا نشاط الأستاذ يوسف ندا على مدى السنين فإنه يكشف لنا مزيداً من المعلومات عن هذا السرطان المنتشر فى ربوع العالم، ألا وهو جماعة الإخوان المسلمين.

التجمعات الحضرية الأصلية، لكنها فى ظل غياب تعليم المهارات والنشأة الاجتماعية الجيدة أعاقت النمو الاقتصادى للأماكن الحضرية، كما أن

المناطق العشوائية يطلق عليها علماء الأنثروبولوجي "مصيدة الفقر والحرمان" أو "أحزمة البؤس"، حيث يسودها عدم التنظيم الاجتماعى، فهى حضانات لجميع أنواع الأمراض الاجتماعية من فقر واغتراب وعدم التكيف.

يسكنها المهاجرون من المناطق الريفية والهاربون من القانون والمتعطلون، والعاجزون عن التكيف الاجتماعي، يوصف سكان هذه المناطق بالها مشين حاضرين، معظم سكاني العشوائيات بعيدون عن أعمال الدولة ويمتهنون بعض الحرف ويزيد نسب البطالة لعدم وجود فرص عمل.

وتشير الدكتورة ماجدة حافظ إلى أن التحضر فى المجتمع المصرى لم يكن مصحوباً بالتقدم الاقتصادى من ناحية أو التصنيع من ناحية أخرى، كما هو فى الدول الغربية أو الأسيوية، الأمر الذى سمح لهذه الدول لاستيعاب المشاكل الخاصة بالهجرة إلى المدن، لكن ما يحدث فى مجتمعنا هو نمو الحضر وليس التحضر، لأن التحضر يعنى مدى ارتفاع نصيب الفرد من الخدمة المتاحة.

وقد لعبت الهجرة الريفية دوراً مهماً فى النمو الحضري نتيجة لقلة فرص العمل وانتشار الفقر فى الريف، مما دفع الكثيرين للبحث عن فرص الحياة فى المدن، ونتيجة لعجز الإمكانات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية عن استيعاب هذه الأعداد الوافدة، كانت عشوائية المكان والبطالة انتشار الجيوب الريفية والازدواجية الحضرية.

وقد أطلق علماء الاجتماع صفات الهامشين الحضريين أو فقراء المدن، حيث تتجه هذه الشرائح نحو العنف والمشاركة فى الاضطرابات السياسية والعمليات الإرهابية والاغتصاب وتجارة المخدرات والسرقة والنصب والبلطجة، ويكفى أن نعلم أن 70% من جرائم البلطجة من المناطق العشوائية، ويزيد فى اتجاه ساكنى المناطق العشوائية إلى العنف وارتكاب

الجرائم نقص جميع أنواع الخدمات سواء من صحة أو تعليم أو توفير فرص عمل، مما يشعره بالظلم الاجتماعى ويدفعه إلى المزيد من العنف.

وتتغلغل المناطق الشعبية فى جميع أحياء القاهرة،وبجوار الأحياء الراقية النظيفة تعيش أحياء قذرة وعشوائية فأصبحت المواجهة بالأحياء هى التى تسبب كثيراً من المشاكل، فنجد فى مصر القديمة مناطق بطن البقر وكوم غراب والمدابغ وأسطبل عنتر والشيخ مبارك والسكر والليمون.

وفى وسط المدينة توجد عزبة أبو حشيش وعزبة القرود المشهورة بإيواء اللصوص، وفى الشرابية عزبة بلال وعزبة الورد، أما المناطق العشوائية القائمة بشكل مختلف "غير متداخلة فى الأحياء" منطقة الدويقة ومنشية ناصر ومدينة نصر، وعرب غنيم بحلوان، منطقة طرة الأسمنت، منطقة حجر أبو دومة على كورنيش النيل ومنطقة تل العقارب بالسبتية، وترعة محمد نجيب بالمرج.

والمواجهة بالأحياء تجعل سكان الأحياء الفقيرة يشعرون بالحقد والغل والانتقام من سكان الأحياء الراقية، وكأننا زرعنا الخطر والرعب بجوار الزمالك والمهندسين والمعادى والدقى ومصر الجديدة ومدينة نصر بجوار كل منطقة يوجد حى عشوائي متاخم يضيع بهجة ونظافة العاصمة.

تضيف الدكتورة "ماجدة حافظ": إن ارتفاع نسبة الفقراء نتيجة للظروف الاقتصادية دفع سكان المناطق العشوائية إلى خلق آليات للهروب من البؤس والحرمان بأساليب غير مشروعة، حيث تحولت هذه المناطق إلى مراكز للخارجين على القانون، وأدت مصيدة الفقر إلى تعميق مشاعر التباعد الاجتماعي الذى يعيشونه ويجعلهم يفتقدون كل ما يحيط بهم من معان سلوكية سوية ليندمجوا كلياً للمعاني السلوكية الانحرافية.

وقد أثبتت الدراسات أن أكثر الفئات عمراً إنزلاقاً نحو الجريمة والإرهاب ما بين 6 و30 سنة، نتيجة عجز النظام الاقتصادي والاجتماعي

عن تلبية الاحتياجات الأساسية من خدمات وغذاء وعمل ومشاركة سياسية، مما يؤدى إلى تحويل الشباب من طاقة إيجابية إلى عبء يعوق انطلاق المجتمع، فى هذا الإطار يعيش الشباب رافضاً للمجتمع محاولاً الانتقام منه.

مشكلة الشباب فى المجتمعات العشوائية هى حالة التناقض بين إمكاناته من جانب وإمكانات المجتمع من جانب آخر، وما يطلق عليه ثورة التطلعات وزيادة القيم الاستهلاكية والرغبة فى تحسين مستوى المعيشة بأساليب مشروعة أو غير مشروعة، أيضاً التناقض بين الطموح والواقع يؤدى للشباب خاصة فى المجتمعات العشوائية إما إلى الإدمان الرذيلة أو إلى التطرف الديني !

وأشارت الدراسات إلى أن فرد واقع العالم العشوائي يرجع إلى عجز القوانين والتشريعات عن مواجهة المشاكل المتراكمة فى مجال العقارات، وساهمت قوانين تحديد الإيجارات فى إبعاد الاستثمار الخاص فى مجالس الإسكان والانكماش فى عرض نمط الإيجار مقارنة بنمط التمليك مما خلق ضغوطاً شديدة على الشرائح الاجتماعية محدودة الدخل إلى أن تتجه إلى المناطق العشوائية، لذلك أوصت الدراسة بسرعة تطوير هذه المناطق ليس من الناحية الشكلية فقط، لكن محاول تغيير واقع هذه المجتمعات إلى الأفضل.

أما الدكتور أحمد المجدوب – أستاذ الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية – فيشير إلى أنه ترك مشاكل العشوائيات حولها إلى قنابل شديدة الانفجار، وأنه لم يعد حي فى القاهرة دون أن يتخلله أو يحيطه منطقة عشوائية تفسد كل مظاهر التحضر فى هذا الحى، وتمتد آراءه إلى سلوكيات أبناؤه، فى العشوائيات تسود كل أنواع التلوث بدءاً من تلوث الهواء والتلوث السمعي والتلوث الأخلاقي، ضيق طرقات وأسلوب بناء هذه المناطق يمنع دخول أى سيارة شرطة أو إسعاف أو مطافى.

لمــاذا .. الآن ؟

أسباب كثيرة جعلتنى متردداً فى أن يخرج هذا الكتاب إلــى النــور، منها: الرغبة فى الحفاظ على أسرار كثيرة عشتها وتفاعلت معها، ولم أكــن لأبيح لنفسى أن أخوض فيها بغير سبب قوى يخدم غرضاً.

ومنها: أننى كنــــت أرى أن الوقت غير مناسب للنــشر، فالكلمــة ينبغى أن تقال فى أوانها المناسب، وإلا مرّت دون أن يلتفت إليهــا أحــد أو يعيها قارئ.

وكان هناك سبب أخير يسوقه المحيطون بي، وهو خشيتهم علىَّ من انتقام موتور، ولكن هذا السبب لم يكن ليمنعنى أن أقول الكلمة التى أراها حقاً ــ وفى وقتها ــ مهما تحملت فى سبيلها من عنت ومشقة، واقتناعى التام أن الأمر كله بيد الله، المطلع على النوايا، وأن البشر لن يستطيعوا أن يتــدخلوا بشئ فى التأثير على قدر الله، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

إن المرحلة المصيرية التى نعيشها فى مصر والوطن العربى، والتى ازداد فيها الخلط فى الأمور إلى الدرجة التى اختلط فيهــا الحابــل بالنابــل، وعمت فيها الرؤى، وتشابكت "الطرق" وضاع الشباب وسط هــذا الــضجيج العالي من التيارات الفكرية ــ وخاصة الدينية منهــا ــ وزاد فــى "غــبش" الرؤية ضيق الحياة الاقتصادية الذى دفع بالشباب إلــى اليــأس وتلمــس أى طريق يغيبون فيه عن واقعهم الأليم. والساحة مليئة بالتيارات المختلفة التــى خرج الكثير منها من عباءة "الإخوان المسلمين" وإن كان كلٌّ فى وادٍ بعيد ــ فكرياً وتنظيمياً ــ وزاد الخلاف بين الجماعات، وزادت زاوية الانحراف عن الهدف وهو الدين الحنيف، ونسوا حديث الرسول عليــه الــصلاة والــسلام: "تختلف أمتى إلى بضع وسبعين شعبة كلهم فى النار إلا شعبة واحــدة: مــن

استمسك بكتاب الله وسنتى" وأعتقد كلٌّ أنه علـى الحـق وأتهـم الآخـرين بالبطلان.

ووقف "الإخوان المسلمون" يرفعون شعارهم الشهير بين الجماعـات والهيئات الإسلامية : "دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعـضنا بعـضاً فيما اختلفنا فيه" وهو شعار يحاولون به الإمساك بموقع الريادة، وتوجيه دفـة الأمور لصالحهم دون محاولة الوقوف لتصحيح المسار أو تلافى السلبيات أو تقويم الانحراف الذى استفحل أمره فى مجـال الحركـة الإسـلامية، حتـى أصبحت توصم بالعنف والإرهاب فى كل بلاد الدنيا، وكان سبب هـذا كلـه وقوع الكثيرين إما فى إفراط شديد وإما فى تفريط مخل.

لهذا كله فإننى أرى أنه قد آن الأوان لأقف محذراً وفاتحـاً المنافـذ للشمس والهواء النقى أن يدخلا إلى سراديب الجماعة التـى عفـن هواؤهـا وتعطنت رائحتها، وحتى تكون تجربتى معهم نذيراً للشباب أن يتلمس خطـاه وأن يرى مواقع أقدامه قبل أن يخطو، وألا يلغى عقلـه ولا كيانـه ليعطـى السمع والطاعة لأحد أياً كان .. فقد وهبنا الله العقل تكريمـاً للإنـسان، فـلا ينبغى أن يتنازل عنه حتى لا يلعب بأقدارنا أحد أياً كان وتحت أى شعار.

وبداية فإننى أعتبر أن "الإخوان" كانت "أم" التنظيمات السلامية فـى العالم العربى، لأنها أقدمها، وهى التى "فرَّخت" بقية التنظيمـات بعـد ذلـك، وبداية الانحرافات جاءت من داخل الإخوان أنفسهم.

إن مشوارى مع الإخوان بدأته من عام 1951، وحتى خرجت مـن السجن ـــ أي ثلاثة وعشرون عاماً ـــ لا أنفى عن نفسي أية مسئولية تجاه ما حدث .. ولكنى أقدمه ـــ كما قلت ـــ لشبابنا الذى بات تتقاذفه تيارات ترتـدى ثوب الإخوان، ولا يعرفون عن أهدافها شيئاً، ويلقون بأنفـسهم فـى خـضم أهوال لا ينبغى لهم أن يتورطوا فيها.

على عشماوي

صفحة بيضاء

الباب الأول

من ميت غمر إلى التنظيم السرى

ورقة بيضاء

بدأت تجربتى مع "الإخوان" فى عام 1951 ــ كنت فى الرابعة عشرة من عمرى ــ مهتماً بأمور بلادى فى تحرير الوطن من الاستعمار الإنجليزي الموجود فى منطقة القناة.

كانت القوى الوطنية فى هذا الوقت متمثلة فى التيارات الآتية :

- الإخوان المسلمون .. الشيوعيون .. الطليعة الوفدية .. مصر الفتاة.

وكانت جميع هذه القيادات ممثلة فى مدينة "ميت غمر" ــ مسقط رأسي ــ وبينهما صراع رهيب يكاد يصل إلى حد التصادم أحياناً، ومع هذا ففى كثير من الأحيان كان الكل يجتمع على المناسبات والقضايا الوطنية. وكان وجود الإنجليز فى مصر عاملاً مهماً لتجميع الوطنيين وحصر الخلافات فى الوسائل، أما الهدف فكان الجميع متفقين عليه وهو الاستقلال وطرد الإنجليز من مصر.

وفى معسكر أقيم بمدينة "ميت غمر" أقامته القوى الوطنية ممثلة فى جميع الأحزاب لتدريب الشباب الراغب فى محاربة الإنجليز فى القتال لإجلائهم عن أرض الوطن، عرفت "الإخوان" لأول مرة. كانوا ــ تقريباً ــ يسيطرون على المعسكر ويضعون باقى القوى الوطنية تحت جناحهم، فمنهم من يقوم على تدريبنا، ومنهم من يقل حارساً على خيمة السلاح، وعرفت ــ أول ما عرفت ــ منهم الأخويان: "محمد عبدالله هلال"، وقد كان يأتى لتدريبنا يومياً فى المساء ــ والأخ : "محمد فيشة" وهو الذى كان يقوم بحراسة السلاح.

أقمنا فى هذا المعسكر شهراً، ثم انفض بحريق القاهرة فى 26 يناير 1952 واختفى تماماً السلاح الذى ساهمت فى شرائه جميع القوى الوطنية، اختفى فى سراديب طالما عرفت ــ منهم الأخوين: "محمد عبدالله هلال"، وقد

كان يأتى لتدريبنا يومياً فى المساء ــ والأخ : "محمد فيشة" وهو الذى كان يقوم بحراسة السلاح.

أقمنا فى هذا المعسكر شهراً، ثم انفض بحريق القاهرة فى 26 يناير 1952 واختفى تماماً السلاح الذى ساهمت فى شرائه جميع القوى الوطنية، اختفى فى سراديب الإخوان ــ كما علمت بعد ذلك ــ وكان هذا أسلوبهم فيما بعد فى كل موقف يشتركون فيه مع غيرهم محاولة منهم لتسيير الأمور إلى صالحهم دون النظر للصالح العام.

توطدت صلتى بهم بعد ذلك، وبدأت الذهاب إلى "الشُعبة"، وهو مقر الإخوان ــ ومنذ الأيام الأولى أحسست أننى موضوع تحت الاختبار لفترة من قبل الشخصية التى لعبت معى دوراً كبيراً فيما بعد وهو الأخ "محيى الدين هلال"، الشقيق الأصغر للأستاذ محمد هلال الذى كان يقوم بتدريبنا والذى كان أهم شخصية فى منطقة ميت غمر كما علمت بعد ذلك.

عرض علىَّ الأخ محيي الانضمام لفريق الكشافة ــ بعد تجربتى السابقة فى المعسكر ــ وتشكلت مجموعة من "على عشماوى" رئيساً، و"أسامة علام"، و"مختار مراد" عضوين، تحت توجيه الأخ محيى وكان ضمن نشاط هذه المجموعة أن خصصوا غرفة داخل الشعبة تسمى "قسم المبيعات" نبيع فيها كتب "الإخوان" والأدوات الكشفية.

كان من أهم أنشطتنا دراسة رسائل الأستاذ "البنا" وحفظ القرآن والحديث وعمل معسكرات كشفية فى نهاية الأسبوع.

وفى هذه المعسكرات كانوا يراقبون الجميع لينتقوا منهم ما يسمى بـ "الإخوان العاملين". وكان بالشعبة جميع أنواع الأنشطة الرياضية والمحاضرات الدينية، وكان هناك امتداد لهذا النشاط داخل المدارس حيث تم تقسيم الإخوان إلى أقسام مثل: "قسم الطلبة" و"قسم العمال" ... وهكذا.

وقامت ثورة 23 يوليو وعلمنا من قيادتنا أن رجـال الثـورة مـن الإخوان، وأنهم يأتمرون بأمر "المرشد العام" وخرجنا فى مظـاهرة ضـخمة ليشعروه بحجم وثقل الإخوان فى الشارع المصري.

وقد أمر رجال الثورة بتشكيل معسكرات لتدريب الشباب فى جميـع مدن الجمهورية. وكانت قيادة كل معسكر فى يد أحد ضباط الجيش، وتمـت إقامة أحد هذه المعسكرات فى مدينة "ميت غمر"، وصـدرت تعليمـات إلـى جميع شباب الإخوان بالانتظام فى هذه المعسكرات باعتبارها فرصة ذهبيـة لتدريب أكبر عدد منهم تحت سمع وبصر الحكومة، حتى أن مدربي الإخوان كانوا يساعدون ضباط المعسكر فى القيام بالتدريبات. وكان كـل فـوج يـتم تدريبه فى مدى ثلاثة أسابيع، وفى نهاية المعسكر تقام مسابقة فـى الرمايـة بالبندقية والمدفع الرشاش. وفى التصفيات التى أقيمت للمتسابقين كنـت أنـا الفائز على مدينة ميت غمر "فى البندقية" والشئ نفسه حـدث عنـدما تمـت التصفيات على مستوى المحافظة.

بعد ذلك انتقلنا إلى معسكر عام بالقـاهرة لتـصفية الفـائزين علـى مستوى الجمهورية وامتد هذا المعسكر لمدة أسبوعين لكن جانبنى التوفيق فى هذه التصفية واستمرت المعسكرات تقام حتى تم تـصفيتها بعـد مفاوضـات الجلاء. وحين رحل الضباط أقام الإخوان معسكراً لمدة ثلاثة أيام فى المكـان نفسه. وكان هذا بالتحديد، بعد عودة الإخوان من التوقيف الذى انتهـى فـى مارس 1954.

قام قادة الإخوان بمدينة ميت غمر بالإشراف على التدريب فى جميع أرجاء المدينة، وفى نهاية المعسكر تم تفجير ثلاث عبوات ناسفة ــ فى وسط المكان ــ أمام الجميع، وفى منتصف النهار، وكان هذا إعلاناً من الجماعـة أنهم فى موقف القوة، ورغم هذا فقد عوقب على هذا التصرف محمد هـلال قائد المعسكر من قائد النظام فى الدقهلية محمد العدوى.

النظام الخاص :

استمر الحال هكذا بضعة أشهر، إلى أن أحسسنا تغيراً كبيراً فى أحاديث قادة الإخوان عن رجال الثورة، وكيف أنهم ـ أى رجال الثورة ـ بدأوا يخرجون على السمع والطاعة وأنهم حنثوا بوعدهم وخانوا بيعتهم.

وسط هذا الحماس الجارف بشئون مصر ومصيرها، تمت مفاتحتى بأمر "النظام الخاص" وكيف أننى كنت تحت المراقبة طوال الفترة السابقة من قبل الأخ "محيى" وأن مجموعتنا الثلاثية المكونة منى ومن مختار مراد وأسامة علام سوف تبدأ اجتماعات تمهيدية مع الأخر محيى لدخول النظام الخاص، وأننا سنكون تابعين لتنظيم القاهرة، ولن تكون لنا صلة فى هذا الأمر مع الجماعة بميت غمر ولا ينبغى أن يعلموا به.

وبدأ الحديث عن تاريخ النظام وتاريخ بدء تكوين جماعة الإخوان المسلمين وكيف بدأت فى الإسماعيلية عام 1928، وقام بها الأستاذ "البنا" متأثراً بوجود القوات الإنجليزية فى منطقة القنال، وأن تاريخ بدء النظام الخاص كان فى الوقت نفسه تقريباً، وكان الأستاذ "البنا" يعتبر أفراد النظام هم التعداد الحقيقى للإخوان المسلمين .. أما باقى الأفراد فهم ـ بدرجات متفاوتة ـ حقل لاختيار أفراد النظام الذين يحظون باهتمامه الكامل، وأولويته المطلقة فى الإعداد والتربية والمتابعة. وكان يريد الوصول بهم إلى عدد معين هو "أثنا عشر ألفا" وهو الرقم الذى لا يقهر من قلة.

وقد تولى قيادة النظام وأشرف عليه منذ بدايته الشيخ "صالح عشماوى" وبدأ مع الأستاذ البنا فى اختيار الإخوان الأوائل من هذا النظام والإشراف على تربيتهم روحياً ـ وكأنهم فى طريقة صوفية ـ وعسكرياً وكأنهم جنود فى جيش.

كانت البرامج مركزة جداً لأنهم مختارون بعناية شديدة وإعداد جيد، ولذلك كانوا يكلفون بأعمال كثيرة وجادة. وقد زاد عدد أفراد هذا النظام فى فترة الأربعينات حيث كانت الفترة الذهبية لنشاط الإخوان فى الجامعة وباقى أفرع الحياة، وتوج هذا الإعداد بحرب فلسطين فقد كانت أول حقل فعلي لتدريب الإخوان على خوض المعارك الفعلية.

كان إرسال الإخوان إلى حرب فلسطين نابعاً من هذا المنطلق، لكن الأستاذ "البنا" علم أن هناك مؤامرة دولية للقضاء على هذا الصف المدرب والمعد إعداداً جيداً، أثناء القتال. ولما تأكد من ذلك أرسل أوامره للشيخ "محمد فرغلي" ألا يدخل أى معركة حتى تصدر إليه الأوامر من القاهرة، وعليه أن يخفى ذلك عن الإخوان.

وطال انتظار الإخوان لدخول المعركة، وكانوا من قبل يخرجون للعمليات أكثر من مرة فى الليلة الواحدة، واستمر انتظارهم شهراً كاملاً حتى تسرب القلق إلى صفوفهم وبدأت الشائعات تسرى بينهم بأن الشيخ "محمد فرغلي" خائن، وأن اليهود قد اشتروا ذمته. ولهذا فهو يمنعهم من القتال. ولما وصل الأمر إلى الشيخ فرغلى وعلم أن الأمر قد وصل ببعضهم أن يتفقوا على قتله جمعهم وأفضى إليهم بما عنده من أوامر من القاهرة، وتمت تصفية الموقف وبدأوا يشاركون فى العمليات مرة أخرى، ولكن بحذر شديد وبغير تكثيف.

كان للنظام الخاص قيادة من أربعة أفراد تساعدهم هيئة تأسيسية مكونة من أحد عشر فرداً. أما التنظيم العام للجماعة فهو الإرشاد، والهيئة التأسيسية وقيادات المكاتب الإدارية والمناطق. كل هؤلاء كان يتم اختيارهم على أساس الوضع الاجتماعي المؤثر، دون النظر إلى قناعتهم الكاملة بأهداف الجماعة، وكان يتم تشبيه جمهور الإخوان الموجود بالشعب

بالمرضى داخل المستشفى فمنهم المريض جداً، ومنهم مـــن هـــو فـــى دور النقاهة، ومنهم الذى بدأ يشفى وتعود إليه صحته.

وكان من بين أفراد المجلس الأعلى للنظام: عبـدالرحمن الـسندى، أحمد زكي، أحمد حسنين، أحمد عادل كمال، محمـود الـصباغ، مـصطفى مشهور، أحمد الملط.

البيعـــة :

كانت البيعة تتم فى منزل معين، وكان "أخذ" البيعـة يجلـس خلـف ستار، وفى جو قريب إلى الظلام، ثم يبدأ بالحديث عن الجماعـة وأهـدافها وتاريخهـا، ثم يتم إحضار مسدس ومصحف وتتلاقى الأيدى على المـسدس والمصحف ويتـم "القسم" وهى بيعة لله علـى الـسمع والطاعـة للجماعـة وقادتها، ثم بعد ذلك يتم التدريب على "حل" أجزاء المسدس وتركيبه وصيانته وكيفية استعماله.

وبعد عودة الجماعة من الحل عام 1948 حدث بعض التعديل، فقـد أصبحت البيعة تتم فى بعض المنازل الأخرى ــ وليس فى منـزل معـين ــ وينتقل المسئول ليقابل المجموعة دون أن تحدث أى من المؤثرات السابقة من "ملاءة ساترة أو أضواء خافتة"، وقد قام بأخذ البيعة منى وباقى مجمـوعتى: مختار مراد وأسامة علام ــ محمود زينهم فى غرفة سـطح أحـد المنـازل بشارع عباس بالجيزة. وقتها لم نكن نعرف من هو "محمـود زيـنهم" فقـد أحضرنا إلى هذا المكان وظللنا منتظرين حوالى 12 ساعة حتى حضر هـو والإجهاد بان عليه وكان شديد التفرس فينا وهو يتحدث إلينا. بعـد "البيعـة" كانت لقاءاتنا فى التدريب ودراسة كتب النظام الخـاص تـتم بمعرفـة الأخ "محيى هلال" حيث تم تدريبنا على أكثر من نوع مـن المـسدسات والقنابـل اليدوية والحارقة، وأنواع المفرقعات وكيفية التعامل معها، ودراسـة بعـض

الكتب العسكرية التى ألفها الإخوان للنظام، وكتيب صغير عن أعمال المراقبة والتعقب، وكلها كانت تدرس لأعضاء مخابرات الإخوان.

وبمناسبة دراسة هذه الأشياء علمنا أن الجماعة تدس بعض أفرادهــا فى التنظيمات الأخرى والمعادية بغية معرفة أســرارها، وأن هــذه عمليــة مستمرة فى الحرب السرية الدائرة بين كل القوى والإخوان المسلمين.

وأحد النماذج على دس بعض الإخوان داخل الأحزاب الأخــرى مــا حدث مع الأخ "أسعد السيد" الذى أمره الإخوان بدخول "حزب مصر الفتــاة" حيث كان أحد العاملين فى الحزب والقريبين من أحمد حــسين، إلا أنــه قــد أصابه الملل من تلك اللعبة فاقترح على أحمد حــسين أن يــدخل "الإخــوان" ليكون عيناً له عليهم، ووافق أحمد حسين.

وهكذا عاد أسعد السيد إلى التردد على نشاط الإخوان فى الوقت الذى لم يفقد فيه صلته بأحمد حسين، ولما اعتقل أسعد فى حادث السيارة الجيب ــ وكان معه فيها عدد لا بأس به من قادة النظام ــ تطوع أحمد حسين للــدفاع عنه وكان كل همه أن يعلم هل كان أسعد من الإخوان واندس علــى حــزب مصر الفتاة، أم أنه كان من حزب مصر الفتاة واندس على الإخوان.

كان الصراع فى هذه الأيام حاداً بين الإخوان والوفد والــشيوعيين، وكان الأمر يصل أحيانا إلى حد الاشتباك بالأيدى، ولذلك لم يكــن مــستغرباً موقف الإخوان بعد قيام الثورة، فقد تم حل جميع الأحزاب وبقــى "الإخــوان المسلمون" على أنهم جمعية وليسوا حزباً.

وقد أيد الإخوان هذا الأمر ــ وقتها ــ واعتبروه نصر كبيــراً لهــم، حيث تخلو لهم الساحة من القوى الأخرى، وكان هذا دليلاً آخر مــن قــبلهم على أن رجال الثورة من الإخوان، وأنهم يأتمرون بأمر المرشد العام.

ولكن بعد فترة وجيزة ــ وبعد أن انتهى شهر العسل بين الإخوان ورجال الثورة ــ ظهر الأمر وكأنه خلاف ذلك. فقد بدأ الهمس على أن رجال الثورة بدأوا يتحللون من التزامهم، وأن السلطة قد ذهبت برؤوسهم، وأنهم تنكروا لدور الإخوان فى تهيئة المسرح لقيام الثورة، وأن رجال الإخوان ــ ليلة قيام الثورة ــ كانوا يرابطون بأسلحتهم على طول المداخل فى منطقة القناة لمنع الإنجليز من التدخل، وأنهم قد نقلوا بعض الأسلحة المخبأة فى بيوت بعض رجال الثورة إبان أزمة نادى الضباط، كل هذا كان يساق على أن العملية كلها من تدبير الإخوان.

وتلاحقت الأحداث وزاد التوتر بين الإخوان ورجال الثورة حتى أن جمال عبدالناصر كان مدعواً من قبل هيئة التحرير لإلقاء خطاب فى إحدى الليالي بمدينة ميت غمر، وقد قام الإخوان بإشعال حريق خلف المبنى، مما أدى إلى فض الاجتماع وفشله، وقيدت الحادثة ضد مجهول.

السلبيات :

وسط هذه الأحداث المتلاحقة، والمتداخلة أحياناً، ينبغى الوقوف قليلاً أمام عدة أمور أثرت بشكل مباشر فى اتجاه المسيرة وأقصد بذلك الأحداث والمواقف داخل الجماعة فى هذا الظرف الذى تستعد فيه لدخول معركة مع الحكومة وصفها أحد المسئولين على أنها فرصة ذهبية لن يجود الدهر بمثلها مدة طويلة.

فبدلاً من حشد القوى للمعركة المصيرية وتكاتف الجميع يداً واحدة حدثت أمور كانت لها آثارها السلبية على مسيرة الأحداث فيما بعد، أهم هذه الأمور:

أولاً : فصل قادة النظام.

ثانياً : تغيير أسلوب التنظيم.

ثالثاً : تعيين قيادة جديدة وجهات جديدة للإشراف.
رابعاً : رد فعل المفصولين واستيلائهم على المركز العام.
خامساً : مقتل سيد فايز.
سادساً: قرار الدخول فى مواجهة مع الحكومة برغم وجود هذه الظروف الداخلية.

ونتحدث بالتفصيل عن كل أمر من هذه الأمور.

أولاً : فصل قادة النظام الخاص :

صدر قرار من المرشد العام بفصل أربعة من قيادة النظام وهم: "عبدالرحمن السندى" و"أحمد زكي" و"أحمد عادل كمال" و"محمود الصباغ"، وقد صدر القرار بتاريخ 1953/11/23 ولا أريد الخوض فى هذا الموضوع، فقد كتب عنه الكثير ممن يعلمونه جيداً لكنني سأتحدث عنه من زاوية خاصة وهى رد فعل القرار على أفراد النظام.

لقد تربوا على يد هؤلاء الأخوة ويشعرون تجاههم بولاء كبير ولهذا فقد أحسوا أنهم فقدوا شيئاً مهماً جداً، وزاد الأمر سوءاً أنه قد استتبع هذا القرار قرارات أخرى بفصل أعداد أخرى من قيادات النظام ومنهم صالح عشماوى الذى كنا نعتبره "أبو النظام الخاص" والشيخ محمد الغزالى، وسيد سابق، وقد تربينا على كتبهم وعلمهم.

وفى المقابل كان المستشار حسن الهضيبى أسماً جديداً علينا لا نعرف عنه الكثير، وزاد الأمر سوءاً مرة أخرى أننا كنا نحضر معه بعض اللقاءات فلا يتحدث طويلاً ــ كما اعتدنا ــ فلم يكن خطيباً، وكان حوله مجموعة من الإخوان، كنا نعلم أنها بعيدة عن التشكيلات الخاصة، بل إنهم كانوا كثيراً ما يقفون ضد النظام وحركته وقياداته. كل هذا كان له أثره فى انهزامية الروح المعنوية لأفراد النظام الخاص الذى يفترض أن يكون وقود الحرب أو المقاومة داخل الجماعة.

ثانياً : تغيير أسلوب التنظيم :

كانت مجموعات النظام مرتبة بشكل معين مع قياداتها على أساس أن المجموعة خمسة أفراد يتم انتقاؤهم بطريقة معينة، ويتم تـدريبهم وتـربيتهم على منهج مدروس، وبفترة زمنية معينة وفوجئنا بتنظيم جديد تتكـون فيـه المجموعة من سبعة أفراد يتم اختيارهم مـن الأخـوة الموجـودين بالـشعبة اختياراً عشوائياً، ويتم تدريبهم بطريقة ارتجالية سريعة، وتأتيهم تعليمات فـى درجة عالية من السرية، وكان يتم تداول هذه التعليمات بطريقة غير سـليمة، وكان نتيجة هذا أن تم اختراق التنظيم من جهات كثيرة ومعرفـة التعليمـات أولاً بأول والاستفادة منها.

ثالثاً : تعيين قيادة جديدة وتحديد جهات جديدة للإشراف :

كانت هناك فترة انتقالية بين فصل السندى ورفاقه إلى أن عين الأخر "يوسف طلعت" قائداً جديداً للنظام، ولم يكن من الممكن ترك النظـام بـدون قيادة فى هذه الفترة، وقد تولى الأخر المهندس "حلمـى عبدالمجيـد" القيـادة والسيطرة على الأمور لحين اجتماع القيادة الجديدة، وظل مسئولاً عن النظام عدة أشهر لحين تعين يوسف طلعت الذى كان من إخوان الإسماعيلية، وقد تم تعيينه على أن يكون تابعاً لحسين كمال الدين عضو مكتب الإرشاد واعتبـر أن قيادة كل منطقة على مستوى الجمهورية هى قيادة الحركة العامة والتنظيم الخاص ــ كما كانوا يسمونه ــ برغم أن رؤساء المناطق ــ فى كثيـر مـن الحالات ــ لم يكونوا على مستوى تلك المسئولية، وترتب على ذلك ارتبـاك وخلل كبيران فى السيطرة وتسلسل التعليمات والتصرف فى مخازن الأسلحة التى سلمت للتنظيم الجديد.

رابعاً : رد فعل المفصولين واستيلائهم على المركز العام :

لما حدثت قرارات الفصل ذهب عدد من المفصولين لمقابلة الأستاذ الهضيبي فى منزله لمناقشة قرار فصلهم من الجماعة لكنه كان حاداً معهم. فاحتد بعضهم وطالبوه بالاستقالة، حتى أن "محمود زينهم" أشهر مسدسه فى وجهه محاولاً إرغامه على توقيع الاستقالة ولكنهم فشلوا فى ذلك فذهبوا جميعاً إلى المركز العام واعتصموا داخله، غير أن بعض الأخوة من الجانب الآخر حضروا إلى المركز وتمكنوا من السيطرة عليه وإجبارهم على الرحيل.

وكان من أثر ذلك كله ظهور قائمة أخرى من المفصولين مما زاد الأمر تعقيداً، وترتب على ذلك أن اعتبر أعضاء النظام القديم مشكوكاً فى ولائهم، مما حدا بالقيادة الجديدة ترتيب لقاءات "مبايعة" على دفعات بينهم وبين الأستاذ الهضيبي بحضور المرحوم يوسف طلعت والقيادة الجديدة.

خامساً : مقتل سيد فايز :

فى صبيحة أحد الأيام اهتزت الجماعة على نبأ اغتيال الأخ سيد فايز، وقد كان من أخوان النظام القدامى، وقد تخصص فى صناعة المفرقعات.

وقصة مقتل "سيد فايز" علمتها من عدة جهات أولها: أحمد عادل كمال، فقد قال لي حينما سألته عن الحادث : "إذا كنت تلمح إلى اتهامى فى هذا الحادث فإن النيابة قد قامت بالتحقيق معى، وقد ثبت أننى كنت موجوداً فى مكان آخر أثناء تنفيذ العملية" وبهذا فقد أقفلت النيابة التحقيق معه.

أما الجهة الثانية: فكان "سيد عيد" الذى سألته عن الواقعة بعد خروجه من السجن عام 1964، وسيد عيد من أوائل الذين قاموا باتهام أحمد عادل كمال بتنفيذ العملية وأنها تمت بتدبير عبدالرحمن السندي، وكان سيد فى تلك

الفترة يعتبر أحد المخازن الرئيسية لإخوان القاهرة لحفظ الأسلحة والوثائق المهمة.

قال لى: إنه عقب تنفيذ العملية قام أحمد عادل كمال بترك "حقيبة" بها بعض المستندات المهمة التى كان يحتفظ بها فى منزله ولما ذهبت لأردها إليه لم أجده فتركتها عند والدته، وكانت هذه إحدى القرائن على أنه منفذ العملية وأنه يعمل على تطهير منزله خشية الاتهام.

وقال سيد: إنه لما فتح الحقيبة وجد بها جوازات سفر مصرية بدون أسماء وتقارير لمخابرات الإخوان عن حركة الجيش وتحركات السفارتين البريطانية والأمريكية فى مصر وتقارير عن تحركات الشيوعيين "انظر كتاب صفحات من التاريخ، ص102".

وفى النهاية فإن عدداً كبيراً من الإخوان يعلم أن هذا العمل كان من تدبير "السندى" ورفاقه، وإن كانت وسائل الإثبات قد عجزت عن بيانه.

وقد وقع هذا الحادث قبل فصل الأربعة: أحمد عادل، وعبدالرحمن السندى، وأحمد زكى، ومحمود الصباغ .. حيث أنه فى هذه الفترة كانت مجموعة "صلاح شادى" و"منير الدلة" تحاول السيطرة على أفراد النظام الخاص ومعرفة من هم. ولم يتمكنوا من ذلك إلا بمعاونة سيد فايز بعد أن أستمالوه إلى جانبهم وكانت الضربة السريعة التى كان يتميز بها عبدالرحمن السندى، فتمت تصفية سيد فايز، وتلتها أحداث أخرى. وقد كان لهذا الحادث وما تلاه أثر كبير فى الإجهاز النهائى على الروح المعنوية لأفراد النظام حيث اتضح أننا بدأنا فى تصفية بعضنا بعضاً وثار لغط كبير حول هذا الحادث حتى أن الشكوك حامت حول جمال عبدالناصر وقيل إنه هو الذى دبر هذا الحادث كى يشق الجماعة بشدة فيسهل عليه تحطميها بعد أن باتت المواجهة بين الطرفين وشيكة ومعلومة لكليهما.

سادساً : الدخول فى مواجهة مع الحكومة برغم وجود هذه الظروف الداخلية :

كانت الظروف السيئة التى تمثلت فى الروح المعنوية والتنظيم غير الجيد وغير المعلوم أبعاده وتجربته، ووجود أفراد جدد على قيادة هذا النوع من العمل لا تعرف كيف تتعامل معه. بالإضافة إلى أمر مهم جداً وهو التسليح والتدريب السيئ، حيث سلمت شنط الأسلحة إلى هؤلاء الإخوة الجدد وكانوا عاجزين حتى عن كيفية تخزينها أو نقلها فأصبحت عبئاً عليهم. ترتب على هذا كله أنه عند أول بوادر الصدام تخلص الكثير منهم من شنط الأسلحة بإلقائها فى النيل خوفاً من العواقب.

حل الجماعة :

وتم حل الجماعة من يناير إلى مارس عام 1954، وقام رجال البوليس بوضع "الشمع" على باب الشعبة، وكان هذا يعنى دخول التوتر إلى درجة الصدام.

وبدأ الجميع يشعر بحجم الموقف وإن كان الإخوان ـ حتى هذه اللحظة ـ لم يكونوا على وعى كامل بحجم المشكلة، فقد كنت ألمح فى كلامهم وتعليقاتهم الكثير من الاستهتار بالأمر، وأنهم أكبر من أن يضربوا.

وذهبت للقاء بعض الإخوة فى بيوتهم ومنهم الشيخ "مصطفى العالم" ـ وكان رئيس منطقة ميت غمر ـ وأخبرني انه توجد علبة بها خمسون طلقة مسدس عيار 9مم فى غرفة قسم المبيعات، وأن جرد الشعبة بمحتوياتها سيتم فى الصباح الباكر، وينبغى التصرف فى الأمر، فوعدته بذلك حتى لا تضبط.

تركته وذهبت إلى الأخ أسامة علام وأخبرته بالموقف واقترحت عليه الاستعانة بوالده لتصحيح هذا الموضوع قبل خروج الأمر من أيدينا ـ وكان

والده مأمور مركز ميت غمر ــ فذهب إلى والده وأخبره أن الطلقــات ملــك له، وهو الذى قام بوضعها فى الغرفة: فغضب والده ــ رحمه الله ــ من هذا التصرف، ولكنه وعد بالمساعدة. فى اليوم التالي تم جرد محتويــات الــشعبة ونقل ما بها إلى مديرية أمن المنصورة، وعادت إلىَّ الطلقات فى صــندوقها كما هى، فأخذتها وأعطيتها للشيخ "مصطفى العالم" وقد سره تصرفى، وقال: "كفانا كثيراً من الإحراج للجماعة فى هذا الظرف الحساس".

وكان السبب فى حل الجماعة هو الخلاف بين جمــال عبدالناصــر والإخوان على تفاصيل المفاوضات الجارية بين رجال الثــورة والإنجليــز لتحقيق الجلاء عن مصر. والواقع أن اختلاف الإخوان فى هذا الأمــر كــان نابعاً من إحساسهم بخروج عبدالناصر ومن معه على قيادتهم. وقد تم اختيار هذا الموضوع ليكون سبباً للصدام لما له من ثقل وطنى فى حس الناس، ممــا يعطى للإخوان تأييداً شعبياً فى صدامهم مع رجال الثورة.

وبدأت المنشورات توزع على الإخوان فى الــشعب وفــى أمــاكن تجمعهم تشرح الخلاف من وجهة نظر الإخوان فى الــشعب وفــى أمــاكن تجمعهم تشرح الخلاف من وجهة نظر الإخوان، فقد كانوا يرون أن احتفــاظ الإنجليز بقاعدة فى قناة السويس هو "بيع" للقضية وأن الإخوان يفضلوا الكفاح المسلح.

مظاهرة وقتلى :

وتم ترتيب مظاهرة فى القاهرة، واستُدعينا جميعاً للاشــتراك فيهــا والترتيب لها. وكانت هناك أصوات كثيرة تنادى بوجــوب تــسليح بعــض المجموعات داخل المظاهرة للرد على اى اعتراض من الحكومة. فقد كانــت المشاعر ملتهبة خاصة بعد حل الجماعة والقبض على مجموعة منهم. لكــن تقرر أن تخرج المظاهرات سلمية، وقد بدأت من جامعة القاهرة حيث تجمــع

طلبة السعيدية الثانوية مع طلبة الجامعة. وكان مرتباً أن يكون التلاقــى فــى ميدان عابدين، حيث تخرج جامعات ومدارس الجيزة ويتجهون إلــى مكــان التجمع ويقابلهم باقى طلبة الجامعات والمدارس الثانوية والأزهر. وقد حدثت بعض الاشتباكات حول الجامعة بين الطلبة والبوليس وســارت المظــاهرات حتى وصلت إلى كوبرى قصر النيل ففوجئنا برجال البوليس الحربى، وقــد اعترضوا المسيرة فى نهاية الكوبرى من ناحية الميدان، وقد سددوا بنــدقياتهم وبها "السونكى" إلى جهة المظاهرة وكانت مفاجأة غير متوقعة.

ومع ضغط الجماهير المحتشدة فى المظاهرات سقط الإخــوان فــى الصفوف الأولى قتلى وجرحى، وحدثت اشتباكات كان يقودها الأخوان "فتحى البوز، وعلى صديق" وانتشر الخبر على الفور حتى جاء عبــدالقادر عــوده داخل سيارة جيب ــ وكان قد استثنى من قرار الاعتقال ــ وأخذ قميص أحد الأخوة الجرحى وهو مضرج بالدماء واتجه إلى ميدان عابدين يندد بما حدث فى الوقت نفسه كان قد وصل للميدان باقى الجامعات والمدارس واســتمرت المسيرة واخترقنا الحصار بعد تلك الاشتباكات وتوجهنا صوب الميدان، وكان به عدد كبير من الطلبة والكل يهتف منددًا بما حدث.

كان هذا اليوم شاهداً على انتهاء العلاقات الطيبة بين رجال الثــورة والأخوان. وقد حاول الأخوان ــ فى هذا اليوم ــ أن يستعرضوا قوتهم فــى الشارع المصرى أمام رجال الثورة الذين كانوا محاصــرين داخــل قــصر عابدين، وقد زاد من ضعفهم فى هذا اليوم تلك الوقفة الشهيرة للــسيد "خالــد محيي الدين" التى وقفها فى صالح الحريات مما أدى إلــى انقــسام أعــضاء مجلس قيادة الثورة على أنفسهم.

حاول اللواء محمد نجيب قائد الثورة أن يهدئ الجماهير وأن يتحــدث إليهم ولكن دون جدوى وبذكاء شديد لمح عبدالقادر عــوده داخــل الــسيارة الجيب وهو يلَّوح بالقميص المخضب بالدماء وناداه أن يصعد إلى جانبه فــى

شرفة قصر عابدين. وبالفعل دخل الأستاذ عبدالقادر القصر وخلفه الحاج إبراهيم كروم وهو يمتطى فرسه وكأنه يحرسه، وصعد عبدالقادر إلى الشرفة وبإشارة واحدة من يده سكت جميع من فى الميدان وخيم صمت عميق.

وتحدث الأستاذ عبدالقادر إلى الجماهير وقدم لهم اللواء محمد نجيب ليستمعوا إليه فوعد بإطلاق الحريات واحترام المواطنين، واعتبر هذا اليوم مثاراً لنقاش كثير حول مصير رجال الثورة لو أن الإخوان ـ معززين بهذه الجموع الغفيرة ـ اقتحموا القصر وقبضوا على رجال الثورة. لو أنهم فعلوا ذلك لأنتهى الأمر منذ ذلك التاريخ. وكان هذا أحد الحوارات الكثيرة التى دارت بين الإخوان بعد ذلك وقيل إن الأستاذ عبدالقادر عوده قد تم إعدامه لما وقع ذلك اليوم.

الصدام مع رجال الثورة

فى تلك الآونة التى شهدت بوادر الصدام بين الحكومة والإخوان كان الأستاذ الهضيبي يقوم بجولة فى الدول العربية، وقد هاجم ــ علناً ــ رجال الثورة فى تلك الجولة، ولما عاد إلى القاهرة كانت أحداث ميدان عابدين قد حدثت وكان الجو "مكهرباً" بين الجماعة والثورة، وسرت شائعات تقول إن الحكومة تنوى اغتيال المرشد، وبناءً على ذلك تم فرض حراسة مسلحة من الإخوان عليه فى كل تحركاته.

وتحدد ميعاد حضوره إلى ميت غمر وزفتى للمشاركة فى تأبين الأخ "عجيبنة" شهيد مظاهرة كوبرى قصر النيل، وكنا فى استقبال المرشد بميت غمر، وذهبنا معه إلى "زفتى" حيث قمنا بحراسة "الصوان" وبقينا كذلك حتى انتهاء الحفل.

وفى الحفل تحدث الأستاذ الهضيبي وأجاب على بعض الأسئلة وهاجم رجال الثورة، وقال قولته المشهورة: "اللى مش عاجبه تصرفنا ينقص الفيضان" كناية عن أنه "يشرب من البحر". وعدنا إلى ميت غمر، حيث كان الإخوان هناك قد أعدوا "كتيبة" يحضرها المرشد مع الإخوان العاملين بمركز ميت غمر، و"الكتيبة" نوع من الاجتماع الليلي نبيت فيه معاً وبه محاضرات وصلاة وذكر إلى أن تنتهى الليلة، وكانت تعد لنوع معين من الإخوان أكثر صلة بالجماعة من غيرهم، وقد حضرت أنا وحضرها محمد عبدالله هلال، والشيخ مصطفى العالم.

وأذكر أن محمد هلال قد استهل الحديث فى بداية الاجتماع قائلاً: "فى هذه المرحلة الخطرة من الصدام بين الإخوان ورجال الثورة الذين تنكروا لبيعتهم مع الجماعة واتفاقهم معها، وساروا فى طرق لا نرضاها، يجب أن تعلموا جيداً ــ موجهاً حديثه إلينا ــ أننا قد قررنا المواجهة، وأننا أقوى من

الموقف، ولقد رأيتم ما حدث فى ميدان عابدين، فقد كانوا فى يـدنا، ولكننـا قصدناه إنذاراً لهم فقط، حيث أن القوة التى تحركت من الإخوان فى هذا اليوم هى "قسم الطلبة"، فما بالكم لو تحركت الجماعة كلها بكامل أقـسامها، وهـو أمر وشيك بإذن الله .. فاستعدوا لذلك".

ولا أنكر أننى خرجت من هذا الاجتماع مكتئبـاً مـن سـماع هـذا الحديث، فقد كان مليئاً بالغرور إلى حد كبير، ولم يكن فيه اعتماد علـى الله، وتحدثت فى هذا الأمر مع الأخ "محيى" وأقرني على ذلـك، وقـال إن الأخ محمد هلال رجل حركة وتنظيم وأنه يتحدث من هذا المنطلق.

فى هذا الاجتماع نفسه سئل الأستاذ الهضيبي عـن قبـول الأسـتاذ الباقورى منصب الوزارة وقرار فصله من الجماعة .. وأجاب : "أن جمـال عبدالناصر قد طلب منه ترشيح بعض الأسماء للاشتراك فى الوزارة ولكنـه رفض، فعاد عبدالناصر وطلب أن يشترك حسن عشماوى، ولكنـه رفـض، فذهب ــ بعد ذلك ــ يعرض الأمر على باقى الإخوان، ولم يوافق إلا الـشيخ الباقورى، رغم علمه أن ذلك ضد رغبة القيادة، ولهذا تم فصله من الجماعة.

مؤسسة تجارية ومخزن أسلحة :

تقرر نقلنا إلى القاهرة ــ أنا ومجموعتي ــ للمـساهمة فـى إقامـة مشروع تجارى بالجيزة لحساب النظام، وللإنفاق منه على النشاط كغيره من مشروعات أخرى مقامة لهذا الغرض، وكان الأخ "محيى" هو المرشح لإقامة وإدارة هذا المشروع وتم الاكتتاب له من بين الإخوان، واسـتأجرنا "محـل" وشقة خلفه. وفتحناها لتكون "المؤسسة التجارية" الكبيرة فى شارع عباس أمام "البوستة" واستأجرت شقة باسمى فى أول شارع الهـرم، وأقمنـا بهـا أنـا والإخوان "محي هلال وأسامة علام ومختار مراد" وكنا نذهب يومياً للعمـل

بالمؤسسة ونعود فى المساء إلى هذه الشقة التى كانت مكاناً لكثير من النشاط، حيث كان بها مخزن للسلاح نأخذ منه ونضع فيه.

كان المقصود أن نبتعد بهذه المؤسسة عن النشاط الإخواني حتـــى أن الكثيرين من الإخوان المعروفين كان قد نُبِّه عليهم ألا يـــدخلوا المؤســـسة إلا للضرورة القصوى، وأن المطلوب أن تعمل هذه المنشأة على أسس اقتصادية بحتة، وكنا نقوم بكل العمل حتى نظافة المكـــان كنـــا نفعلـــه بأنفـــسنا، وقـــد تخصص الأخ محيى الدين فى التسويق وشراء البضاعة، بينما قمنـــا نحـــن بالعمل الداخلى والإشراف على البيع، وكان نظام البيع بالتقسيط المريح فـــى جميع الأقسام، وهى: قسم المكتبة، الأدوات المنزلية، الخردوات، قسم للراديو والساعات والدرجات، كل هذا كان بالتقسيط.

الغريب ــ كما قلت ــ أن السرية كانت مفروضة على صـــلة هـــذه المنشأة بالإخوان، إلا أن الأخ محي قد ارتكـــب أخطـــاء فادحـــة فـــى هـــذا الخصوص، حيث كان أحد التجار الممولين لنا بالأدوات المكتبية يهودياً أسمه "فيكتور نجرين" ــ وهو يهودى مـــصري كـــان يمتلـــك مكتبـــاً للاســـتيراد والتصدير والأدوات المكتبية وكان هذا المكتب يقع فى شارع فؤاد ــ وهـــو الذى قام بالتعارف بين "محيى" ويهودى آخر كان يتاجر فى الأدوات المنزلية بالأزهر .. وكان "فيكتور" يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة حتى أنه أشرف مع محيى على تجهيز المنشأة منذ البداية ورأيته يقترح ــ على سبيل المـــزاح أن يحضر فتاة يهودية تجلس على "الكيس" حتى تدير رءوس الأخوان ! ومن هنا علمت أنه يعرف صلة هذه المنشأة بالإخوان، وقد راجعت الأخر محيى فـــى هذا الأمر وكيف يخطئ مثل هذا الخطأ الجسيم فقـــال لي : إن ذلـــك إمعـــان فى تضليل الحكومة، ولكنى لم أقتنع بهذا القول.

ظل العمل يسير فى المؤسسة على خير وجه، وانتشرت "سمعتها" فى الجيزة كلها. وكانت أسعارنا تنافس تجار الجيـــزة، بالإضـــافة إلـــى البيـــع

بالتقسيط. الأمر الذى أثار حقد هؤلاء التجار على المنشأة، وكـــانوا يتمنـــون زوالها، إلى أن حدثت واقعة محاولة اغتيال الرئيس جمال عبدالناصـــر فـــى المنشية بالإسكندرية، وقامت الدنيا ضد الإخوان، وخرجت المظاهرات مـــن هيئة التحرير بالجيزة تطوف الشوارع منددة بالإخوان إلى أن وصـــلت إلـــى المؤسسة فاستطعنا أن نغلق أبوابها من الـــداخل، لكـــنهم ــ المتظـــاهرين ــ تمكنوا من نهب وتحطيم "الفتاريـــــن" وظللنا نحن بالـــداخل حتـــى هـــدأت المظاهرات ثم خرجنا من باب الشقة الجانبـــي.

كعـــب دايـــر :

فى هذه الأثناء لم يكن "محيى" معنا، لكنى التقيت به بعد ذلك وقررنـــا أن يبتعد هو عن المؤسسة حتى يتضح الأمر. وذهبنا إلى شقة الهـــرم حيـــث قضينا الليلة نتدبر أمورنا، وقررنا فتح المؤسسة فى اليوم التالي كالعادة، وفى الصباح ذهب الأخوان "مختار وأسامة" لفتحها، وذهبت أنـــا لـــشراء بعـــض الاحتياجات ولم أعد إلا فى الليل، فوجدت المؤسسة مفتوحة، وعلـــى بابهـــا يجلس أفراد لا أعرفهم، فدخلت ــ كأنى أريد شـــراء شـــئ مـــن الـــداخل ــ فوجدت الموظف الوحيد فى قـــسم المكتبـــة، وتوجهـــت إليـــه فـــأخبرني أن الموجودين كلهم من المباحث وأنهم أخذوا أســـامة ومختـــار، وينتظرونـــى، فاشتريت شيئاً، وخرجت لأدفع القيمة، لكن الـــضابط الموجـــود اســـتوقفنى وسألني عن اسمى، وطلب منى تحقيق الشخصية واستبقاني بجانبه فترة، ثـــم خرجنا معاً، وطلب منى تحقيق الشخصية واستبقاني بجانبه فترة، ثم خرجنـــا معاً، وطلب منى أن أريه مكان سكنى، فذهبت به إلى شقة الهرم، وفوجئـــت بها وقد تم تفتيشها ووضع حراسة عليها، لكنهم لم يجدوا شـــيئاً، وهـــذا أمـــر سوف أعود إليه مرة أخرى.

اصطحبنى الضابط إلى سيارته وأخذ يجوب شوارع القاهرة ويسألنى عن محيى هلال وعن أوصافه وكل ما أعرفه عنه، لكنى أعطيته أخياراً غير صحيحة حتى عن أوصافه، وقلت له: إننى وهو من بلدة واحدة، وقـد طلـب منى استئجار هذه الشقة لكنى لا أعلم عن النشاط شيئاً.

تعاطف الضابط مع ما قلت، وقد ساعد على ذلك صغر سنى حيـث كنت فى الثامنة عشرة، ولكنه ذهب بى إلى "القلعة" حيث كان التحقيق يجرى مع المعتقلين. وامرنى أن انتظره أمام أحد المكاتب، وهناك وجـدت أسـامة علام ومختار مراد جالسين، وأخبراني بما حدث من تفتيش الشقة وكيف تـم اعتقالهما. وخرج الضابط من الغرفة وأخذنى إلى الداخل حيث غرفة أخـرى واسعة جداً وبها مكتب صغير يجلس عليه ضابط نحيل الجسم أشيب الـشعر، وبجانبه جهاز تسجيل ومعه أثنان آخران يجلسان حول المكتب، وسألنى هـذا الضابط عن محي وعلاقتى به، فلم أزد عما قلته للـضابط مـن قبـل فـى السيارة، فبدا عليه الاقتناع، وأمرنى بالخروج من الغرفة. وبعد قليـل جـاء الضابط الذى أحضرني وركبت معه السيارة وسألته: إلى أين ؟ فقال: سأذهب بك إلى منزلك. ولم أصدق !! ولكنه أكد لى ذلك، فطلبـت منـه أن يوقـف السيارة ويتركنى فى الشارع ــ وكنا فى ميدان العتبة ــ ففعل. وأكد علىَّ ألا اقترب من هذه الأمور مرة أخرى.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة صباحاً، وكنت فـى أشـد التعـب، فذهبت إلى "لوكاندة" فى ميدان الخازندار، ونمـت حتـى الثامنـة صـباحاً، وخرجت أبحث عن محيى هلال وأحاول التصرف معه.

تسليم وتسلم :

نعود مرة أخرى إلى ما بعد أحداث المركز العام .. كنا فـى حالـة "غليان" مما يحدث، وكنا ندرك مدى الكارثة التى لحقـت بالجماعـة، لكـن

العكس كان صحيحاً بالنسبة للإخوان فى الشعب، فقد كـانوا فـرحين بالثقـة الجديدة التى نزلت عليهم .. وبشنط السلاح التى صارت شائعة التداول بينهم. كنا نرقب ما يحدث بحذر وترقب وفى أحد الأيام دعينا للـذهاب إلـى شـقة الهرم حيث كان فى لقائنا محمود زينهم ومعه أخـوة آخـرون لا نعـرفهم. وتحدثوا إلى الأخ محيى هلال قليلاً ثم فتحت أماكن تخزين السلاح، وتمـت تعبئته فى أربع حقائب كبيرة، ووضعناها فى سيارة كانت معهم، ثم عدنا إلى الشقة، فأخبرنا الأخ محيى أنه تقرر تسليمنا للقيادة الجديدة، وحدد لنا موعـداً نلتقى فيه بالمسئول الجديد عن مجموعتنا فى كورنيش حي "الروضة" وتقابلنا فى المكان المحدد. وحضر المسئول الجديد. وتركنا الأخر محيى وذهب. ولم أفاجأ برؤية ذلك المسئول الجديد فكان قد سبقت لى رؤيتـه سـاعة أن كنـا نسلمهم السلاح. وكان هو الأستاذ "كمال السنانيري" والذى اتهم بعد ذلك بأنـه حلقة الاتصال بين الإخوان والجماعات.

بدأ حديثه معنا قائلاً: "إن دعوة الإخوان هـى دعـوة إلـى البـذل والتضحية والفداء وأنه قد آن الأوان لوضع ما تعلمناه وعـشنا لـه موضـع التنفيذ، وأن الجماعة مقبلة على معركة مصيرية مع رجال الحكم العـسكرى الذين تنكروا لقياداتهم وأداروا ظهورهم لبيعتهم. وسألته: هل كانوا حقاً مـن الإخوان ؟! وهل بالفعل بايعوا قادتها ؟ فأكد لى ذلـك وقـال: إنهـم كـانوا تشكيلات الإخوان فى القوات المسلحة منذ عام 1948. ولكنهم بعد أن نجحوا وساعدهم الإخوان حتى استتب لهم الأمر، بدأ جمال عبدالناصر يخرج علـى القيادة. وكان عبدالناصر قد اتفق أن يتبع تعليمات المرشد، وقيـادة الإخـوان فى المرحلة الانتقالية حتى يتم الإعلان الرسمى عن تطبيق الحكم بالشريعة.

وسألناه : كيف ندخل معركة من هذا القبيل وصفوف الإخوان بهـذا الشكل من الارتباك والخوف مع عدو يعرف الكثير عنا ؟

فأجاب : بأن النصر من عند الله.

وسألته : إننا مطالبون ــ رغم ذلــك ــ بالإعــداد الجيــد، وأن الله سبحانه وتعالى قال "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومــن ربــاط الخيــل" فأجاب: أن هذا هو قدر استطاعتنا. فسألته: هل عندنا ما يكفى مــن الــسلاح والعتاد لخوض هذه المعركة ؟

فأجاب : إن الشرع يقضى على المسلمين أنــــه حين ينادى منــادى الجهاد أن يخرج كل بسلاحه وزاده وفرسه. وقد ذهلــت من هذا الرد، لأننــا تعلمنا دائماً ألا نحتفظ بسلاح شخصى معنا لدرء أى خطـــر، ولكن السلاح سيتم تجميعه بصورة مركزية ودليل ذلك أنه حين ذهــب الإخـــوان إلــى فلسطين لم يطلب من أيهم أن يخرج بسلاحه وزاده وفرسه، ولكــن كـــــل شئ كان جاهزاً لهم.

ومن هذا النقاش أحسست أننا ذهبنا بعيداً فى جدل لــيس لـــه آخــر وأحسست مرة أخرى بعظم الكارثة. والتزمت الصمت حتى انتهى من حديثه، وتواعدنا على اللقاء مرة أخرى فى منزلنا بالهرم.

وتعددت لقاءاتنا، وأحسست أن "جو" القاهرة قد أصبح خانقــاً وغيــر مريح، حتى أننا حضرنا اجتماعاً اشترك فيه عدد كبير من الأخوة الذين كانوا على علاقة بالأخ محيى ــ وكنا حوالى خمسين فرداً ــ فــى أحــد المنــازل بالجيزة، وكان الجميع ساخطاً على ما يحدث داخل الجماعة، حتى أن بعضهم دعا أن نقوم بتجميع أكبر عدد من الإخوان ونزحف على المركز العام ونقوم بخلع الطرفين: عبدالرحمن السندي ورفاقه، والأستاذ الهــضيبي وحاشــيته. ولكن بعضهم الآخر طالب بالتروي وان مثل هذه الأمور لن تزيد الأحــوال إلى سوءاً.

خرجت من هذا الاجتماع أبغى الراحة بدنياً وعقلياً وروحياً ــ وقلت:

إذن فلأذهب إلى ميت غمر، فقد أجد هناك بعض الراحة، خاصة وأن هناك أخوة أحبهم وارتاح لحديثهم، وصارحت الأخــوين "مختــار وأســامة" بالأمر، وذهبنا إلى شعبة ميت غمر والتقينا بباقى الأخوة هنــاك، وكــانوا لا يعرفون شيئاً عن انتظامنا فى أجهزة القاهرة وطلبــوا منــا الانتظــام فــى تدريباتهم والاشتراك معهم فى الإعداد للمعركة.

ولم نستطع كشف علاقاتنا، ولم يكن أمامنا إلا موافقتهم، وطلب منــا فى اليوم التالى أن نخرج ليلاً مرتدين ملابس ريفية وغير نظيفة. وأن نذهب على الأقدام "حفاة" ــ حوالى 12 كيلو ــ إلى قرية ميــت أبــو خالــد للقــاء "عبدالحميد البردينى"، وكان رحمه الله ذا تأثير عظــيم علينــا، فقــد كانــت "روحانياته" عالية جداً، فذهبنا كما طلب منا، ووصلن إلــى منزلــه حــوالى الحادية عشرة مساءً، وطرقت الباب، وبدا عليه أنه لم يكــن فــى انتظارنــا، ولكن هيئتنا ــ على ما يبدو ــ كانت إحدى الشفرات المتعارف عليهــا بينــه وبين محمد هلال، لأنه قال لنا على الفور : هل أرسلكما محمد هلال، فأجبنا: نعم.

وجلسنا قليلاً، ثم أحضر لكل فرد بندقية أو مدفعاً طراز "ستن" ومعــه قطع أخرى، وخرجنا معاً نسير داخل المزارع معلقين السلاح علــى أكتافنــا كما يفعل رجال الليل. وجرينا على الحدود بين قريتين ثم بدأنا فــى إطــلاق النيران. وكان سبب اختيار المكان بين قريتين حتــى تظــن كــل قريــة أن الصوت آت من القرية الأخرى وبهذا تضيع المسألة ولا يهتم بها أحد. وعدنا إلى المنزل حوالى الواحدة صباحاً حيث سلمنا السلاح، وطلب منــا العــودة والحضور فى اليوم التالي لبدء حضور بعض المحاضرات العسكرية.

انتظما فى هذه المحاضرات لمدة أسبوع، ومعنا بعض الأخــوة الآخــرين، لكنا ما درسناه لم يكن جديداً، فقد سبق أن درسناه فى القاهرة منذ أكثــر مــن عام، وكان عبدالحميد البرديني يسألني من حين لآخر إن كنت قد سمعت هذا

الكلام من قبل فأجبت بالنفى لأنه لم يكن يرى على وجهى علامات الانبهــار مثل الآخرين.

كنا نذهب ليلاً إلى الشعبة حيث نلتقى بباقى الإخوة الذين لم يكن لهــم حديث إلا المعركة والإعداد لها والتكهنات بتوقيتها، وقد حضر "محمد خميس حميده" فى حديث الثلاثاء بالشعبة وتحدث إلينا عن أخر الأحــداث قــائلاً: إن جمال عبدالناصر قد أغرته السلطة وخرج على رأى القيادة، ولهذا فلابد مــن تأديبه". وسألناه إن كنا مستعدين لهذا الموقف فأجاب بثقة شديدة: إن كل شــئ محسوب وأنه "حين تأتى الساعة فكل ما فوق التراب تراب" وكان دائماً يحب هذا النوع من التلميح فى الحديث.

وأحسست من هذه العبارة أننا مقبلون على صدام رهيب.

خطة الصدام :

علمنا أثناء فترة التدريب مع أخوة ميت غمر أن الخطــة المقترحــة للصدام ستأخذ شكلاً غير متوقع وأنها تعتمد على التحركات الآتية :

أولاً : تأمين الجيش عن طريق بعض الأخوان الذين كانوا فى الخدمة ولا يعلم بهم تنظيم عبدالناصر، وكان على هؤلاء واجب تحييد الجيش فقــط والتأكد من عدم تحرك وحدات أخرى لقمع الحركة الشعبية المخططة.

ثانياً : القبض على بعض الشخصيات المهمة والتى لهــا ثقــل عنــد الصدام وإذا لم يتمكن من القبض عليهم فهناك خطة بديلة لاغتيالهم.

ثالثاً : قيام جميع الأخوان على مستوى الجمهورية بالاستيلاء علــى أقسام البوليس والمباني المهمة كل فى حدوده مستعيناً بأقل عدد من الأخــوان المدربين، حيث أن هذه الحركة فى الأقاليم لا تحتاج إلى أعداد مسلحة.

رابعاً : تقوم المجموعات الوافدة إلى القاهرة بالانضمام إلى إخـــوان القاهرة فى عملية الاستيلاء على المبانى الحكومية ذات التأثير، وقــد كانـــت محددة بدقة ولكل مكان يحدد الأخوة المكلفون به.

ومن المهام التى كانت منوطة بالإخوان الوافدين من الأقاليم القـــاهرة والتى سيتم تنفيذها تحت قيادة إخوان القاهرة.

- أقسام البوليس فى جميع أحياء القاهرة.
- مبنى الإذاعة.
- قطع الطرق المؤدية من ثكنات الجيش إلى داخل القاهرة.
- قطع الطرق الداخلة إلى القاهرة من جهة الإسماعيلية.

خامساً : يقوم قسم الطلاب بحركة مماثلة لما حـــدث فـــى مـــارس مـــع اختلاف أن المظاهرة فى هذه المرة ستكون مسلحة، وستقوم هذه المظـــاهرة بدور الحدث الضخم الذى يغطى بباقى العمليات، وإتمـــام حـــصار القـــصر الجمهورى والاستيلاء عليه بعد أن تكون باقى المنشآت الحكومية والمهمة قد تمت السيطرة عليها فى خطة زمنية مفصلة.

حادث المنشية :

عدنا إلى القاهرة بعد أسبوع قضيناه فى ميت غمـــر، شـــاركنا فيـــه إخواننا هناك فى تدريباتهم واستعدادهم وقد كانوا إلى حد بعيد فى منأى عـــن خلافات القاهرة وصراعاتها حيث أن قادة النظام هناك قد اتخذوا أماكنهم فى التنظيم الجديد، ولم يدخلوا فى دوامة الصراع القائم فى مصر إلا بقدر السعى للتوفيق.

كنا فى "جو" أكتوبر المشوب ببرودة مستحبة تدفع للنشاط والحركـــة، وكنا مستعدين لتلقى تعليمات المعركة. حضرنا بعض الاجتماعات فى منازل

بعض الإخوان فى الجيزة، حيث كنا ممنوعين من الذهاب إلى "شعبة" الجيزة وعلينا أن نتحرك بعيداً عن التجمعات الرسمية للإخوان.

اجتمع بنا الأستاذ كمال السنانيرى وتحدث عن آخر الأخبار وقال أن جمال عبدالناصر قد باع القضية الوطنية التى قضينا عمرنا ندافع عنها، وسلم للإنجليز بأكثر مما كانوا يحلمون به، حيث أعطاهم الحق فى الاحتفاظ بالقاعدة، والعودة إلى القتال فى أوقات الأزمات، وأن هذا انتقاص لسيادة مصر، وإهدار لكفاح الأجيال المصرية منذ بدء الاحتلال وحتى الآن.

وقال أيضاً :

"إن الأمر قد زاد سوءاً بعد وصول أخبار مؤكدة لقيادة الإخوان عن لقاءات تمت بين عبدالناصر وبن جوريون وبصحبته ايجال ألون على إحدى القطع البحرية فى عرض البحر الأحمر قرب مضيق العقبة، وأنه يرتب لبيع قضية فلسطين كما باع مصر. وبهذا فإن الصدام قد أصبح جهاداً مقدساً لمنع هذه الجرائم فى حق أرض الإسلام، وعلينا من الآن أن نكون على صلة به حيث أن التعليمات ستصدر فى أية لحظة".

كنا شباباً وطنياً متحمساً، ومدرباً تدريباً جيداً، فلو ألقوا بنا بعد ذلك فى أى اتجاه لذهبنا.

بعد ذلك التزمنا العمل بالمؤسسة نهاراً والذهاب إلى المنزل بعد ذلك مباشرة حيث يكون الاتصال بنا سهلاً ويسيراً، وكنا قد تدربنا من قبل على نظام "الجمع السريع" أى أن تصدر الأوامر وتبلغ وتنفذ فى ظرف 15 دقيقة.

بعد يومين من هذا اللقاء ــ وكنا قد قاربنا على موعد إغلاق المؤسسة ــ أتى الأخ محيى من الخارج وأشار إلىَّ فذهبت معه وبادرنى بقوله: "حدثت مصيبة !!" فانزعجت ــ وكان وجهه مكفهراً وبه رعشة خفيفة تنتابه فى الأزمات الشديدة. وسألته عما حدث فقال: "حدثت محاولة اغتيال عبدالناصر فى المنشية بالإسكندرية، ولكنه لم يصب. والآن أمامك ساعة

فقط، أغلق المؤسسة وقابلنى مع مجموعتك فى مكان عام" ـــ حـــدده هـــو بالقرب من ميدان الجيزة ــ ولما ذهبنا إلى هنـــاك وجـــدت الميـــدان مليئـــاً بمجموعات من النظام متناثرة هنا وهناك وكأنهم فى انتظار أمر مهم.

حاولت الاتصال بكمال السنانيرى لكنى لم أجده واتصل الأخر محيى بقادته فجدهم مذهولين مما حدث وكانت الأنباء قد بدأت تنتشر وقـــد أجمـــع الكل ــ وعلى جميع المستويات ــ عـــــدم علمهم بهـــــذا الأمر وأن طريقة التنفيذ بدائية جداً وليست من أساليبنا المتعارف عليها. ولكن على أيـــة حـــال انقسم الرأى إلى قسمين :

الأول : يطالب باغتيال عبدالناصر حين عودته من الإسكندرية وكان تصورهم أنه سيحضر عن طريق محطة مصر فى بـــاب الحديـــد وينبغـــى القضاء عليه بأى شكل.

الثاني : يرى أن يبدأ تنفيذ باقى الخطة فوراً ــ أى فى الليلة نفـــسها ــ وقبل أن تبادر الحكومة بالهجوم على الإخوان، لكن كلا الرأيين لـــم ينفـــذ لأن الأمر يحتاج إلى أوامر القيادة بالتنفيذ وهيهات لتلك القيـــادة الجديـــدة ــ بتنظيمها الجديد غير المدرب وغير المتماسك ــ أن تتخـــذ قـــراراً ســـريعاً لمواجهة ظرف طارئ فى هذا الحجم.

عبدالناصر برئ :

وكان لهذا الحادث وما توافرت لى مـــن معطيـــات حولـــه .. عـــدة احتمالات عندى هي :

أولاً : أن جمال عبدالناصر قد رتب هذا الأمر ترتيباً جيداً. وقد كانت عنده المقدرة على اختراق صفوف الإخـــوان بعد الانقسام الذى حدث والحالة التى كانت عليها الجماعة ــ والتى ذكرتها من قبل ــ وكان يؤيد هذا الـــرأى عدة أمور منها :

(أ) أن هذا الترتيب يتفق مع عقلية جمال عبدالناصر التى كانت ــ دائماً ــ تهوى الإجراءات الوقائية، أى أنه علم بنوايا الإخوان وخططهم، فبادر وعجل بتنفيذها، ولكن بترتيبه وتحت سيطرته.

(ب) أن أى إنسان على علم ودراية ــ ولو بسيطة ــ بالسلاح سوف يعلم أن المسدس الذى استعمل ليلة الحادث لا يمكن أن يكون قاتلاً من هذا البعد وتلك المسافة.

(جـ) الترتيبات التى كانت جاهزة فى مقار هيئة التحرير، والحشود الموجودة للقيام بالمظاهرات حتى قبل الحادث بيوم.

(هـ) الاستعداد "الأمنى" الشديد للبدء بالاعتقالات وبدء المواجهة من ناحية الحكومة، ولكنى لم أرتح لهذا الرأى فقد كانت حياة جمال عبدالناصر أحد أطراف اللعبة .. ولم يكن ليغامر بها.

ثانياً : إنه تصرف فردي قامت به مجموعة قد ذهبت بها الحماسة إلى آخر المدى، ولم تعد قادرة على الانتظار أو التحكم مع "الشحن" المستمر. ووجود السلاح بين أيديهم، فلم ينتظروا أمراً ولا خطة. وبهذا يكون موقف "هنداوى دوير" رئيس منطقة إمبابة فى ذلك الوقت والذى أصبح بحكم التنظيم الجديد متحكماً فى أفراد النظام التابعين لمنطقته وأسلحتهم، قد أعطى الأمر ورسم الخطة، وقد كان الأمر والخطة على قدر جهده وعلمه بتلك الأمور .. أما "محمود عبداللطيف" .. فقد كان من جنود النظام المدربين، ولكنه كان وقبل كل شئ ــ بسيطاً ينفذ الأمر فقط، فلم يفكر فى تفاصيل الموضوع. وأنا شخصياً أرتاح لهذا الرأى لأنه يتسق مع حالة التفسخ والضياع التى كان فيها أفراد الجماعة فى هذا الوقت.

ثالثاً : أن هذا كان تنفيذاً لخطة الجماعة فى المواجهة، وهذا الرأى غير سليم، فلو كانت خطة الجماعة، لكان إخوان الإسكندرية هم أقدر

المجموعات لتنفيذ تلك المهمة. فهو على أرضهم وبينهم الكثير من الإخـوان القادرين على تنفيذ هذا العمل. ولكنهم كانوا فى ذهول حين سماعهم طلقـات الرصاص. فقد كان كثير منهم موجودين فى الاجتماع ولم يكـن مطلوبـاً أن يحضر أحد إخوان القاهرة للتنفيذ. بالإضافة إلى أنه لم يحدث أى تحرك آخر لتنفيذ باقى الخطة، حتى وإن فشلت العملية الأولى، فكان تنفيذ بـاقى العمليـة كفيلاً، بإرباك حركة الحكومة والتى انتشرت من اليوم التالي.

لكن تحركات قيادة الجماعة فى الأيام التالية اتسمت بالارتباك الشديد وعدم التخطيط والارتجال. فقد رأيت الذعر الذى عاشه الإخوان فى التنظـيم الجديد. وكيف كانوا يحاولون التنصل من المسئولية والتخلص من الأسـلحة الموجودة لديهم بطريقة مذعورة، حتى أن بعضهم ألقاها فى النيل .. وكانـت أحاديث المسئولين لهم بعد ذلك إنشائية بحتة. كما حدث فى أحد اللقاءات فـى الجيزة. فقد حضر الأخ محمد عاكف واجتمع بالإخوان وطـالبهم بالمقاومـة وعدم الاستسلام للاعتقال، وأن عليهم أن يقاوموا بأى شئ حتـى بـسكاكين المطبخ أو العصى، بينما كان بعضهم يتخلص مـن الأسـلحة التـى معـه. والغريب أنه بعد هذا الاجتماع تم القبض على "محمد عـاكف" وهـو يقـود "الفسبا" التى كان يستعملها، ولم يقاوم بسكاكين المطبخ.

ميمي بــك :

بعد خروجي من "القلعة" وقضاء ليلتي فى فندق بميـدان الخازنـدار، ذهبت إلى الجيزة بحثاً عن الأخ "محيى" ووجدته فى منزل أحد الإخوة الـذين لم يكن لهم اتصال بالعنف والعمليات الخاصة. وكان بعيداً عن ذهـن رجـال المباحث، وهو الأخ "محمد صوان" وتداولنا فى الأمر وكيف سـيهرب مـن مصر وكانت هناك عدة اقتراحات وهـى أن الخيـارات المفتوحـة للهـرب ستكون: عن طريق حدود ليبيا، أو عن طريق حدود السودان، أو عن طريق

عزبة البرج حيث تنقله إحدى سفن الصيد. وقد اتفقنا على أن نرتب له مكانـــاً بالقاهرة يقيم فيه حتى ننتهى من ترتيبات هروبه.

تركته وذهبت للاطمئنان على الأخ "كمال السنانيري" بمنزله فى منيل الروضة. وهناك أحسست أن المكان غير طبيعي. أشـــخاص هنـــا وهنـــاك يتظاهرون بالقيام بأعمال النظافة، ولكن مظهرهم لا يدل على ذلك. شـــعرت أن فى الأمر شيئاً مريباً، ولكنى صعدت إلى شقته فى الدور الثالث، وطرقت الباب عدة مرات ففتحت لى خادمة مذعورة أخذت تـــصيح بـــصوت عـــال: "خدوه .. خدوه" وأيقنت ما حدث فدفعتها بسرعة داخل الـــشقة ونزلـــت فـــى هدوء خارجاً من المنزل حيث اعترضنى أحد عمال النظافة .. وسألنى عمن كنت أبحث ؟ وفى أى شقة كنت ؟ لكنى نهرته بشدة فلـــيس مـــن المعتـــاد أن يسأل الخدم مثل تلك الأسئلة، وتركنى أخرج. وتصورت بالطبع أننى ســـوف أوضع تحت المراقبة بعد خروجي من هذا المنزل، ولكنـــي أجريـــت عـــدة اختبارات تعلمناها بهذا الخصوص ووجدت أننى غير مراقب.

عدت إلى منزل الأخ "محمد صوان" ووجدت "محيى" فـــى رعـــب، فالمنزل مراقب، ورجال أمن الدولـــــة حوله فى كل اتجاه، وطلبت منهمـــا الهـــدوء لعل هناك خطأ مـــا، وخرجت "أعايـــــن" الأمر واشتريت طعامـــاً وعـــــدت إليهما لتأكيد الخبر.

وتذكرنا أن لنا غرفة فوق سطح عمارة فى الدور الـــسابع بـــشارع عباس بالجيزة وأننا لم نستعملها منذ فترة ولابد أنهـــا مهجـــورة الآن. وقـــد نسيناها وسط هذه الأحداث، فتطوع الأخ محمد صوان أن "يعـــاين" المكـــان ويرى مدى صلاحية استعماله من جديد. وجلست أنا والأخ "محيى" نتـــداول: كيف يمكن ترتيب أوراق له باسم آخر ؟ وكيف يمكن أن يغير مـــن شـــكله، وفى أى اتجاه نبحث أمر هروبه!

وعاد الأخر "صوان" بالأخبار التى علمنا منها أن بعض الأخوة قد استعملوا الغرفة أثناء غيابنا، وجعلوها "مخزناً" وضعوا فيها "جوالاً" مملوءاً بالمنشورات. وفى إحدى الليالي سطا لص على المكان، فوجد هذا الجوال فأخذه ظناً منه أن به "خيرات"، لكن حين نزوله قابله رجال أمن الدولة الذين كانوا يراقبون المنزل واشتبهوا فيه. وفتشوا الجوال ووجدوا به منشورات تدعو للثورة وتندد برجال الحكم، فاقتادوا اللص على أنه من كبار الإخوان بينما كان يصيح فى الشارع .. "أنا لست من الإخوان .. أنا لص أنا لص".

استأذنت الأخ "محيى" أن أذهب إلى ميت غمر لمدة يومين لأطمئن أهلى وأعود إليه، وسألته إن كان فى حاجة إلى بعض المال أستطيع تدبيره من البلد .. ولكنه قال لى إن معه بعض أموال المؤسسة ــ وتقدر بعدة ألوف ــ سوف يستغلها فى عملية هروبه.

ذهبت إلى "ميت غمر" وفى طريقى اشتريت إحدى المجلات، وكانت صورة الغلاف للأخ "يوسف طلعت" وكنت أنوى الاحتفاظ بها. كانت المجلة تتكلم عن هروب يوسف طلعت ومخزن السلاح الذى كان فى "جراج" حسن عشماوى .. وغيرها من أخبار الإخوان فى هذه الأيام وقابلت الأخ "عبدالحميد البرديني" فى أحد شوارع ميت غمر ــ وكانت أخر مرة أراه فيها قبل اعتقاله ــ وقد أعجبته صورة الأخ يوسف طلعت، وطلب منى أن أعطيه المجلة فأعطيتها له، وتحدثنا عن أخبار القاهرة وأخبار الأقاليم وأن الاعتقالات فى القاهرة أشد وأن الأقاليم ــ إلى حد كبير ــ يمكن أن ينجو منها عدد كبير ببعض الهدوء.

قابلت والدى وأسرتى، وقضت ليلتى معهم، لكن والدى لم يكن مطمئناً لوجودى فى القاهرة فى تلك الظروف، وطلب منى أن أحول أوراقى لمدرسة ميت غمر الثانوية مرة أخرى، وبعد أن كنت قد انتقلت إلى مدرسة الجيزة الثانوية حسب أوامر الإخوان.

فتاة عاريـــة :

عدت إلى القاهرة بعد يومين، فلم أجد الأخ "محيى" فى شـــقة "محمـــد صوان" لكنه ترك لى عنوانه الجديد فى بنسيون بحى الظاهر .. سارعت إلى هناك وطرقت الباب ففتحت لى فتاة كانت ترتدى ملابس لا تستر إلا جــزءاً قليلاً من جسدها وسألتنى عمن أريد ــ وكنت قد علمت أن الأخ محيـــى قــد غير اسمه إلى محمد ــ فسألتها عنه فأجابت بنوع من المجون : "تقصد ميمى بك" قلت: وليكن، فاقتادتني إلى غرفته فوجدته قد أطلق شاربه قليلاً، وصفف شعره "ع الموضة" وسألته عما حدث، وكيف جاء إلى هذا المكـــان، فـــأرانى تحقيق شخصية باسم "محمد هلال" مختومة من إحدى المدارس، وقـــال إنـــه اتصل بالتاجر اليهودى "فيكتور نجرين" الذى كان يتعامل معنا فى المؤســـسة والتجارية وأنه ــ أي اليهودي ــ أبدى شهامة كبيرة فى مساعدته، وهو الذى دله على هذا البنسيون الذى تديره فتاة يهودية تأوى فيه بنات الليـــل، وبهـــذا يكون المكان بعيداً عن أعين المباحث العامة.

قلت له: إنه لو اعتقل فى هذا المكان فسوف يلطخون بسمعته التراب، لكنه أصر على أن يبقى هناك. وقال إنه ينوى ويرتب الخروج من الحـــدود. فاستأذنته فى العودة إلى ميت غمر وعدت فى اليوم نفسه، وبقيت ثلاثة أيـــام فى "هم" شديد متابعاً الأحداث فى الراديو والصحف يومياً. وعن طريق اللقاء مع من تبقى من الإخوان نتعرف على أخر أخبار الاعتقالات والشائعات، وقد علمنا أن الشيخ مصطفى العالم قد اعتقل هو وعبدالحميد البرديـنـــي ومحمـــد هلال وقررت الهدوء ومتابعة الأخبار لفترة حتى تمر العاصفة.

الرفـــاق يتساقطون :

قررت بعد فترة راحة قصيرة أن أذهب إلى القاهرة لأنهـــى موقـــف شقة الهرم، وأحول أوراقى مرة أخرى إلى مدرسة ميت غمر الثانوية، وفـــى

صبيحة أحد الأيام طالعت جريدة الصباح ــ كما هى العادة ــ فوجدت خبــراً غريباً يقــول: إن محيى هلال قد ذهب طواعية وسلم نفسه للبوليس ولـــــم أفهم ذلك ولكنه حدث.

وبعد أيام ذهبت، ومعى أختى الكبرى ــ وكانت دائمة القلــب علــيَّ وكثيرة الاهتمام بأمورى ــ إلى شقة الهرم، حيث حزمنا جميع الأمتعة وقمنا بشحنها بالسكة الحديد إلى ميت غمر، وذهبنا إلى مدرسة الجيزة الثانويـــة، وتم تحويل أوراقى إلى ميت غمر مرة أخرى، وتم لي الاستقرار هناك عــدة سنوات.

بدأت أتابع محاكمات الإخوان فى الراديو والجرائد، وبدأت أتحــرك فى اتجاه قرى ميت غمر، حيث بعض الإخوان الذين لم يقبض عليهم، وكـــان من بينهم عدد لا بأس به من الإخوان العاملين، وكان الهدف من جلساتنا تقييم ما حدث ومتابعته.

فجأة جاء أحد المخبرين إلى والدى، وأخبره أن يمنعنى مــن كثــرة الحركة هذه الأيام لأن الموقف ليس فى صالحى. وأن كثيراً مــن المخبــرين خارج المحافظة موجودين بالبلدة، ولن يستطيع مخبرو ميت غمــر حمــايتى أكثر من ذلك، وكلهم كانوا على علاقة طيبة بوالدي.

وكان والدي يمتلك عدة مخابز بالمدينة، ويقوم بتوريــد الخبــز إلــى مدارس مركز ميت غمر، مما أعطاه الكثير مــن الاتــصالات مــع جميــع المسئولين فى المدينة، حيث كان يتم توريد الخبز إلى منازل كبار المــوظفين وتتم محاسبتهم شهرياً، إلى جانب أنه كان يملك عدة عقارات فــى المدينــة، وكان هذا يعطيه وضعاً اجتماعياً متميزاً، علاوة على كثير مــن الاتــصالات بعد ذلك.

طلبنى والدي وذهبت إليه فى مكان عمله، وتحدثنا بعيداً عن والــدتي حتى لا تنزعج، وأخبرني بما حدث، فوعدته بالإقلال من الحركة فى الفتــرة الحالية، وبعد عدة أيام علمنا أن المباحث وعدداً كبيراً من رجال البوليس قــد حضروا إلى ميت أبو خالد بصحبة عبدالحميد البرديني، وقادهم إلــى منــزل الأخ محمد عبدالحى العوضى. وشقوا أحد جدران المنــزل ــ وكــان مــن الطوب اللبن ــ وأخرجوا منه كمية لا بأس بها من السلاح، وقــالوا إن هــذا السلاح كان من أجل معركة القتال وفلسطين.

وتحمل عبدالحميد البرديني التبعة، وأنه هو المسئول عن هذا الأمــر بالنسبة للدقهلية كلها. وبهذا تمت حماية محافظــة الدقهليــة وإنقــاذ قادتهــا وأسلحتها من الأحكام وكانت تلك هى الخطة المتفق عليها لخوض التحقيقات، وهذا ما حدث تماماً مع الأخ كمال السنانيرى، حيث ضبط لديه السلاح الــذى كان فى حوزة محيى هلال فى شقة الهرم، ذ أقر أنه هو المسئول وتم إنقــاذ محيى ومحمد عبدالحميد العوضى، وحكم على كل من البرديني والــسنانيري بالسجن 10 سنوات مع إيقاف التنفيذ، وأفرج عنهما مع تصفية المعتقل عــام 1956.

ورقة بيضاء

الباب الثاني

تنظيم جديد

صفحة بيضاء

بعد أن هدأت الأمور فى مركز ميت غمر عقب استخراج السلاح واعتقال بعض الإخوان ـــ واحد من كل قرية كبيرة تقريباً ـــ بدأت فى التحرك مرة أخرى، وكان تركيز الزيارات على إخوان ميت غمر حيث لم يعتقل من المدينة سوى الشيخ مصطفى العالم. بالإضافة إلى آخرين من "ميت أبو خالد"، و"كوم النور"، و"كفر شكر" .. وغيرهم من قرى مركز ميت غمر.

كان الانطلاق يبدأ دائماً من حيث "ميت أبو خالد" حيث يوجد عدد كبير ممن تعلموا على يد الأخ عبدالحميد البرديني، كنت أذهب إلى الأخ "سيد البرديني" ويقوم هو باستدعاء بعض الإخوان، فنجلس معاً لنتدارس فى كل الأمور، ونعرف أخبار السجون، وتطور الأمر إلى بعض النشاط المنظم حيث كنا نقوم برحلات لزيارة القرى الأخرى مستخدمين الدراجات. وكانت هذه الزيارات تتم ليلاً فى كثير من الأحيان. وكانت قرية "كفر محمد أحمد" بالشرقية هى أكثر الأماكن التى كنا نذهب إليها، حيث كان بها الأستاذ "أحمد نار" والأستاذ "سعيد نار"، وكان "أحمد" أحد الأساتذة الذين يحضرون إلى شعبة ميت غمر أو حضور بعض الكتائب التى كنا نبيت فيها ـــ كمجموعات ـــ ليلة كاملة فى الدروس والعبادة.

سارت الأمور على هذه الحال لفترة، وكنت قد شكلت مجموعتين احداهما فى مدينة غمر، والأخرى فى "ميت أبو خالد" .. وكانت هناك مجموعة ثالثة فى كوم النور .. واعتبرت هذا نواة تنظيم جديد وإعادة الحياة للجماعة مرة أخرى.

فى إحدى الليالي طلبت من الأخ سيد البرديني شراء مسدس وبعض الأسلحة للتدريب، وأخبرني أن السلاح موجود وأن ما تم ضبطه كان مجرد أحد المخازن التى بها بنادق قديمة من طراز "لي انفيلد" ولكن باقى الأسلحة

والقنابل موجودة عنده فى "الحفظ والصون" وأننى حين أحتاج لشئ سيقوم هو بتدبيره لي

كان تفكيرنا فى أول الأمر يقوم على تسديد ضربة انتقامية ضد جمال عبدالناصر على ما فعل. ولهذا فقد فكرنا فى سرعة التدريب. وبدأ يعطينى السلاح الذى أطلبه فأخذت منه ــ ذات مرة ــ مسدس "لوجر برا بللو 9 مللى" وتم تدريب المجموعات عليه وإعادته .. ومرة أخرى أخذت عدد 2 قنبلة يدوية واحدة من طراز "ميلز" ضد الأشخاص، والأخرى "سوستيا رومان ــ حارقة" وظلت علاقتنا على هذا النحو بين "كتيبة" ورحلة بالدراجات واجتماع للتدريب على السلاح.

كان مما يقلق الأخ سيد البرديني أن الأستاذ محمد هلال فى الأيام الأخيرة ــ أى قبل الاعتقالات ــ قد استرى كمية كبيرة من رشاش "ستن" وكان يرى أن هذا النوع من السلاح قليل الفائدة حيث لا يحتمل معركة طويلة نظراً لأن أجزاءه تسخن .. وكنت أعلم بهذه الصفقة وأعرف أنه اشتراها رخيصة، فقد كان سعر المدفع ستة جنيهات. وكان هو يرى أنها مناسبة لهذه المعركة الخاطفة، ولتستمر الحال هكذا حتى خرج الإخوان من المعتقل عام 1956.

خرج الإخوان محيى وأسامة ومختار ومحمد هلال والشيخ مصطفى العالم. ولكن عدداً كبيراً ممن كنت أعرفهم ظلوا فى السجون حيث حكم عليهم بـ "مُدد" مختلفة، وكنا نعقد أمالاً كباراً على خروج الأخوة المعتقلين لإعادة تنظيم النشاط، خاصة أنهم أكثر قدرة وخبرة منى وممن معي. لكن كانت صدمتنا فيهم كبيرة حيث سمعنا أعذاراً متباينة إن دلت على شئ فإنما تدل على أنه ليس بينهم اتفاق، وأن كل واحد يرتب أعذاره لينأى بنفسه ويبتعد.

سمعنا من الأخ محمد هلال أنه ليس أمامنا إلا تهدئة الأمور، والعمل على إخراج الإخوان من السجن، وسمعنا من الشيخ مصطفى العالم، أنه كان يفكر كيف يخرج من مصر ولا يعود إليها. وسمعنا من الأخ محيى أنـه لـم يكن يفكر إلا فى أن يبنى نفسه اقتصادياً وإن كان قد اضفى على هذا الأمـر صفة الدعوة، فقال إن هذا سيكون من أجل الإنفاق على "أسـر المسجونين" وعلى أى نشاط مستقبلي وكان دائم العزف على هذا الوتر .. قبـل أن يبـدأ نشاطاً تجارياً جديداً حتى يجد الدعم المطلوب من الإخوان، وبعد ذلك يبتعـد بنفسه وبشركته .. أما مختار مراد وأسامة علام فقد ذهب كل فـى طريقـه لدرجة أنهما ابتعدا حتى عن بعض شعائر الدين.

تصفية المؤسسة التجارية :

طلب مني الأخ محيى أن نذهب إلى القاهرة لفتح المؤسسة التجاريـة بالجيزة، والتى كانت مغلقة منذ عام 1954 وكان على أبوابها حراسة منعتنى أن أفتح أبوابها طوال هذه الفترة، خاصة أنها كانت مسجلة باسم الأخ محيـى هلال .. ولكن مفاتيحها كانت معي. ذهبنا إلى القاهرة، وفتحنا المؤسسة وقمنا بأعمال النظافة وبدأنا فى جرد ما تبقى من البضائع فى جميع الأقسام، وقـد كانت الخسارة كبيرة حيث عاثت الفئران فساداً فى كل اتجاه.

وبدأنا الحركة فى اتجاهين: محاولة الذهاب إلى العملاء الذين اشتروا بضائع بالأجل منذ عامين، وتحت أيدينا كمبيالات بأسمائهم، لتحـصيل أيـة مبالغ. والاتجاه الآخر: الاتصال بالدائنين للمؤسسة لتسديد ديونهم .. وظهـر ــ أثناء العمل ــ أن هناك مساهمين قد أعطوا الأخ محيـى مبـالغ بعـضها كبير، وبعضها صغير مساهمة فى المشروع، وهؤلاء بدأوا يطالبون بـبعض ما دفعوه. كانت ردود الأفعال والإجابات التى حصلنا عليها غريبة جداً، حيث كان هناك "موردون" من الإخوان وآخرون من غير الإخوان. أما الإخـوان

فطالبوا بأموالهم بلا نقصان وأما غير الإخوان، وعلى رأسهم أكبر مورد لنـــا وهو "فيكتور نجرين" اليهودى، فقـــد حضر إلينا بعد اتصالنا به. وطالبنـــا أن نعمل على تسديد أكبر عدد من الدائنين الآخرين، وألا نهتم بدينـــه، وأنـــه مستعد أن يعطينا بضائع من جديد وأن يساعدنا على بدء العمل والنشاط مرة أخرى.

أما المدينون فقد تهربوا جميعاً من الدفع بـــلا اســـتثناء، أيـــاً كانـــت انتماءاتهم، ووصل الأمر إلى أن لجأ بعضهم إلى التهديد بإبلاغ البوليس لـــو أننا عدنا للنشاط مرة أخرى. أما موقف المساهمين فقد كانت علاقتهم بـــالأخ "محيى" مباشرة، وكان يهرب منهم ويحاول ألا يعطيهم شيئاً.

وبعد دراسات ومناقشات، وجدنا أنـــه مـــن الأصـــوب أن "نـــصفى" المؤسسة فأى محاولة لاستمرار العمل كان محكوماً عليها بالفشل مـــع عـــدم وجود أموال سائلة نبدأ بها، مهما ساعدنا بعض التجار مثل: فيكتور نجـــرين، واستمرت التصفية طوال الصيف. وأعدنا البضائع إلى أصحابها، الصالح مع التالف، ولم يكن أمامهم إلا القبول وانتهى الأمر وعدنا إلـــى ميـــت غمـــر، وانتظمت فى الدراسة، وفتح محيى محل والده ــ الذى كان يبيـــع الـــروائح البلدية وبعض مقاطع المنسوجات القطنية ــ وبنشاطه المعتاد وهمته واتصاله بالإخوان استطاع أن يقنع بعضهم بالمساهمة ليفتح عملاً أكبر حيث أن لديـــه الخبرة المطلوبة، وأقنعهم أن هذا كله من أجل الدعوة.

نحـــن وحرب 56 :

فى أكتوبر من العام نفسه حدثت حرب 1956 وكنا فى ميت غمـــر، واشتعلنا حماسة للدفاع عن مصر ضد المعتدين، ولكن الإخوة الذين خرجـــوا من المعتقل، كانوا يلومون علينا حماستنا، واعتبروه ضعفاً منـــا. ومهادنـــة،

"لعدونا" جمال عبدالناصر. ولكنا كنا نرى أن مصر هى التى فى الميزان، وليس عبدالناصر.

طلب الأخ محمد هلال من السيد البردينى أن يرسل إليه مسدس "برايللو" ليحتفظ به فى بيته فترة الحرب، لكن السيد البرديني رفض بشدة قائلاً: إنها ليست للاستعمال الشخصى. فهذه أسلحة الجماعة ولا تستخدم إلا فى أغراضها. وكان الأستاذ محمد هلال قد خيب أمل السيد البرديني حين رفض أن يتحرك من جديد بعد خروجه من السجن لإعادة تجميع الإخوان وتنظيم صفوفهم.

أثناء الحرب علمت أن "فيكتور نجرين" قد اتصل بالأخ محيى وطلب منه أن يساعده فى الاختفاء لفترة حتى يرتب خروجه من مصر، وأخبرني الأخ محيى أنه قد تهرب منه، لكننى بعد فترة قصيرة علمت أنه قد ساعده حتى غادر مصر، ولما واجهته بذلك قال: إنه كان مديناً له بهذه الخدمة.

الشرعية والانشقاق :

كانت إحدى المشاكل الكبرى التى صادفتنا فى بدء حركتنا، هى ما تسمى عند الإخوان بـ "الشرعية" ومعناها أن يكون العمل معترفاً به ممن يملكون هذا الحق وإعطاء الضوء الأخضر للحركة وبغير ذلك يتحرج على الكثير من الإخوان أن يكون لهم الاتصال بأى حركة أو كيان تنظيمي بدون شرعية ـ أي موافقة من له حق الأمر ـ وبناءً على ذلك قررت إرسال الأخ سيد البرديني إلى الواحات، حيث كان الأخ عبدالحميد البرديني، وعدد كبير من قادة الإخوان موجودين فى سجن الواحات.

كان اتخاذى هذا القرار، بعد أن أعيتنى الحيل وعجزت عن الإقناع فى هذا الأمر، فقد كنت أرى أن شرعية العمل لله مأخوذة من مصدر شرعي

قائم على قرآن وسنة. وليس المطلوب فيه تفويضاً من أحد. لكن الجميع كانوا يطلبون الأوامر من القيادة وهو ما يعنى بالنسبة لهم الشرعية فى الحركة.

وعاد الأخ سيد البرديني وروى لى الموقف هناك وكان كالتالي :

أن هناك انشقاقاً شديداً فى الرأى بين الإخوان فى الواحات، وبينهم عدد من القادة وأعضاء مكتب الإرشاد، وأن هذا الخلاف نشأ بناءً على رغبة بعضهم فى الاتصال بالحكومة ومحاولة تصفية الخلاف وإخراج الإخوان من السجون. بينما رأى بعضهم الآخر أن الاتصال بالحكومة هو اعتراف بها، ولم يكن ليعترفوا بحكومة قامت بتعذيبهم وسجنهم بدون وجه حق. وأن من يخرج على هذا الرأى يعتبر خارجاً على الجماعة، وهو بذلك قد أحل دمه — فى رأى بعضهم — أو على الأقل فصل نفسه من الإخوان، فى رأي بعضهم الآخر.

وبناءً على ذلك دارت مناقشات جدلية بينهم أدت فى النهاية إلى معركة جرح فيها عدد كبير من الإخوان، والغريب أن الفريقين كان بينهم من شهد حرب فلسطين وقتال القنال، وكان فى الفريقين بعض أعضاء مكتب الإرشاد.

وبناءً على ذلك دارت مناقشات جدلية بينهم أدت فى النهاية إلى معركة جرح فيها عدد كبير من الإخوان، والغريب أن الفريقين كان بينهم من شهد حرب فلسطين وقتال القنال، وكان فى الفريقين بعض أعضاء مكتب الإرشاد.

وعلى الرغم من ذلك ظل كل فريق على موقفه إلى أن أفرج عن أول دفعة عام 1958، مما زاد الأمر انتشاراً فى باقى السجون. كان اضطهاد، من عرفوا بمؤيدى الحكومة شديداً، بدأ بالضرب المبرح فى الواحات وانتهى بالمقاطعة التامة والعزل عن المجموعة، حتى أن الأمر

وصل بأحد الإخوان فى تلك الحقبة ــ ومن كثرة الاضطهاد ــ إلى الطلــب الرسمى من إدارة السجون أن يتحول عن الدين الإسلامي ويعتنق المــسيحية، وهذا ثابت فى سجلات السجون. مما أدى بمأمور السجن أن يــستدعى أحــد القساوسة ليقنعه أن يظل على دينه، وألا يتسرع فى اتخاذ مثل هذا القرار بعد أن فشل المشايخ فى إقناعه.

هذه هى الصورة التى أخبرنى بها الأخ سيد البرديني وهــو صــورة توضح ما آل إليه حال الإخوان قيادة وأتباعاً. وعن افتقادهم الحكمة أن ينبذوا هذا .. ويكونوا على رأى واحد، وأن الإخوة بالواحات لا يملكون لنا أمــراً، وأن الأمر لابد أن يصدر من المرشد رأساً.

مواصلة النشاط :

بعد خروج الإخوان وموقفهم وبعد حرب 1956 وانفعالنا بها قررت الآتي :

أولاً : الاستمرار فى تجميع الإخوان ولكن على أسس جديدة وهــى التربية الإسلامية وليس الانتقام.

ثانيــاً : عدم ضم الإخوة الذين اعتقلوا إلا فى الــضرورة القــصوى لأنهم مسجلون لدى جهات الأمن.

ثالثاً : عدم استقطاب وجوه جديدة لم تكن فى النشاط من قبــل مــع تجميع من تبقى من الإخوان.

رابعاً : البطء فى الحركة على قدر الإمكان تجنباً للخطأ.

وبدأت فى وضع البرامج الدراسية والعبادية والرياضية وكانت كالآتي :

أولاً : البرامج الدراسية :

أ- دراسة رسائل الأستاذ البنا.

ب- حفظ سورتى الأنفال والتوبة.

ج- دراسة الفقه على المذاهب الأربعة.

د- بعض الفصول من "إحياء علوم الدين" للغزالى.

هـ- دراسة كتاب "نور اليقين" فى السيرة.

و- تفسير ابن كثير .. لدراسة تفسير السور المحفوظة.

كنت أحاول أن تكون الدراسة فى كتب أنفق عليها العلماء وليست محل خلاف لدراسة الدين من أصوله، وقد ابتعدت ـ قدر الإمكان ـ عن الكتب التى ألفها بعض الإخوان فى الفترة التى عشناها حتى لا نتأثر بأى دون آخر. ولكى يكون الفهم للدين نفسه من مصادره.

ثانياً : البرامج العبادية :

أ- الاهتمام بالصلاة فى أوقاتها مع السنة.

ب- الأدعية المأثورة فى جميع المناسبات.

ج- ورد قرآني يومي لا يقل عن جزء للتلاوة.

د- المبيت معاً ليلة فى الأسبوع على هيئة كتيبة لصلاة التهجد قبل الفجر.

هـ- صيام يوم الخميس من كل أسبوع.

ثالثاً : البرامج الرياضية :

أ- رياضة بدنية بالمنزل لمدة نصف ساعة يومياً.

ب- رحلات بالدراجات أو سيراً على الأقدام أسبوعياً.

ج- التدريب الأسبوعي على المصارعة اليابانية ووسائل الدفاع عن النفس.

وقد استبعدت أى تدريبات على الأسلحة فى تلك المرحلة حرصاً على عمق التربية الروحية، وعدم التسرع فى تبرير استخدام العنف فى أى أمر قد يستجد مستقبلاً.

واتخذنا إستراتيجية التجمع وكانت قائمة على افتراض أن هناك ــ ولابد ــ مجموعات أخرى تحاول المحاولة نفسها فى أماكن تلك المجموعات، فيمكن التفاهم مع قائد المجموعات ويحدث التلاقى بين المجموعات لتكون فى النهاية تشكيلاً عاماً على مستوى الجمهورية.

كان هناك أيضاً الشباب الذى ينتمى إلى تجمعات إسلامية أخرى، وهذا ينبغى الاقتراب منه بحرص واختيار العناصر الصالحة للانضمام إلينا ووضعها تحت الاختبار لمدة 6 أشهر، ثم نقرر إن كان يمكن ضمها أم استبعادها بعد ذلك.

بدأنا الحركة فى هذه الأطر .. كان العمل يسير ببطء ولكن بثبات ويؤتى ثماره. بدأنا نجمع مجموعات مركز ميت غمر وزفتى، ثم بدأنا نتحسس مواقع أقدامنا فى القاهرة، وكنت حريصاً على أن أبتعد عن الجيزة فى أول الأمر، ولكنى اتصلت بالإخوة فى كرداسة .. وبدأت الصلة تقوى بيننا حتى تم ضم عدد منهم بعد فترة، ثم انتشرنا فى بعض أماكن القاهرة واقتربنا من مجموعة "أحمد عادل كمال" والتى كانت ــ كما وصفها هو ــ مجموعة لها طابع خاص، التقينا بهم عدة مرات، لكنى لم أجد عندهم غير اجترار أمجاد الماضى، وليس لديهم أى تصور عن المستقبل فقررت الابتعاد.

كانت أحوالنا المالية على غير ما يرام، لهذا فقد كنت أعمال بجانب الدراسة حتى أن العمل كان يأتى فى المقام الأول إن تعارض مع مواعيد الجامعة وبدأنا نفكر فى حل مشكلة تمويل احتياجات التنظيم الجديد ولم تكن

المصروفات كبيرة، ويعتبر "بند" المواصلات هو المــصروف الرئيــسي .. وكان الحل الذى توصلنا إليه هو فرض ضريبة على جميع الإخوة المنتظمين قيمتها 5% من الدخل، وكانوا يتسابقون فى دفع ما عليهم، وسارت الأمــور على هذا المنوال حتى عام 1962، وكنا قد أصبحنا تنظيماً بالمعنى الحقيقــي للكلمة، فتشكلت مجموعة قيادة من الإخوة على عــشماوى وأمــين محمــود شاهين، وأحمد عبدالمجيد عبدالسميع.

إلــى ألمانيا :

بعد فترة طويلة قضاها معى الأخ أمين محمود شاهين، وفــى أحــد الاجتماعات بمنزل الأخ أحمد عبدالمجيد فاجأنا بالآتي :

إنه قرر أن يسافر فى بعثة إلــى ألمانيــا للدراســة، ولكنــه ينــوى الاستمرار معنا بالمراسلة ولم أفهم ما يعنيه فطلبت منه الإيضاح ــ وهو كان المسئول عن إخوان ميت غمر وزفتى البالغ عددهم أكثر من ثلاثين شخــصاً ــ فأوضح غرضه، وهو أنه لن يقوم بتسليم الإخوة الموجودين تحت قيادتــه وأنه سيستمر فى توجيههم من ألمانيا.

وكان هذا موقفاً فريداً من نوعــه، وقــد علمــت منــه أن مــشاكل التنظيمات السرية قد بدأت وكانت مشاكلها كثيرة منها: أمــراض التنظيمــات السرية. وهذه تندرج تحتها بعض النقاط :

1- الإحساس بالملكية : وهو من أخطر الأمراض التى تنشأ داخل المنظمات السرية، ويعنى إحساس أحد المسئولين بملكية المجموعــة الموضــوعة تحت قيادته لأنه هو الذى أتى بهم واختبرهم وعلمهم ودربهم.

2- عدم وجود ضوابط للديمقراطية، أى أن الأمر قائم على السمع والطاعــة المطلقة، فالعمل السرى لا يحتمل المناقشات الكثيرة والتردد فى اتخــاذ

القرارات، وهذا مما يوجد الإحساس بالتسلط عند المسئولين وضيقهم من المناقشة.

3- عدم اكتشاف فساد القيادة بسهولة فالجو السرى المنضبط هو خير مناخ لتغطية القائد الفاسد وعدم كشفه فى الوقت المناسب وإذا كتشف فهناك مخاطرة من إبعاده خوفاً من كشف التنظيم.

4- عدم التعود على العلنية: وهذا مما يجعل الأفراد منعزلين عن المجتمع لا يشاركون فيه لإحساسهم أن هناك انفصالاً فكرياً وعقائدياً بينهم وبينه. مما يبعدهم أكثر عن المشاركة العلنية فى أمور المجتمع واعتبار أتفه الأمور من الأسرار والخوف من الحديث عما فى نفوسهم مع غير المنتمين إليهم، خوفاً من ردود فعل المستمع حتى وإن كان الكلام عادياً وموضوعياً، مما يجعل الأعضاء خجولين ومنطوين.

5- الشك فى السلطة: والشك الدائم فى نوايا رجال السلطة هى إحدى سمات المنتمين إلى تنظيمات سرية وعدم الثقة بهم حتى وإن تحدثوا بالإخلاص وفى أمور موضوعية.

6- الإحساس بالخطر: ورجال التنظيمات السرية يعيشون ومعهم دائماً الإحساس بالخطر وعدم الثقة والاطمئنان إلى أى جهة أو فرد، وهذا الإحساس ــ مع طول المدة ــ مرهق جداً ومدمر للنفس.

لكل تلك الأسباب التى سبقت وخوفاً من تفاقم المشكلة فى المستقبل وحتى الآن ليس فى التنظيم أى عمل أو نية يخاف منها، فكان ينبغى أن يذهب أمين شاهين حتى لو ضحينا بمن معه من الإخوان قبل أن يستفحل الخلاف، وكان لابد من الحسم .. وتقرر إبعاده.

فى أحد الأيام فوجئت بأن أحد الإخوان من الهرم انضم إلى حزب التحرير الإسلامي، وبدأ يبتعد عنا. وقد آلمنى هذا الأمر بشدة، ففى الوقت

الذى نقترب فيه من التنظيمات الأخرى والمتنوعة عن بقايا الإخوان نحـــاول أن نستقطب بعض أعضائها، يحدث ذلك معنا، وبعد دراسة الموضوع كلفــت الأخ جابر رزق رئيس تحرير مجلة الدعوة فيما بعد بتحرى الأمر، وأعطيته كل الصلاحيات لكشف الموضوع وبيان أبعاده. واقترب منهم وجــاءنى بعــد بضعة أيام بتقرير مفاده أن حزب التحرير هذا نابع من الأردن ويرأسه الشيخ تقى الدين النبهانى، وأنه يمول بطريقة مشبوهة، وأنهم يهتمون بالجــدل عــن النظم السياسية فى الإسلام دون الالتزام بالعبادات. وقد جاءتهم ــ أخيــراً ــ تعليمات أن يقوموا بأى عمل تكون نتيجته أن يدخل بعض أفــرادهم الــسجن لفترة لا تطول، وبهذا تركز عليهم الأضواء والدعاية، ويكون لهم الانتــشار بعد خروجهم من السجن، وقال لي جابر رزق أيضاً أنهم اشتروا عدد 2 آلــة كاتبة، ويجهزون بعض المنشورات لتكون طريقهم إلى السجن، ولكن بأحكــام بسيطة.

وكلفت الأخر جابر بالتصرف معهم وعدم السماح لهم بتنفيذ مــرادهم وعليه أن يفكر فى الأمر ويعطيني اقتراحات محــددة نقــوم بتنفيــذها معــاً. وجاءنى بعد بضعة أيام وأخبرني أنه دخل بينهم وأخذ يخــيفهم ويبــث فــيهم الرعب، وقد كان عددهم قليلاً فخافوا وتفرقوا، وبــاعوا الألتــين الكــاتبتين واقتسموا ثمنهما، وانتهت بذلك قصتهم إلى حين.

تدبير الحريق :

وصل الأخ محيى هلال إلى القاهرة، وجاءنى إلى منزلى فى منطقــة باب الفتوح وروى لى ما حدث له فى ميت غمر، وكنت حين ألقاه هناك مــن حين لآخر يبدو ناجحاً فى تجارته، ولكن بعيداً عن النشاط والإخوان، إلا مــا يساعده لتحقيق مكسب آخر فى مجال عمله التجارى.

روى لى أنه على وشك الإفلاس وأنه قد حدث حريق فى الشركة مما أثر على حالته المادية بالإضافة إلى أن مباحث أمن الدولة اعتقلـت شـقيقه محمد هلال، وأنهم يبحثون عنه فى كل مكان ولم يعد أمامه من حـل سـوى مغادرة مصر. هدأته قليلاً وأخبرته أن يظل فى شقتى لا يخرج منهـا حتـى نرتب الأمر معاً. وبذلك يصبح فى مأمـــن، وتركته فـى اليـوم التـالي وذهبت إلى ميت غمر، وتحريت الأمر فوجدته قد تورط مع البنوك، وتوسـع أكثر من اللازم وأعطى تسهيلات كثيرة لم يقم بتسديدها، وأنه هو الذى دبـر الحريق ليكون سبباً للحكم بالإفلاس بلا تدليس فلا يحكم عليه بالـسجن لهـذه التهمة.

كان يشاركه فى الشركة الأخ "أبو سبع" ــ من بلدة ميت أبو خالـد ــ ولما علم أن أمواله ضاعت، وقد كانت كل ما يملك إذ باع أرضه التى ورثها عن والده كى يساهم بها فى تجارة الأخ محيى لأنه أفهمه أن هذا مـن أجـل الدعوة والاقتصاد الإسلامى، وحين علم بضياع ماله أصـيب بأزمـة قلبيـة أودت بحياته. وكان هناك شريك ثالث هو الأخ محيى لأنه أفهمه أن هذا مـن أجل الدعوة والاقتصاد الإسلامى ــ وحين علم بضياع ماله أصـيب بأزمـة قلبية أودت بحياته، وكان هناك شريك ثالث هو الأخ "أحمـد عجينـة" الـذى وضع كل أمواله فى تلك الشركة، وأصبح فجأة بلا عمل ولا مال وكان هناك غير هؤلاء كثيرون تحولوا إلى ضحايا وانضم ضحايا هذه المؤسـسة إلـى ضحايا المؤسسة التجارية بالجيـزة.

عدت إلى القاهرة، ولم أجد الأخ محيى، وجدت الشقة خالية، ولكنهـا قد فتشت تفتيشاً محترفاً بحثاً عن مخابئ سرية هنا وهنـاك، وكـان بالـشقة بعض الأماكن التى وضعت فيها كتب النظام الخاص القديمة، ودفتر توفير به أموال التنظيم المتواضعة، اشتد بى الغضب فلم يكن هذا التصرف من جانـب الأخ محيى تصرفاً أميناً، ولا إسلامياً، ورغم هذا فلم يكـن لـى أن أقطـع

علاقتى به ــ أى الأخ محيى ــ بعد هذا العمر من الصلة القوية، ولــم أنــس أنه كان مسئولاً عنى فى يوم من الأيام وأننى بايعته على الــسمع والطاعــة، وقد كانت هذه المسألة مؤرقة جداً، وتساءلت ما موقف هذه البيعة، وما معنى السمع والطاعة، فهو لا يزال يردد أن طريقنا هو الدعوة، بينما سلوكه شــئ آخر تماماً !.

عاد محيى فى المساء وسألته أيــن كان فأخبرني أنه ذهــب للبحــث عن الأخ أسامة علام فى الدقى، وأنه ينــــوى أن يأخذه معــه فــى رحلتــه كرفيق للطريق. ولما نبهته أن أسامة ابتعد عنــا قــــــال: إنــه لا يــزال يستطيع التأثير عليه، وعاتبته على ما فعل فى غيابى من تفتيش الشقة، لكنــه لم يكترث وكان يتحدث وكأن له الحق فيما فعل وقال: إنه يريد أن يعرف إلى أى مدى وصلت فى نشاطى، فقلت له: كان ينبغى أن تسألنى بدلاً من تفتــيش بيتى.

المهم أنه أقام عندى بضعة أشهر حتى رتبنا له أن يعبر حدود ليبيــا مع الأخر أسامة علام، وودعتهما إلى الإسكندرية حيث يلتقيان ببعض الإخوة هناك، ثم يرحلون إلى طبرق.

فى إحدى الليالي، وكنت عائداً من "عرب المحمدي" بعد لقاء مع الأخ إسماعيل الفيومي الذى كان يعمل فى الحرس الجمهورى، التقيت مصادفة فى شوارع المطرية بأخ كنت أعرفه من المنصورة وهو "عوض عبدالعال" وكان بصحبته أخ ملتح يلبس جلباباً بلدياً، ويلف شالاً علــى رأســه فــى أوائــل الأربعينات من عمره. وأحسست أنه كان حريصاً علــى عــدم ذكــر أســمه بطريقة لافته للنظر، سلمت عليه بحرارة وواعدته على اللقاء فى المنــصورة بعد أسبوع فى منزله، وفى الموعد ذهبت والتقنيا .. وكان كل منــا يريــد أن يعرف ما الذى يفعله الآخر، واتفقنا أن يكون لقاؤنا بشكل دورى للبحث فــى

أمور الدعوة ومعرفة ماذا يمكن عمله فى هذا الخصوص ولم يكشف أى منا أوراقه للآخر.

ولكن بعد عدة جلسات أحسست أن وراءه شيئاً يخفيه، فقررت المبادرة وعرضت عليه أن نبدأ معاً فى تنظيم الإخوان والعمل على إعادة الحركة من جديد. وأخبرني أنه مرتبط بمجموعة أخرى. وهكذا أخذ الحديث بيننا اتجاهاً آخر، حيث بدأ البحث عن هوية المجموعة التى ينتمى إليها وأشخاصها وأعدادها وأخبرته أن معى مجموعة ولكننى لم أفصح له عن عددها ولا تركيبتها.

واتفقنا أخيراً أن نلتقى فى وجود أحد الإخوان الذى يحب هو أن يشركه فى الحديث. والتقينا فى القاهرة وأحضر معه الشيخ عبدالفتاح إسماعيل ــ الذى كان تاجراً للمحاصيل الزراعية وأعدم فى أحداث عام 1965 ــ وفور أن رأيته عرفت أنه الأخر الذى رأيته مع "عوض عبدالعال" فى المطرية. وبدأ تقييمى له ــ من خلال الجلسة التى استمرت حتى ساعة متأخرة من الليل ت فوجدته ريفياً، نصف متعلم، قرأ بعض كتب الدين التى تساعده على أن يكون قوى الحجة فى هذا المجال، محباً للجدل انتصاراً لرأيه عصبي المزاج أحياناً، كتوماً، غير منظم، مخلصاً فى دعواه.

فى تلك الليلة لم نصل إلى اتفاق لكننا تواعدنا على اللقاء وحدنا بدون الشيخ عبدالفتاح إسماعيل وتكررت اللقاءات حتى اتفقنا على المكاشفة. فأخبرني بحجم عملهم، وأنه قام بتأسيس هذا التنظيم، وأخبرني عن مدى اتساعه وأهدافه التى تتلخص فى اغتيال جمال عبدالناصر ومن يستطيعون أن يصلوا إليه من رجال الثورة، ولم يكن لهم طموح آخر خاص بالجماعة أو نشر الدعوة أو أى أمر آخر وقد كانت إحدى مشاكلى معه أن فى مجموعته عدداً لا بأس به من الذين سبق اعتقالهم وكان هذا أحد الأمور التى أتجنبها

من زاوية الأمن للتنظيم بينما كان هو لا يجد غضاضة فى ذلك لأنه قد سبق اعتقاله عام 1954.

قررت أن أتريث قليلاً، رغم تعدد لقاءاتنا فى تلك الفترة وحدنا .. كان يحكى لى كثيراً عن نفسه وعن نشاطه منذ بدأ تجميع تلك المجموعة، وأنه كان معنياً أساساً بالاتصال بمن التقى بهم فى المعتقل، وعن طريقهم تعرف على مجموعات أخرى كل فى منطقته، وكان معنياً جداً بمسألة التمويل. وقد وجد لها حلاً يتمثل فى أمرين :

الأول : أنه حدد 100 فرد من أغنياء الإخوان الذين كان يعرفهم بحكم عمله كتاجر أقطان يسافر كثيراً ويلتقى بأخوان كثيرين من جميع المحافظات. وحدد لكل منهم أن يدفع 100 جنيه دفعة واحدة. ولم يشترط أن يكونوا إخواناً منتظمين ولكن قادرين على الدفع، وقد جمع عن هذا الطريق عشرة آلاف جنيه قام بالصرف منها على تلك المجموعة.

الثاني : أنه كان يسافر للحج سنوياً للقاء الإخوان فى مؤتمر الحج ويخبرهم أنه يعمل على تجميع الإخوان ويطلب دعماً مالياً، وكانوا قد أرسلوا له أربعة آلاف جنيه أخبرني أنه يحتفظ بها فى مكان أمين رفض الإفصاح عنه، ولكنى علمت أن هذا المبلغ جاءه عن طريق سعيد رمضان بتوجيه من الحاجة زينب الغزالي.

زينب الغزالي والبيعة :

ولما تطرق الحديث إلى الحادة زينب الغزالي علمت أنها منتظمة مع الإخوان وأنها تكاد تكون موضع ثقة متفردة بالأستاذ الهضيبي، وأنها ــ فى هذه الفترة ــ كانت وسيلة الاتصال التى يأمن لها الأستاذ المرشد، فقد كنت أعلم عن الحاجة زينب الغزالي أنها تعمل فى الحقل الإسلامي ولكن عن

طريق جمعية السيدات المسلمات، هى وشريكة لهـا وأنهـا انفـصلت عـن شريكتها واحتفظ كل منهما بجمعية نسائية تعمل من خلالها، وكنت أعلم أيضاً أنها "وفدية" مخلصة، ولهذا كانت دهـشتى حـين علمـت صـلتها الجديـدة بالإخوان.

ويبدو أن الشيخ عبدالفتاح قد نقل لها ما قالته عنها، ورتب لي معهـا موعداً، وذهبت للقائها فى منزلها بمصر الجديدة. وجلسنا نتحدث أكثـر مـن ساعتين أخبرتنى فيهما عن رحلتها مع الإخوان وكيف انفصلت عن زميلتهـا فى الجمعية القديمة وأسست الجمعية الجديدة، وأن سـكرتيرتها هـى الـسيدة الفاضلة زوجة على شفيق وابنة الممثل الراحل حسين صدقى، وهـى بهـذا تدلل على أنها تعمل على تجنيد زوجات المـسئولين الكبـار لـيكن تعزيـزاً للدعوة.

وانتقل الحديث إلى صلتها بمنزل الأستاذ الهضيبي، ثم بالأستاذ سعيد رمضان، وكيف أن هناك ثقة متبادلة بينهما، وتحدثنا عن "الحزبية" وصـلتها بحزب الوفد وأخبرتني أن ذلك كان فى الماضى، أما الآن فقد كفرت بالحزبية بعد بيعتها وانتمائها للإخوان.

وسألتها عن البيعة وكيف كانت ومَن مِن الإخوان قبل بيعتها وقالت: إنها فى إحدى الليالي ــ وكانت حالتها الروحانية غاية فى الصفاء ــ صـلت العشاء ثم نامت، وفى نومها رأت الشيخ حسن البنا مؤسس الجماعة وقد جاء إليها وأمرها بالجلوس فجلست أمامه وقال لها إنه قد آن الأوان لأن تـصحح مسار عملها الإسلامى، وتعمل من خلال جماعة الإخوان، وقـدم لهـا يـده ووضع كفها بين كفيه ثم تلا البيعة وهى تردد خلفه حتى انتهت. ومن يومهـا وهى تعمل مع الإخوان بتلك البيعة، وبهذا فإنها تكون قد ردت علـى جميـع تساؤلاتى التى كنت قد سألتها للشيخ عبدالفتاح إسماعيل.

ثم تطرق الحديث إلى سؤال منى عن علاقتها بالمملكة العربية السعودية فأجابت : إن العلاقة الجيدة مهمة جداً لأمن الإخوان الموجودين فى المملكة العربية السعودية وإلا قامت بتسليمهم إلى جمال عبدالناصر، وأنها إحدى قنوات هذا الاتصال.

ثم تحدثنا عن شرعية العمل، وان الإخوة فى الواحات قد أحالوا الأمر إلى الأستاذ المرشد، ولا ندرى إن كان سيوافق على ذلك أم لا ؟ فأجابت بثقة: إنها على اتصال دائم بالأستاذ المرشد، وأنها تأتى منه بالتعليمات حين نريدها، وأنه ــ المرشد ــ حينما أخبر عن التنظيم الذى يتبع الشيخ عبدالفتاح إسماعيل وعن أهدافه فقد أقرها. وبهذا فن التنظيم أصبحت له الشرعية التى يتطلبها وقالت: يمكنكم أن تتمتعوا بتلك المظلة إن أنتم انضممتم معاص فى تنظيم واحد. وقلت لها: إننى لا أمانع فى اندماج التنظيمين، ولكن اعتراضى ينصب على هدف التنظيم الآخر وهو اغتيال جمال عبدالناصر فأنا لا أرى أن هذا هو الطريق، فردت بعصبية "بل إن هذا هو الطريق، ولا طريق غيره، وأن هذا ما أقره المرشد".

واختلفنا عند هذا الحد واستأذنت تاركاً الشيخ عبدالفتاح معها، وانتابتنى الحيرة والآسى، فهذا موقف عصيب بالنسبة لى، والاختيار صعب، خاصة أن هناك ثغرات تنظيمية كثيرة فى هذا التجمع الجديد. وهناك ارتجال ولكنه مع ذلك يحظى بالشرعية ــ إن صحت الرواية ــ إلى جانب أن هذا الهدف الذى حددوه لأنفسهم غير مقنع بالنسبة لى، فقد اخترت التجميع والتربية الإسلامية لأطول فترة ممكنة وعدم التورط فى أى أمر سياسى فى تلك المرحلة.

ذهبت إلى الأخ عبدالمجيد فى منزله، كنت شارداً فأخبرته ببعض ما حدث وأفضيت إليه بمخاوفى، لكنه صمت قليلاً وأشار علىَّ أن نقربهم منا ولا نقطع الصلة وبالتدريج سوف نعمل على تغيير اتجاههم ونزع الفتيل فلو

أننا تركناهم فإن نتائج عملهم سوف تنالنا، رضينا أم أبينا. وتركته وأنا أقلب الأمر فى راسى حتى أهتدى إلى الطريق.

بعد عدة أيام جاءنى الشيخ عبدالفتاح وأخبرنى أن الأمر لابد أن يحسم باتحادنا. وأننى لا ينبغى أن أكون عنيداً، وصار يردد الكثير من الآيات والأحاديث فى هذا المعنى لإقناعى، وأخيراً اتفقنا على أن نلتقى فى منزل الأخ "محمد فتحى رفاعى" فى قرية "منية سمنود" غربية، ولما ذهبت وجدت الشيخ عبدالفتاح والأخ عوض عبدالعال، والأخ محمد فتحى رفاعى من خريجى الأزهر، وله مجموعة حوله متأثرون به، وكان أكثرنا فقهاً فى الدين، لكنى أحسست أنه يأخذ بالآراء المتشددة ولا يتنازل عنها. وبدأ هو بالحديث عن أهداف التنظيم ــ كما يرها ــ وهى باختصار: العمل على ترتيب عملية فدائية لقتل جمال عبدالناصر. وسألته عن تصوره لتلك العملية فأجاب أنه يرى اختيار مجموعة من عشرين فرداً ويتم تجهيز عبوة ناسفة يقومون بإلقائها على جمال عبدالناصر فى موكبه.

كان لابد من التصدى لهذا التيار، وكان علىَّ أن أستغل عدم درايتهم بالمسائل العسكرية وأناقشهم من هذا المنطلق، ولكن قبل ذلك سألته: وهل قتل جمال عبدالناصر مسألة متفق عليها من الناحية الفقهية، فأجاب: نعم. وسألته عن الدليل الشرعى فأجابك بأن جمال عبدالناصر يحارب الإسلام ويقتل الدعاة ويعذبهم وهو بذلك قد أحل دمه. فقلت له: إن جمال عبدالناصر يحارب الإخوان. وليس الإسلام، فهو لم يعلن صراحة أنه يحارب الإسلام وأن مثل هذا الأمر قد حدث من قبل فى تاريخ الإسلام. ففى عهد معاوية حارب الحاكم إحدى الجماعات الإسلامية، ولم يقل أحد بكفره، ولا بحل دمه، فأجاب، إن جمال عبدالناصر عميل لليهود، وأنه معهم فى حربهم على الإسلام. فقلت: إن هذه أمور ظنية لم ترق إلى حد اليقين، فليس لدينا دليل مادى على تورطه هذا ولا يجوز أن تستند الفتوى على مجموعة افتراضات

ظنية ولكن على أدلة حقيقية، وإلا ضاع حق الناس ! لكنه أصر علــى ذلــك وقال: دع المسائل الفقهية لنا، وحدثنا أنت عن رأيك فى تنفيذ تلــك الخطــة، فعمدت إلى تفنيد خطته وأنها لا تصلح للتنفيذ، ولكنها موضوع جيد للمناقــشة فقط. وذكرتهم بأن الحراسة حول الموكب شديدة، وأن الاقتراب غيــر متــاح بهذه السهولة، وأن السيارات مصفحة، وبذلك تكون المسألة مجرد كلام غيــر صالح للتنفيذ، واتهمونى بعرقلة الأمور، وبدلاً من هدم الخطة بلا أساس فــإن على أن أقول البديل. فأخبرتهم برأيي وقلت: إن البديل هو تجميع الإخــوان وتعليمهم أمور دينهم وتدريبهم استعداداً لتنفيذ ذلك حين نصل إلى قــدر مــن القوة تتيح لنا مثل هذا العمل، فوافقوا بشرط أن أكون جاداً فى مسألة التدريب والاستعداد، وكان هذا الاتفاق هو الممكن لتأجيل المشكلة.

واتفقنا على اللقاء فى القاهرة الأسبوع التالى فى منزل الأخ "نــصر عبدالفتاح" الذى لم يشاركنا اجتماعنا، ولكنه استضافنا فقط، ذهبت هذه المــرة ومعى الأخ محمد عبدالمجيد، وتمت مناقشة كيفية التحرك واتفقنا على تقــسيم الجمهورية إلى خمس مناطق.

1- وجه قبلي.

2- القاهرة الكبرى.

3- شرق الدلتا.

4- غرب الدلتا.

5- الإسكندرية.

وتم اختيار الأخ محمد عبدالمجيد مسئولاً عن "قبلى" وأنا مسئولاً عن القاهرة والشيخ عبدالفتاح إسماعيل عن "شرق الدلتا" والأخ عوض عبــدالعال عن "غرب الدلتا" وتأجل تحديد مسئول عن الإسكندرية حتى يتم الاتفاق مــع إخوان الإسكندرية وظللنا على هذه الحالة عدة أشهر.

كانت اجتماعاتنا تتم أسبوعياً فى إحدى المناطق، إما فى القاهرة، وإما فى منزل الشيخ عبدالفتاح فى "كفر البطيخ" مركز دمياط، وإما فى المنصورة .. وهكذا.

رحلة إلى السعودية :

فى تلك الأثناء جاءنى خبر من السعودية مفاده أن الأخ محيى هلال قد وصل إلى هناك، وتم ترتيب استقبال له على أنه أحد الهاربين من اضطهاد جمال عبدالناصر، وأنه كان مطلوباً لنشاطه الإسلامى. ولكنى كنت أعلم الحقيقة وأعلم سبب هروبه. استقبله الإخوان هناك استقبالاً جيداً، ودبروا له جميع أموره واستقر هناك. وقد أخبرهم أن فى القاهرة تنظيماً تابعاً له مهمته قلب نظام حكم عبدالناصر، وأنه يقوم بالإشراف والرعاية لهذا التنظيم، وبهذا الشكل استغلنى وورطنى مرة أخرى وفرض نفسه علىَّ. وفى العمل السرى من الصعب أن يعالج مثل هذا الأمر. ولا تملك إلا مجاراة الموقف. وجاءتنى منه رسالة يريد منى السفر إلى السعودية فى موسم الحج لأمور مهمة، وأرسل لى مبلغ ثمانين جنيهاً ثمن تذكرة السفر فى ذاك الوقت.

أخبرت الشيخ عبدالفتاح إسماعيل برغبتى فى الحد هذا العام، وقدمت أوراقى للقرعة فى ميت غمر، وقبلت وجهزت نفسى للسفر، وجمعت الإخوان وأخبرتهم، وجلسنا نتدارس ما يمكن عمله هناك، وتم أخبار الحاجة زينب الغزالي بسفرى. وطلبت مهلة تخبر فيها الأستاذ المرشد، وترى إن كان يريد شيئاً من هناك، أو إرسال أية رسالة للإخوة فى السعودية وبعد بضعة أيام طلبت مقابلتي فذهبت إليها ومعى الشيخ عبدالفتاح وتدارسنا ما هو مطلوب، أخبرتنى أن أبلغ الإخوة هناك ــ بعد معرفتى بالمسئول عنهم ــ أمرين هما :

أولاً : أن القيادة فى مصر ترغب فى معرفة المسئولين بالخارج وأن يتم ترتيب اتصال دائم ومستمر معهم.

ثانيـــاً : أن يعملوا على أن يأخذ جميع الإخوان فى الخارج ــ خاصة فى الدول غير الخليجية مثل سوريا والأردن والسودان وغيرها ــ خطأ مؤيداً لإخوانهم فى مصر بوضوح وقوفهم ضد عبدالناصر.

وقد حملتنى الحاجة زينب الغزالى رسالة شخصية بهذا المعنى إلـــى الأستاذ سعيد رمضان ــ إن وجدته بالمملكة ــ ورسالة أخرى إلـــى الـــشيخ عبدالرحمن أبو الخير، وقال لي إنه سكرتير الملك ســـعود وأعطتنـــى رقـــم تليفونه الخاص.

انفض الاجتماع وذهبنا إلى منزلي، حيث كان هناك ترتيب للقاء الأخ أحمد عبدالمجيد، حيث تدارسنا الموقف، ودرسنا احتياجاتنا ــ كتنظيم ــ مـــن هذه الرحلة، وكان الاتفاق على تنظيم كيفية الاتصال بيننـــا وبـــين الخـــارج، وموضوع التمويل، ومسألة تسليح التنظيم وكيف تـــتم، ولـــم يكـــن الـــشيخ عبدالفتاح مرتاحاً لسفرى، فقد كان يرى أنه هو الذى يجب أن يسافر، لكنى لم أهتم بهذا الإحساس، حيث أننا جميعاً نقوم بعمل واحد.

تم الاستعداد للرحلة، وحجز تذكرة السفر، وتدبير العملة، وكانت لـــى أخت تعيش فى السعودية، تم إخطارها بقدومى، سافرت وأنا ملـــئ بالـــشوق لتلك الرحلة، واعتبرت ذلك دعوة من الله لزيارة بيته العتيق، وأداء مناســـك الحج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت ســـعادتى غـــامرة، ولما وصلت إلى مكة ذهبت إلى منزل شقيقتي ــ وكان الوقت لـــيلاً، وكنـــت محرماً ــ وفى منتصف الليل نزلت إلى الكعبة كى أؤدى مناســـك العمـــرة، وكانت لحظة مهيبة، لحظة أول لقاء بالبيت العتيق، فله رهبـــة غريبـــة فـــى النفوس، طفت، وقبلت الحجر الأسود، وصليت ركعتين فى مقام إبراهيم، ثـــم

سعيت بين الصفا والمروة وحلقت ثم خلعت ملابس الإحرام بالمنزل ولبست الجلباب الأبيض.

وفى اليوم التالى جاءنى الأخ محيى وأخبرني أنه قد رتب لنزولي إلى جدة، وأتانى بشال أبيض وطاقية مما يلبسه السعوديون، وعلمنى كيف أضعها على رأسى، وأن هذا ضرورى لنزولى إلى جدة حيث أن الحجيج ممنوعون من مغادرة مكة، وأن أحد الإخوة سيأتى فى المساء بسيارته ليأخذنى معه على أننى سعودى، وبالفعل حضر فى المساء الأخ "فتحى الخولى" وكنت قد اتفقت مع الأخر محيى على ألا يعرف الإخوان الذين التقى بهم اسمى الحقيقى، واتفقنا على اسم حركى هو إسماعيل عبدالتواب، وبت ليلتى فى منزل الأخر محيى، وكان الأخ أسامة علام موجوداً، وأخبرنى برحلة ليبيا، وكيف استقر به الحال فى المملكة العربية السعودية، وقد روى لى قصة طويلة عن مغامرات ضخمة ومتاعب عديدة لاقاها حتى وصل إلى هنا.

وكان مما قاله أنه هو والأخ أسامة علام قد عبرا الحدود الليبية ووصلا إلى "بنى غازى" وهناك قاما بالاتصال ببعض الإخوة ذوى المال والنفوذ الذين استقر بهم المقام فى ليبيا فى عهد الملك السنوسى، ومنهم يوسف على والدكتور محمود أبو السعود، وأخبرني أنه كان يشكو من عدم حسن مقابلة الجميع عدا الدكتور أبو السعود، وذلك أنهم كانوا يهربون من تقديم أى عون أو مساعدة، وظلا كذلك حتى ألقت السلطات الليبية القبض عليهما، وكان أقصى ما استطاع الدكتور أبو السعود عمله لهما هذه المرة ألا يتم تسليمهما إلى القاهرة.

قال لى الأخ محيى أيضاً: إنه بعد بضعة أيام قضيناها فى السجون فوجئنا بمندوبين من الداخلية، قاموا بالتحقيق معهما، ثم أخذوهما فى سيارة وساروا بهما مسافة طويلة داخل الصحراء، وبعد عدة ساعات طلبوا منهما

النزول وأخبروهما أنهما الآن فى الصحراء المصرية، وعليهما التصرف فى أمورهما، وسار الإثنان (محيى وأسامة) حوالى مائة كيلو متـــر ــ أو هكـــذا تصورا ــ حتى وقع بصرهما على أضواء إحدى المدن آتية من بعيد، وبعـــد أن وصل إلى هناك علما أنهما فى الأراضى التونسية.

تم القبض عليهما فى تونس وأودعا السجن لمدة أكثر مـــن عـــشرين يوماً، وظلا تحت تحقيق مكثف من السلطات التونسية حتى وجهـــت إليهمـــا اتهاماً بأنهما جاسوسان لحساب ليبيا، وأنهما قد أرسلا للقيام بعمليات تخريب، وروى الأخ محيى أنه قد اتفق هو والأخ أسامة علام على الأقوال التى سوف يصران عليها لو تم التحقيق معهما انفرادياً حتى تكون الأقوال متطابقة، وبعد بضعة أيام فوجئا باثنين من الضباط يأخذانهما فى ســـيارة ويـــسيران بهمـــا مسافات طويلة ثم يلقيان بهما فى الصحراء مرة ثانية، وظلا يسيران مـــسافة طويلة حتى إذا رأيا نورا، ووصلا إلى المكان المنبعث منه، تأكد أنهمـــا فـــى أحد المطارات الواقعة جنوب ليبيا، وهناك تم القبض عليهما وترحيلهما إلـــى بنى غازى مرة أخرى، وأودعا السجن نفسه، وأجرى معهما التحقيق نفسه.

ومكثا فى السجن حتى تمكن الدكتور أبو السعود من إقناع الحكومـــة الليبية بالسماح لهما بالسفر إلى السعودية، وتم لهمـــا ذلـــك بالفعـــل، وفـــى الأراضى السعودية استقبلا على أنهما هاربان من اضطهاد عبدالناصر، وكان الأخ محيى يجيد استغلال مثل تلك الظروف، وقد توسط لهما ــ فى جـــدة ــ الشيخ مصطفى العالم والأستاذ صالح غانم وباقى القيادات هناك.

قيادات المهجر :

وبعد أن سمعت قصته سألته عن حال الإخوان، فأجاب: إن الإخوان فى السعودية قد اختاروا الشيخ "مناع قطاع" مسئولاً عنهم، والإخـــوان فـــى إمارات الخليج اختاروا الأخ "سعد الدين إبراهيم" مسئولاً وأن الأخ "عـــصام

العطار" مازال مسئولاً عن الإخوان فى سوريا، وأن الشيخ "الصواف" فى العراق، والدكتور "عبدالرحمن خليفة" فى الأردن، وكانت الأمور فى السودان غير مستقرة فى تلك الفترة.

ويجدر بنا أن نعرف بكل شخصية من هذه الشخصيات التى ذكرتها.

الشيخ مناع قطان: هو أحد إخوان المنوفية، وقد هاجر، وقيل إنه أول مصرى يجرؤ على تجنيد سعوديين فى دعوة الإخوان فى مصر للشباب السعودى، ولذلك فنه قد فرض نفسه مسئولاً عن الإخوان بالسعودية دون استشارة أحد، حتى أننى حينما عدت من السعودية بعد زيارة لها عام 1964 استقبلنى الأخ محمد هلال فى المطار وسألنى عن المسئول هناك فقلت له: إنه الشيخ مناع قطان، فتعجب قائلاً: ومن هو مناع قطان ؟! وتأكدت أن أشياء غريبة تحدث.

الأخ سعد الدين إبراهيم : أحد الإخوان الذين هربوا من مصر عام 1954 إلى ليبيا، واستقر بها بعض الوقت، ثم اتجه بعد ذلك إلى الخليج حيث عاش مدة طويلة هناك وانتخبه الإخوان مسئولاً.

عصام العطار : هو الذى تولى قيادة الإخوان فى سوريا فى فترة الستينات، وكان يرفض أن ينفذ خطط الإخوان فى مصر ــ فى هذا الوقت ــ والخاصة بمعاداة جمال عبدالناصر، لهذا فإن سفر الأستاذ الهضيبى إلى ليبيا عام 1954، وقبل حوادث أكتوبر من العام نفسه، كان لإلزام الإخوة فى سوريا الخط نفسه الذى نسير عليه فى القاهرة.

الشيخ الصواف : أحد رجال الدين فى العراق، وكان رئيساً للإخوان فيها ــ بعد اضطهادهم هناك ــ هاجر واستقر بالسعودية ولم يكن له نشاط يذكر بعد ذلك.

الدكتور عبدالرحمن خليفة : أحد الإخوان فى الأردن والمسئول عنهم منذ نشأتهم، ومن أقدم المسئولين عن الإخوان خارج مصر، مازال حتى الآن يقوم بعمله كرئيس للإخوان فى الأردن، ويروى عن هذا الرجل قصة طريفة مفادها أنه بعد القبض على الإخوان عام 1954 ــ وفى أواخر الخمسينات ــ قابله الشيخ الباقورى وأقنعه أن جمال عبدالناصر هــو الامتــداد الطبيعــى للإخوان، وإنه يعمل على تنفيذ خطة الإخوان فى مصر بالتــدريج، وأن مــا حدث بينه وبين باقى الإخوان هو صراع طبيعي مما يحدث فى مثــل تلــك التنظيمات، وقد أقنعه الشيخ الباقورى بالحضور إلى القاهرة للقاء المــسئولين الذين سوف يشرحون له ما حدث، وبالفعل حضر الدكتور عبدالرحمن خليفة إلى القاهرة وقابل بعض المسئولين فى الحكومة ولكن ــ قبل عودتــه إلــى الأردن ــ استطاع الإخوان أن يتصلوا به ويخبروه كيف وقع فى الفخ الــذى نصب له.

المهم أن الأخ محيى قد روى له أنه التقى بالــدكتور محمــود أبــو السعود فى ليبيا وكان يمتدحه بشدة بعكس باقى من التقى بهم هناك، وكيــف أنهم لم يساعدوه بالقدر الكافى عدا الدكتور أبو السعود الذى له منزله خاصــة أيضاً فى المملكة العربية السعودية، فى هذا الوقت كان قد بدأ التحــرك فــى مشروع البنك الإسلامى، وتأسيس أول بنك فى باكستان، وطلب مني محيــى أن أطلب من الأستاذ مرشد أن يتولى الدكتور محمود أبو السعود المــسئولية عن الجماعة فى خارج مصر، وأن يصدر المرشد قراراً بذلك.

أخبرته ــ بعد ذلك ــ بما عندى من أخبار، ولكنه انزعج بشدة مــن صلتنا بالحاجة زينب الغزالي، وقلت له: إن هذا يخصنا نحن ولــيس لــه أن يتدخل فيه، فطلب أن نمنعها ــ على الأقل ــ من الاتصال بالخــارج، فقلــت له: إننى سأتولى هذا الأمر بنفسى، ووعد هو بتبليغ الأمور التى أتيت بها إلى المسئولين والرد عليها، وكان المفروض ألا أقابل أعداداً كبيرة من الإخــوان

الذين يعرفون شخصى حرصاً على تأمين العمل فى مصر من عيون رجال عبدالناصر فى الحج كما سماهم.

ثم تناقشنا فى احتياجاتنا فى مصر كتنظيم، وهل نحن فى حاجة إلى مال، فهم يمكنهم تدبير أى مبالغ نريدها، لكن ردى كان: إننا فى حاجة إلى أسلحة أكثر من حاجاتنا للمال، وأن هذه الأسلحة سوف يتم تخزينها فى مصر بطريقة مركزية، وتحاط بسرية تامة، ولن تستعمل إلا فى حالة الضرورة القصوى، فطلب منى أن أكتب كشفاً تفصيلياً بما نحتاج إليه فوعدته بذلك.

فى اليوم التالي حضر الأخ "عصام العطار" ومعه وفد من أخوان سوريا والتقيت بهم فى جلسة طويلة ناقشنا فيها موضوع الوقوف الى جانب إخوان مصر، فى عدائهم لجمال عبدالناصر. ولكن كان يعارض ذلك بشدة، وقال إن لكل دولة ظروفها الخاصة، وأنهم لا يستطيعون التحرك على هذا النحو الذى نطلبه، ولم يعجبنى الرد، لكنه كان موقفه الذى أعلنه.

بعد ذلك بيومين ذهبت إلى المدينة المنورة، وأقمت بها ثمانية أيام واختليت بنفسى وكتبت الكشف المطلوب، وكان يكفى لتسليح ألف فرد بالأسلحة الخفيفة والقنابل اليدوية، وبعض بنادق القناصة مركباً عليها تليسكوب، وكمية من المواد الناسفة، والمتفجرات وأدوات التفجير، والتقيت فى المدينة ببعض إخوان سوريا الذين صحبوا الأخر "عصام العطار" وكان فى هذه الليلة قد تواردت أنباء عن "صدام" بين الأخ مروان حديد فى حلب مع السلطات السورية، وأن الإخوان الذين التقيت بهم يتفجرون من الغيط ويتواعدون على الصدام مع السلطة حين عودتهم إلى سوريا.

عدت إلى "جدة" والتقيت مع الأخ "محيى" وبدأنا ننظم وسائل الاتصال، وأخبرني أنه فى حالة إرسال أموال فسوف يتم إرسالها عن طريق

عصابات تهريب النقد، ولم يعجبنى هذا القول، وسألته عن السبب فقـال: إن هذا سوف يوفر بعض المال إلى جانب أنه نوع من الحرب ضد عبدالناصر، فقلت لـه: إنها حرب ضد مصر، فهذا تخريب للاقتصاد المصرى، ولكنه قال: إنه إضعاف لمصر عبدالناصر، وهى مرحلة فقط، وفى الحرب كل شئ مباح.

ثم ذهبت إلى مكة وصعدنا إلى عرفة ومنى .. وأدينا مناسك الحج والحمد لله .. وكان هناك مؤتمر للإخوان نصحنى الشيخ مصطفى العالم بعدم حضوره لأن هذا كفيل بكشف الغطاء الذى يقيمونه حولى، وفى هذا خطر على التنظيم فى القاهرة. وفى هذه الفترة كان الأخر محيى قد بدأ فى إنشاء مشروع تجارى عبارة عن مكتبة إسلامية مشاركة مع أحد الإخوان الموجودين من قبل فى المملكة، وعمل معه فى المشروع نفسه الأخ أسامة علام، وكانت تلك بداية اقتصادية جديدة له.

وفى فترة أداء مناسك الحج التقيت بعدد كبير من الإخوان وزعماء الحركات الإسلامية فى العالم من باكستان وأفغانستان وتركيا وسوريا والهند، كما التقيت بالشيخ أبو بكر الجزائري ــ وهو أستاذ فى جامعة المدينة المنورة وكنت أحمل له خطاباً من الشيخ عبدالفتاح إسماعيل ــ ورحب بي، وحملنى تحياته للإخوة فى القاهرة، وأخبرني أنه بصدد طبع أول كتبه فى الفقه، وواعدته على اللقاء فى القاهرة لمساعدته فى طباعته.

التقيت أيضاً بالشيخ محمد بن يوسف ــ مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ ــ وسمعت منه الكثير، واختلفت معه فى كثير من الآراء لأنهم ينكرون الجهاد بمعنى القتال فى سبيل الله، وقد استبدلوه بما يسمى الخروج فى سبيل الله، وهو الخروج للدعوة ثلاثة أشهر كل عام، وكانت حجته أن هذا ــ مع إعلانهم فى المبادئ الستة التى ينادون بها، ومنها عدم التعرض للحكام ــ يجعلهم فى مأمن من الاضطهاد، لهذا يقومون بواجبهم فى نشر الدعوة.

وعدت إلى القاهرة سعيداً بأننى أديت مناسك الحج، وعرفت أن فـــى السفر فوائد كثيرة، فقد التقيت بأناس كثيرين من جميع المذاهب والاتجاهات، وتعلمت الكثير، ومن يومها وأنا أحب السفر وأحرص عليه كلما أمكن ذلك.

اختراق الإخــوان :

بعد عودتى من رحلة الحج، جمعت الإخوة ولخصت لهم ما حــدث، وأخبرتهم بالأسلحة التى طلبتها وأن الشيخ مصطفى العالم وعــد أن يــذهب بنفسه لشرائها من جنوب السودان بعد أن يدبر الأموال اللازمة لــذلك. وقــد كان خبيراً فى مثل هذا العمل، فقد اشترى أسلحة كثيرة للإخوان أيام حــرب 1948، ومعارك القنال عام 1951.

وافقنى الأخوة على تلك الأمور، وأقــروا أن أكــون مــسئولاً عــن الاتصال بالخارج وأن يمنع الشيخ عبدالفتاح إسماعيل والحاجة زينب الغزالى من ذلك. ثم بحثنا بعض الموضوعات الأخرى .. فقد كانت الأخــت زينــت الغزالى قد أخبرتهم أن الأستاذ المرشد قد أعطى توجيهاته بأن يتــولى قيــادة التنظيم الأستاذ عبدالعزيز على الوزير السابق فى وزارة محمد نجيب، وقالوا إنه على دراية بتلك الأعمال، وأنه رجل متحمس للعمل الإسلامى، ولم يكــن فى أيدينا أن نفعل شيئاً إزاء تعليمات صادرة من المرشد العام للجماعة.

تحدد لنا موعد عند الحاجة زينب الغزالــى، فــذهبت مــع الــشيخ عبدالفتاح إسماعيل والتقينا بها، واستمعت منى لــبعض أخبــار الــسعودية، ووجدتها غير مرتاحة حين علمت أننى لم أبلغ رسالتها للسيد عبدالرحمن أبو الخير، ولم تكن متقبلة أيضاً لأن أتولى الاتصال بالخارج بدلاً منها.

وسألتها عن موضوع الأستاذ عبدالعزيز على فأخبرتني أنها دعيــت لمنزل فضيلة المرشد، وأخبرها أن الأستاذ عبدالعزيز متحمس للعمــل فــى

الحقل الإسلامى، وأنه اتفق معه على أن يتولى قيادتنا، وأننا فى حاجة إلى خبرته القديمة فى مجال العمل السرى، حيث أنه كان أحد أفراد التنظيم السرى لثورة 1919.

بعد قليل حضر عبدالعزيز على، وتعارفنا، واتفقنا على أن نلتقى معه مرة كل أسبوع، وكان أحد شروطه ألا يزيد اللقاء على 15 دقيقة ــ وهو أمر غير مألوف لنا ــ وأنه قد يحدد اللقاء فى الترام أو الأتوبيس أو فى أحد المنازل، وأنه فى كل مرة سوف يخبرنا عن اللقاء القادم، وقال لنا إنه هو الذى اتصل بالأستاذ الهضيبى وأخبره أنه قد آن الأوان لعمل إسلامي، بعد أن رأى أن الحركة الإسلامية مستهدفة وفى خطر، ولابد من تحرك ضد عبد الناصر مباشرة.

وقد روى لى الأستاذ عبدالعزيز على أن ثورة 1919 كانت نتيجة علم طويل ومنظم من القوى الوطنية، ولم تكن شيئاً عفوياً، وأن الوطنيين منذ فترة طويلة كانوا ينتظمون فى مجموعات سرية، وكان كبار الشخصيات التى ظهرت فى السياسة المصرية بعد ذلك منتظمين فى هذا العمل السرى ضد الإنجليز، ومنهم أحمد ماهر، والنقراشى، وحامد جودة، وعبدالعزيز فهمى، وحمد الباسل، وغيرهم من الأسماء المعروفة التى لم تظهر على السطح .. وقد كتب الأستاذ مصطفى أمين فى هذا الموضوع باستفاضة وتفصيل، ومن الممكن الرجوع إلى كتاباته فى هذا الخصوص.

كان أول لقاء بين الأستاذ عبدالعزيز على ومجموعة القيادة فى منزلي، وكان معنياً بتنظيم مجموعة للمعلومات ــ وكانت هذه المجموعة موجودة بالفعل برئاسة الأخ أحمد عبدالمجيد ــ ولكنه كان يريد توسيع دائرة هذا العمل وتعميقه وكان يحاول أن يجعلنا نتعامل جميعاً فى جمع المعلومات كعمل أساسى للتنظيم وقد أعطاه الأهمية الأولى. ثم تحدث عن لقاءاتنا بإخواننا، وأنها لا ينبغى أن تكون طويلة، ولكن اجتماعات خاطفة مثل التى

يديرها معنا، وأن هذا ــ فى رأيه ــ أكثر أمناً للتنظيم، ولكنى قلت له: إن هذا الأسلوب لا يصح خاصة مع تنظيم المفروض فيه أنه عقائدى، فلقاءاتنا تستهدف فى المقام الأول التربية والدراسات الإسلامية والعبادة الجماعية، إلى جانب بعض التدريبات. وهذا كله يستلزم أن نمضى معاً وقتاً أطول، وقلت له أيضاً: إن مثل هذا الأسلوب الذى يراه قد يصلح لشبكة جاسوسية أو عصابة من عصابات المخدرات أو أى نشاط مماثل، ولكنه لا يصلح ولا ينتج عنه شباب مسلم، لكنه أصر على رأيه فوافقناه، ولكن لم ننفذ اقتراحه. وأن كانت لقاءاتنا قد بقيت مستمرة على هذا النحو، يقوم خلالها بإعطائنا بعض الأمثلة عن النشاط السرى فى عام 1919 ووسائل هذا النشاط، وقال إنهم كانوا يعتمدون على استخدام السم فى حالات كثيرة أكثر من اعتمادهم على السلاح.

وفى أحد الاجتماعات أخبرنا أنه لكى يأخذ التنظيم شكله الصحيح فإنه مطلوب منا أن نسلمه كشفاً بأسماء جميع الإخوة الموجودين فى التنظيم وعناوينهم على مستوى الجمهورية، وأنه سوف يحتفظ بتلك الكشوف عنده، فالمفروض أن تكون القيادة على علم بكل شئ عن الإخوان، فى الوقت الذى لا يعرف الأفراد شيئاً عن القيادة، وقد أصابنا هذا بنوع من الذهول، ولم ندر كيف نرد، لكنى قلت له: إن هذا الطلب غريب علينا وأنه من الصعب أن ننفذه، لأننا فى بعض الأحيان لا نعرف كل الأسماء. فكل مسئول يعرف الأفراد التابعين له، ونحن ــ مجموعة القيادة ــ لا نعرف إلا عدداً قليلاً، لكنه قال: إن هذا خطأ شديد، ولابد أن نبدأ فوراً فى جمع تلك البيانات وتسليمها له ووعدناه أن نبدأ فى التنفيذ. فقط نحتاج لبعض الوقت، وطلب أن أكون أنا حلقة اتصال به فى منزله على ألا تشعر زوجته بأى شئ، لأنها كانت تشاركه الكفاح فى الأيام السابقة، وكانت تضع له المسدسات داخل السندوتشات وترسلها إليه، فهى ــ على حد قوله ــ "تشم" رائحة مثل تلك

الأعمال وأعصابها لم تعد تحتمل ذلك، فوعدته بالحرص التـام، وقـال إنـه سيخبرها أننى من قبل شركة الغاز، وظل الحال كذلك حتى أوقفنا الاتـصال نهائياً لعدم إحساسنا بالراحة فى هذا الطريق، كنا جميعاً نشعر بـذلك، ولـم يختلف أحد منا.

رسالة من سيد قطب :

فى أحد الأيام ــ ومع نهاية أيامنا مع الأسـتاذ عبـدالعزيز علـي ــ اتصلت بنا الحاجة زينب الغزالي، وأخبرتنا أنه قد تم الاتصال بالأستاذ سـيد قطب، عن طريق أخته وأنه أرسل لنا معها رسالة خاصـة. ذهـب الـشيخ عبدالفتاح إليها وأحضر الرسالة وقرأها لنا فى أحد لقاءات المجموعة. كانـت حوالى عشر صفحات مكتوبة باليد، كان بها حديث مطـول عـن العقيـدة، ووجوب تصحيح الاعتقاد أولاً وبعد ذلك تأتى باقى الأمور الدينية والدنيوية. وأن تصحيح الاعتقاد لا يكون إلا بمعرفة : أنه هو الله والرب وأنه لا عبـادة إلا لله، ولا يكون فى أمر العبادة إلا ما يريد رب العباد. ولهذا كان القول فى السابق إننا نعبد الله ونخلع ما يعبد من دونه. هذا هو ملخص مركز للاعتقاد. وإذا كانت هذه هى الحال مع الله، الرب فلا ولاء ولا خوف ولا عبادة إلا له وحده وهذا يحرر العباد من عبادة العباد. ويردهم إلى عبادة الله وحده. كـان هذا القول مشروحاً فى الصفحات العشر ومعه وصيـة أن نـنهج منهجـاً دراسياً حدده هو بدراسة سورتى الأنعام والأعراف، مـع بعـض الكتـب ومنها كتب "المودودى ــ المصطلحات الأربعة ــ الحجاب مع منهاج المـسلم ــ هل نحن مسلمون ــ العقائد ــ ماذا خسر العالم بانحطـاط المـسلمين ــ الغارة على العالم الإسلامى"، ووعدنا فى خطابه بدوام الاتصال واللقاء فـى المستقبل.

وتحمس الإخوة أن نداوم الاتصال بالأستاذ سيد قطب، فهو أقرب إلى فكرنا ولا نشعر معه بالغربة، إلى جانب أنه اسم لامع، وقد كانوا حريصين على البحث عن قيادة معروفة شهيرة، ولا أنكر أننى تحمست معهم للاستمرار مع الأستاذ سيد قطب وقد كان.

نحن وعامر وعبدالناصر :

فى صبيحة أحد الأيام اتصل بي الشيخ عبدالفتاح إسماعيل وأخبرني أنه يريدني للقاء مهم، تواعدنا، والتقنيا. وقال لي: إنه تقابل مع الحاجة زينب الغزالي بناءً على استدعائها له، وأنها أخبرته أن مكتب المشير يسأل عن القوى الشعبية التى يمكن أن تقف معه إن هو حاول الانقلاب ضد عبدالناصر، وأنه مهتم بصورة أساسية بالإخوان وحزب الوفد على أساس أنهما القوتان الفاعلتان فى الشارع المصري. طلبت منه تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع ولكنه قال لي: إن التفاصيل مع الحاجة زينب الغزالي، وطلب مني أن نذهب معاً لمناقشتها فى الأمر، وذهبنا، وأخذت تشرح لنا الأمر وتصوره على أنه فرصة العمر قد أتت إلينا للخلاص من عبدالناصر. ولكنى قلت لها: إن المشير ليس هو الشخصية التى تستطيع أن تنفذ ذلك إلى النهاية، خاصة أنه قد خذل عدداً كبيراً من الضباط الموالين له، حين حشدهم ضد عبدالناصر ولما أشار له عبدالناصر بأصبعه تبعه وترك أعوانه دون غطاء أو حماية وتم اعتقالهم وتصفيتهم، إلى جانب أن هذا الأمر برمته يمكن أن يكون من صنع رجال عبدالناصر فى مكتب المشير لمعرفة وجود تنظيمات للإخوان والوفد من عدمه. وقلت لها إننى أرى عدم التورط فى هذا الأمر، ثم سألتها عن موقف حزب الوفد فأخبرتنى أنه قد تم الاتصال بهم عن طريق المستشار محمد قطب، وأنه مستعد للاجتماع وأخبرتها برأيي النهائي هو

رفض حضور هذا الاجتماع، وضرورة إخبارهم بأن الإخوان ليس لهم تنظيم ولا قيادة، ولا أى كيان يمكن الاتصال به ثم انصرفت.

وفى أحد اجتماعاتنا الدورية شرحت للإخوان ما حـدث، وأقروني على موقفى، وفى هذا الاجتماع نفسه علمنا أن اثنين من الإخوة فـى القيـادة سوف يتركاننا ليعملا فى الجزائر هما الأخر "محمد فتحـى رفـاعي" والأخ "عوض عبدالعال" وبناءً على ذلك تم انتداب الأخ "صبرى عرفـه الكـومي" ليحل محل عوض عبدالعال. وتم ضم الأخ مجدى عبدالعزيز متولى منـدوباً عن الإسكندرية (وكان مقيماً فى القاهرة ولكنه أصلاً من الإسكندرية وعلـى صلة بالإخوان هناك).

تعددت اللقاءات وبدأ التنظيم يأخذ شكلاً كبيراً يشمل الكثير من مـدن الجمهورية، وانتظمت المجموعات التى تخدم القيادة مثل مجموعة: الأعـلام، المعلومات، التدريب .. وهكذا. وفى أحد الاجتماعات جاءنا خبر مزعج نقلـه إلينا الأخ مجدى عبدالعزيز ــ وكان على صلة بالأخ مراد الزيات زوج ابنة الأستاذ صلاح شادى ــ هذا الخبر مؤداه أن الأخ مراد يرى أن يكون هنـاك تنظيم بلا تنظيم ــ أي لا يأخذ شكلاً يقع تحت طائلة القانون ــ لأنـه حـين شعر بوجودنا أخبر الأستاذ صلاح شادى فى السجن الذى أمـره بـأن يبلـغ البوليس عنا ... !! لأن وجودنا ــ إذا شعرت به أجهـزة الأمـن ــ سـوف يعرقل الإفراج عنهم.

أصبنا برعب شديد حين سماع هذا الخبر، وأحسست أنهم جادون فى هذا الأمر، حاولنا عمل ما يمكن لوقف تلك الفكرة، وكنا نعلـم أن الإخـوان بنظامهم التقليدي قد اكتفوا بما حدث، وأن الأستاذ فريـد عبـدالخالق يعتبـر مركز الاتصال الذى ارتضوه للاتصال بالوفود التـى تـأتى مـن الخـارج وبالإخوة فى السجون وبالأستاذ الهضيبى، وأنه ــ أيضاً ــ ضد أى تحـرك تنظيمي، فأرسلنا إلى الأستاذ الهضيبي فطلب منه إرسال توجيه للأستاذ فريد

عبدالخالق ليكف يده عن الحركة الموجودة بل ويشارك معها. ولكن رد المرشد كان كالآتي : "لن أقول للقاعد تحرك .. ولن أقول للمتحرك أقعد" وبهذا حدد المرشد موقفه بوضوح، وأنه قرر أن يترك كل فرد يفعل ما يراه، وأن يقر كل مجموعة على رأيها حتى لو تعارضت المجموعات، وهذا الموقف يستحق أن نقف عنده للتأمل !!

القارئ المتأمل لكتاب صلاح شادى "صفحات من التاريخ" يلحظ أن الأستاذ صلاح منذ أن ألتحق بالجماعة وهو يتمتع بطموح شديد للسيطرة عليها. وأول مظاهر ذلك أنه كان يمتدح الأستاذ "البنا" دائماً بشكل أكثر من الذى اعتاده الإخوان. فكان يعامله معاملة الأنبياء !! فحين حكَّمه الأستاذ البنا فى الخلاف الذى شأ بينه وبين الأستاذ أحمد السكرى — حسبما روى فى كتابه — فقد قال للأستاذ السكرى: "هل ارتضيت حسن البنا مرشداً لك فى أمور الآخرة، قال نعم: فقال له، فماذا يمنعك أن نرتضيه مرشداً — كذلك — في شئون الدنيا" ص21 من الكتاب.

وكان هذا — فى الواقع — منحى خطيراً إذ أنه يسلب الأفراد شخصياتهم واستقلالهم فى الرأى وتميزهم عن غيرهم، ويطبع الجماعة كلها بقالب واحد. وكأنهم دمى تتحرك كما يشاء المعلم، وليس هذا من منهج الإسلام الذى ترك حرية الفكر والإبداع فى الإطار العام الذى حدده.

أما الأمر الثاني الذى لاحظته فى رواية صلاح شادى فهو وقوفه موقف العداء وعدم الارتياح من عبدالرحمن السندى، فالأستاذ السندى كان فى هذا الوقت الشخصية التى لا يمكن أن تقف فى طريق طموحه، حيث كانت أغلب الخيوط في يده بعد الأستاذ البنا، وقد ظهر ذلك من أول لقاء بين الأثنين حيث يروى الأستاذ صلاح شادى.

"وتبينت من الوهلة الأولى من لقائى مع عبدالرحمن السندى أن الذى عناه الإمام الشهيد من هذا اللقاء هو تنسيق العمل بين جهازين يعمــلان فــى خدمة الجماعة فى حقل واحد مشترك من العمل، ولذا لزم تنــسيق الــروابط بينهما".

"ولكنى أدركت أخيراً ــ بالإضافة إلى ذلك ــ أن مرشد الإخوان إنما كان يخطط لأمر آخر هو ألا يجعل كل رجال النظام الخاص تحت يد واحدة، دفعاً لما يمكن أن يواجه الجماعة من أحداث، وفــى الوقــت نفــسه أراد أن يعرفنى بقيادة هذا النظام فكلفني يوماً بمصاحبته إلى اجتماع قادة هذا النظــام فى مصر والأقاليم فى منزل الأخ عبدالرحمن السندى فى حي بــولاق. ولــم يكن لعبدالرخنت السندي سابق علم بمصاحبتى للمرشد فــى هــذه الزيــارة، ويبدو أن المرشد لم يكن قد أبلغه، ولذلك ظهــرت علــى وجهــه الكراهــة والامتعاض وصارح المرشد بأنه كان يلزم إخطاره مسبقاً ..".

وواضح مما سبق أن الأستاذ شادى ــ وهو حديث عهد بالجماعة ــ كانت آماله سريعة، ولم يكن يريد أن يصعد السلم متدرجاً، وكانت الجفــوة ــ التى ساعد هو عليها ــ واضحة بينه وبين السندى منذ اللقاءات الأولى، حيث كان السندى يمثل هذا القسم الضخم من الجماعة ويعمل على انضباطها وعدم التهاون فى هذا الأمر أبداً. وقد علمهم أن يواجهوا بعضهم بصراحة وشجاعة إذا حدث خطأ ما، حتى ولو كان من المرشد الذى كان يشعر دائماً بــالإعزاز لهذا السلوك. ولكن النظرة تختلف حين تختلف النفوس ويختلف الفهــم. فقــد كان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يصارحون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويناقشونه فى أدق الأمور وأحياناً كانوا يفعلون ذلك بشئ من الــصلف، ولم يكن الرسول يغضب لنفسه ولكنه كان يجيب ويعلم، وخير مثال على ذلك ما حدث يوم أُحد حيث كان الرسول صلى الله عليه وســلم يكــره الخــروج لملاقاة الأعداء، ويرى ترتيب معركة دفاعية داخل المدينة، ولكنه وافق علــى

الخروج حسب رأى المسلمين. هكذا كانت الروح الإسلامية، وهذا هو المنهج الذى حاد عنه بعض الإخوة حيث كان السمع والطاعة المطلقة للقائد أو المرشد.

والغريب أن الأستاذ صلاح شادى يستطرد قائلاً:"وربما كان لعبدالرحمن السندى الحق فى هذا التحفظ، إلا أن الصورة التى انطبعت فى نفسى من مواجهته للمرشد بهذا الشكل أنه كان يتحدث إليه كما لو كان الحديث بين "ندين" لا بين مرشد الجماعة وبين رئيس أحد أقسامها" ص32-33 من الكتاب.

وظل موقف الأستاذ صلاح شادى من عبدالرحمن السندى على ما هو عليه إلى أن حدثت أزمة وفاة الأستاذ "البنا" وضرورة البحث عن مرشد وكانت فرصته للإمساك بقيادة الجماعة، وكان مرشحاً لهذا الأمر عبدالحكيم عابدين، أحمد حسن الباقورى، عبدالرحمن البنا، صالح عشماوى.

وقد كانت فى الإخوان طبيعة تعلموها من دراستهم للإسلام وهى أنهم لا يسعون إلى ولاية أو رئاسة، ولكن المجموع يقوم بترشيحهم واختيارهم، ولا يرشحون أنفسهم، ولا يقومون بالدعاية بين الأفراد كما هو معمول به، ولهذا فقد اتفق الباقورى مع عبدالحكيم عابدين على أن يقوم بالدعاية له بين الإخوان، ويعمل على أن يطلبوه. كما طلبها لنفسه الأستاذ عبدالرحمن البنا، على أساس أن يظل اسم البنا على رئاسة الجماعة، بينما تعفف الأستاذ صالح عشماوى وقال إنه لا يمانع وإذا طلبه الإخوان فسوف يقبل. وكل هذه كانت تصرفات غير واثقة، بل أقول إنها لم تع أين الصالح العام.

وقد استغل الأستاذ "منير الدلة" هذا الموقف استغلالاً جيداً، فقد كان أحد الأقطاب الأربعة الذين قادوا الانقلاب داخل الجماعة، وجمعهم فى بيته وقال لهم: ألا ترون أنكم لا تستطيعون الاتفاق على أحدكم، فما رأيكم أن

نأتى برجل من خارج الجماعة حسماً لهذا الأمر ؟ الغريب أنه لم ينتبه أحد لما يحدث إلا بعد فوات الأوان، واستطاع "منير الدلة" أن يأخذ موافقتهم على ذلك، ثم قام الأستاذ حسنى عبدالباقى بتمرير الأمر على الهيئة التأسيسية، وتم تعيين الأستاذ الهضيبى مرشداً.

كان أول ما فعله أنهم طلبوا منه أن تلتقط له بعض الصور مع أفراد النظام المفرج عنهم بعد عودة الجماعة من الحل. فقال: "إننى لا أقف بين سفاحين وقتلة"، وكان هذا هو وصله لرجال النظام الخارجين من السجون.

وكانت فرصة للرباعى ـ أولاد الذوات ـ المنفذين للانقلاب، والذين وصفهم الشيخ الغزالى فى كتابه "من معالم الحق" بقوله: وقد تعرض المركز العام نفسه لهذا الخلل، فتولى أمانة الجماعة رجل ليست له الصلاحية النفسية أو الفكرية لأى مركز قيادى فى دعوة مكافحة، وكان تأثير هذا الشخص غريباً فى تقريب الجماعة من القصر الملكي، واصطدمت بتيارات شعبية واسعة النفوذ، ولم تكن للإسلام أدنى فائدة من هذه الخصومات، بل لقد عادت عليه بضرر شديد، ولا غرو فإن أعيان القرى وأقرباء الباشوات تربطهم أحوالهم بمصالحهم قبل أى شئ آخر" ص224.

وهكذا كانت الفرصة سانحة للأستاذ صلاح شادى أن يحكم قبضته على الإخوان بالسيطرة التى كان يحلم بها على النظام الخاص، والتخلص من عبدالرحمن السندى ورفاقه، فقد كان صراعه معهم فى السابق قائماً على إحراجهم بعد أن ولاه الأستاذ البنا قسم الوحدات وهو قسم من النظام الخارج يندرج به الجند وضباط الصف من الجيش والبوليس. ومنذ أن تولى هذا القسم ـ فى سنة 1944 ـ سخره للقيام ببعض العمليات الفدائية ضد الإنجليز أولاً، مثل حادث القطار ثم حادث فندق الإسماعيلية، ولم يأخذ إذناً بالتنفيذ لا من عبدالرحمن السندى ولا من الأستاذ البنا، ثم قام بعد ذلك بعمليات

تفجير فى 1948/6/20 فى حارة اليهود بالقاهرة، ثم مرة أخرى فى 1948/9/22 ثم فجروا عبوات ناسفة أسفل شيكوريل فى 1948/7/19.

وكانت كل هذه العمليات غير ذات تأثير يذكر، ولكنها كانت جزءاً من خطة الأستاذ صلاح شادى فى إحراج السندى والنظام الخاص عموماً، حتى تحين له الفرصة للسيطرة والتى حانت بالفعل بعد تولى الأستاذ الهضيبي، فبدأ فى تنفيذ غرضه الذى يتلخص فى الآتي :

أولاً : محاولة النفاذ إلى أفراد النظام مستنداً إلى هجوم الأستاذ الهضيبي عليهم، وظهور بعض الأصوات فى مكتب الإرشاد ترفض وجود إزدواج فى القيادة داخل الجماعة، وكان من أنصار هذا الرأى الأستاذان عمر التلمساني وعبدالقادر عودة، وبالاستعانة بالأستاذين سيد فايز وحلمى عبدالمجيد، بدأ صلاح شادى فى الاتصال بقيادات النظام، ولم علم السندى بذلك اعتبره خيانة من سيد فايز وقام بتصفيته.

ثانياً : كان كل من صلاح شادى والسندى على صلة بجمال عبدالناصر، كان كل منهما يرى أنه مسئول وموجه لجمال عبدالناصر "قائد الإخوان بالقوات المسلحة". وفى اعتقادى أن جمال عبدالناصر قد "لعب" بهذا الصراع بين الاثنين وضرب بعضهما ببعض بذكاء شديد ومقدرة تحسب له. فقد كان يقابل كلاً منهما على حده، ويعطيه الإحساس بنفسه بالجندية والإيمان بالدعوة حتى قامت الثورة، واستفاد ــ بالفعل ــ من الإخوان فى الدور الذى حدده لهم.

كان الصراع بين الاثنين فى تصاعد مستمر، كان عبدالناصر يعمل على تغذية هذا الصراع حتى أن السندى ــ بعد فصله من الجماعة ــ كان على قناعة بأن جمال عبدالناصر هو تتويج لكفاح الجماعة، وأنه قام بالثورة ليقيم الحكم الإسلامى، وأنه ــ أى عبدالرحمن السندي ــ ينبغى أن يكون

بمثابة الأب الروحى الذى يتابع ما يقوم به رجاله من أمور كبيرة. والغريب أنه ــ بعد فصله ــ كان قد قابل جمال عبدالناصر فى أكثر من مناسبة، وطلب منه الأمان لبعض أعوانه ورجاله المقربين، ووافق عبدالناصر وأذكر إحدى الوقائع تدليلاً على ذلك: "كان الأخ محمد فيشه ــ الذى ورد ذكره فى بداية الكتاب ــ فى أواخر أيامه يعمل عند السندى، وكان واحداً ممن تستخدم منازلهم مخازن للأسلحة، وبعد أن اتفق السندى على تأمين أتباعه، استدعاه وطلب منه التخلص من الأسلحة الموجودة عنده، والسفر إلى بلدته "ميت أبو خالد" والبقاء فى منزله انتظاراً لتعليمات أخرى بشأن ترتيب معاشه ــ وكان الأخ محمد فقيراً يعيش على راتبه فقط ــ فكان راتبه يصل إليه فى منزله كل أول شهر إلى أن تم حل الإخوان عام 1954، ودخلوا السجن، وإذا بمندوب من رئاسة الجمهورية يصل إلى "ميت أبو خالد" ويأخذ محمد فيشه إلى ميت غمر ويأمر بتعيينه ميكانيكياً بالوحدة الزراعية بميت غمر وبأوراق من رئاسة الجمهورية".

****

أطلقت علينا بعد ذلك مجموعة صلاح شادى أننا جواسيس للحكومة أو للأمريكان أو لأى جهة المهم أننا جواسيس لأننا خرجنا عن رأيهم كمجموعة، ولم نخرج على رأى الجماعة بدليل معرفة المرشد عنا، وإقراره لوجودنا. وهنا يمكن بحث هذا السلوك والفكر الذى قاد انقلاباً داخل الجماعة ضد السندى ومجموعته ليقوموا بأحكام قبضتهم على الجماعة وتوجيهها إلى الوجهة التى يريدون، ولست بذلك أدافع عن السندى، ولكنى أقرر حقيقة ما حدث.

بعد ذلك بسنوات قابلت الإخوة داخل السجون، وسألت الأستاذ محمد شاكر لخيل ــ وهو من أقرب المقربين إلى الأستاذ صلاح شادى ــ عن تلك الواقعة التى أخبرنا بها الأخر مجدى عبدالعزيز والخاصة بموقف صلاح

شادى، فطلب مهلة للتحرى، ثم أخبرني ــ بعد فترة ــ أنــه ســأل الأســتاذ شادى عن هذا الأمر، وقد أنكره بشدة وقال: إنه لم يكن له أن يــأمر بــإبلاغ جهات الأمن عن إخوان له حتى لو اختلفوا فى الرأى معه.

ولما التقيت بالأستاذ صلاح شادى بعد ذلك وسألته عن تلك الواقعــة أجاب أنه بالفعل قال ذلك وأنه لا ينكره.

هكذا كانت الحياة داخل الجماعة، ولك أن تتــصور أى نــوع مــن الإحباط يأتيك إذا كنت من عشاق الحقيقة والمثالية فى الفكر والسلوك ؟!!

اللقاء مع سيد قطب :

بعد خروج الأستاذ سيد قطب من السجن تم استدعاؤنا ــ أنا والشيخ عبدالفتاح إسماعيل ــ للقائه ــ ذهبنا إليه، سألنا عن أحوالنا، وسألناه عن حال السجون، وأخبرناه ــ موجزاً ــ عما نحن فيه، وطلبنا منه أن يتــابع العمــل معنا، فوافق على شرط أن نعطيه فرصة كى يستأذن الأستاذ الهــضيبى فــى هذا الأمر. أخبرناه عن مشكلتنا مع الأستاذ عبدالعزيز وأننا غيــر مرتــاحين لتلك العلاقة، ولا ندرى كيف نستطيع التخلص منها ؟ وطلب منا أن نترك له الموضوع وسيقوم هو بعلاجه، ثم حدد لنا موعداً فى منزله بحلــوان لنلتقــى معه بمجموعة القيادة الخمسة كى يبدأ معنا توجيهاته.

والحقيقة أن اللقاء مع الأستاذ سيد قطب كان بمثابة تحول كبير فــى اتجاهات الناس والتنظيم والأفراد، وإعادة تشكيل الفكر تــشكيلاً كــاملاً فــى الاتجاه الذى رسمه هو، وأنا أرى أن تلك المرحلة كانت جديدة تماماً، وكــان لها تأثيرها على مسيرة العمل فى المرحلة التالية.

التقينا فى منزله بحلوان، وكان حديثــه معنــا فــى البدايــة حــديث مجاملات، ثم أخبرنا بزيارته لمنزل المرشد، وأنه استأذنه فى العمــل معنــا،

فأذن له، ثم تحدثنا فى موضوع كان يقلقنا ويقض مضاجعنا، هو مسألة تهديد الأستاذ فريد عبدالخالق والأستاذ مراد الزيات والخوف من أن يبلغوا عنا، وأن يكشفوا عملنا. وقال لنا : إن الأستاذ "منير الدلة" قد أخبره بشئ من هذا القبيل، وأنه حذره منا ومن الأستاذ عبدالعزيز على ومن الحاجة زينب الغزالي، وقال: إن سبب خوفهم هو اتصالنا بالحاجة زينب وبالأستاذ عبدالعزيز على اللذين يعملان لصالح المخابرات الأمريكية.

كان رأيه أن نترك له المر تماماً، وألا نشغل أنفسنا إلا بشئ واحد وهو إعادة بناء التنظيم وإعادة بناء الفكر كما سيرتبه لنا، وبالأسلوب الذى يراه هو، وقد ورد ذلك المعنى فى كتابه .. "لماذا أعدموني". بالصفحة رقم 56 حيث قال: "كذلك كان الأستاذ منير الدلة قد قال لى أثناء تحذيره وتخوفه من شبان متهورين يقومون بتنظيم يعتقد هو أنه دسيس على الإخوان بمعرفة قلم مخابرات أمريكى عن طريق الحاجة زينب الغزالي. وأن المخابرات كشفتهم وأنهم يفكرون ــ فى مكتب المشير ــ بالتعجيل بضربهم أو بتركهم فترة. كما قال لي من قبل قريباً من هذا الكلام الحاج عبدالرزاق هويدى، نقلاً عن الأستاذ منير الزيات صهر الأستاذ فريد عبدالخالق والأستاذ صلاح شادى، والأستاذ منير متصل بالأستاذ فريد وبينهما توافق فى التفكير والاتجاه. وكان الحاج عبدالرزاق هويدى قد ذكر لى كذلك أن هؤلاء الشبان متصلون بالأستاذ عبدالعزيز على (الوزير السابق) أو اتصلوا به، وأنه يقال إنهم اتصلوا بالأمريكان ومدسوس عليهم، وكنت قد عرفت من الشباب أنهم ــ فعلاً ــ التقوا بالأستاذ عبدالعزيز على والأستاذ فريد فى بيت الحاجة زينب الغزالي أثناء بحثهم عن قيادة، ولكنهم لم يستريحوا له، فلم يكاشفوه بأسرار تنظيمهم.

"وفى كلام الأستاذ فريد معى أشار إلى اتصالهم بأشخاص مشكوك فيهم وكنت أعرف أنه يشير إلى اتصالهم بالأستاذ عبدالعزيز على وبالحاجة

زينب الغزالى ورأيه من رأى الأستاذ منير أنهما مدسوسـان لعمـل مذبحـة للإخوان".

انتهى كلام الأستاذ سيد قطب فى كتابه : "لماذا أعدمونى".

وقد أخذ على عاتقه أن يوقف تصرف منير الدلة وفريد عبـدالخالق ومراد الزيات، وقال إنه "يضمن الحاجة زينب الغزالي وعلينا أن نتركها له، لأنه يرى أنها "مكشوفة" وأنه لا يمكن أن تستعين بها مخابرات دولة أجنبيـة وهى مكشوفة بهذا الشكل، ثم أشار أنها على علاقة طيبـة بمنـزل الأسـتاذ الهضيبي وأن هذا فى صالحها.

ثم بدأ الحديث معنا حول البناء العقيدى الجديد الذى يراه، وكان قـوام هذا البناء يقع فى أمرين أساسيين هما :

أولاً : أن الاعتقاد الإسلامى يقوم على الفهم الحقيقى والدقيق لمعنـى التوحيد الوارد فى كلمة "لا إله إلا الله" وقال إن هـذا المعنـى كـان يفهمـه المسلمون الأوائل أو العرب فى صدر الإسلام، لأنهم كانوا على دراية تامـة باللغة العربية وهم أهلها، لكن الناس فى هذا الزمن الذى نعيـشه قـد فقـدوا معنى اللغة والإحساس بها، وقد تعددت اللهجات بحيث لا تعنى المعنى نفسه. فقد يقال فى الصعيد "أن فلاناً قد قتل فلاناً" ولو شهدت المحكمة بهذا لأعـدم القاتل، ولكنها عندهم تعنى "أنه ضربه بشدة".

كان الأستاذ سيد قطب يدلل بذلك على أن اللغة العربية قـد تعـددت لهجاتها بشكل أفقدها معناها الأساسي، وأنها مستهدفة بقصد تـضليل الفكـر الإسلامى وتحريفها. وأن فهم "لا إله إلا الله" أيام الرسوم كان يعنى الإيمـان بالله ورسوله إيماناً قاطعاً ينفى أى تبعية أو إيمان أو خضوع أو خوف مـن أى شئ آخر إلا الله، وكان الرسول يقول للناس: "أن تؤمنوا بالله، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه .. وهذا هو معنى انتفاء وجود الأرباب لأن خلع ما دون

الله هو عدم الخضوع لأى أحد أو فكر أو عادة أو عُرْف يخـــالف أمـــر الله، ولذلك فإن فهم الإسلام وإعادة تذكير الناس به بهذا المفهـــوم هـــو ضـــرورة حقيقية لإعادة بعث الفكر الإسلامى والعقيدة الإسلامية فى نفـــوس المـــسلمين الذين تاهوا عن الطريق والذين قد انحرفوا وابتعدوا عن أصل العبادة.

ثانيـــاً : أن رحلة الأنبياء من أول نوح حتى محمـــد عليـــه الـــصلاة والسلام تتلخص فى أمرين :

- الدعوة إلى إسلام الأمر لله.
- أن الدين هو الإسلام.

فجميع الأنبياء قد جاءوا بهذا المعنى: توحيد الله سبحانه وتعـــالى، أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، ثم إن الدين عند الله الإسلام. هـــذان المعنيـــان هما "أب" الرسالات المتعاقبة من أول نوح حتى محمد عليه الـــسلام. وهـــذا تدليل على وحدة الرسالة منذ بداية الخلق. ولهذا فإذا كان ذوو الأديان السابقة للإسلام قد فرطوا فى عقيدتهم وبعدوا عنها، فقد اعتبروا متخلين عن ديـــنهم، واعتبروا أنهم عادوا إلى الجاهلية مرة أخرى .. ولذلك فإذا بعـــد المـــسلمين بالقدر نفسه وفرطوا فهم بذلك قد استحقوا أن يقال عنهم أنهم ارتكنـــوا إلـــى الجاهلية هم أيضاً، وأنه لابد من إعادة تصحيح عقيدتهم مرة ثانية.

كان هذا الأمر جديداً علينا بهذا الفهم، فإنه يؤدى ــ حين تتعمق فيـــه وتسير على دربه ــ إلى أن تستشعر أنك بعيد عن عقيدة الناس، وأن النـــاس قد بعدوا عن دينهم وتستطيع الإحساس بأنك فى واد وهم فى واد آخر، وأنهم فعلاً ليسوا بمسلمين ويترتب على هذا الإحساس أمور كثيرة وخطيـــرة منهـــا اعتبار الناس كفرة، ويترتب على ذلك ألا تأكل ذبيحتهم وألا تتـــزوج مـــنهم، وأن تعتزلهم، وأن تستبيحهم .. وأن .. وأن .. وأن .. الخ، كان هذا اتجاهـــاً خطيراً، ولكنا اندمجنا فيه، مع هذه المحاضرات التى بدأها معنا الأستاذ ســـيد

قطب، وكان قد حدد لنا بعض الكتب التى ندرسها فى هذا الاتجاه ومنع عنـا أن ندرس كتباً أخرى حتى لا تغبش الرؤية التى يريدنا أن نكون عليها.

ترتب على هذا أحياناً ـ حين كنا ننزل بتلك الأفكار على إخواننا ـ أن جاءنى أحد الإخوان وقال لي: إنه سوف يرفض أكـل ذبيحـة المـسلمين الموجوديـن حالياً، فذهبت إلى الأستاذ سيد قطب وسألته عـن ذلـك فقـال: دعهم يأكلوها، فليعتبروها ذبيحة "أهل كتاب" فعلى الأقل المسلمون الآن هـم "أهل كتاب".

ومرة أخرى جاءنى أحد الإخوان يقول: "إننا مازلنا نعمل على إقامـة الدين وإقامة جماعة إسلامية على الأصول الشرعية، فلابد أن نقيم الحد فيمـا بيننا، أى أن نجلد الزانى أو نرجمه إن كان متزوجاً، أن نجلد شارب الخمر، وأن نجلد رامى المحصنات، واستشعرت أننا مقبلون على خطر لسنا أهلاً له. فذهبت للأستاذ سيد قطب مرة أخرى أسأله النصيحة فقال لي: "قـل لهـم إن إقامة الحدود مشروطة بالسيطرة على الأرض، فلا حدود بـدون دولـة، ولا دولة بدون أرض، ما دمنا غير مسيطرين على الأرض لا نستطيع أن نقـيم حكومة إسلامية ولا أن نقيم الحدود".

كانت مثل هذه المشاكل التى أسوقها عبارة عن "عينة" من التساؤلات التى كانت تطل علينا بين حين وآخر من داخل المجموعة. وكنا نتعامل معها فى حينها كلٌ فى وقته .. وتعددت لقاءاتنا بالأستاذ سيد قطب وتعددت أحاديثه حول هذه المعانى التى لا أريد أن أطيل فيها أكثر من ذلك، لأنه لابد أن يفرد لها مكان آخر لتناقش بالتفصيل من الناحيـة الفقهيـة والعقيديـة والمـسائل الشرعية فيها.

وكان ثاني الأمور التى تحدث فيها معنا ـ فى محاضـراته ـ هـو حديثه عن الجماعة، فقال: إن الأستاذ البنا كان عالماً بما يفعل. وكان الهـدف

واضحاً فى ذهنه، أنه لا خلاف معه على أمر، وقد حدد له الوسائل والمراحل بدليل وجود مجموعات فى "الشعب" ووجود تنظيم خاص لهذا البرنامج، وأن الدعاة فى مثل حالتنا لا ينبغى أن يقولوا كل ما يرون للمسلمين أو للناس، لأننا لو قلنا لهم ــ ابتداء ــ أنهم غير مسلمين لنفروا منا، ولكن ينبغى أن يكون هذا الفهم بيننا ولا نجهر به للآخرين، وإنما علينا أن نحاول فقط تصحيح اعتقادهم وتفهيمهم، ثم ربطهم بنا فى النهاية. وكان مما قاله إن الأستاذ البنا كان يعلم أن الجماعة مستهدفة من الخارج من القوى المعادية للإسلام، وأنهم أدخلوا إلى الجماعة بعض أعضائهم، أو جندوا من داخل الجماعة أفراداً يعملون لصالحهم، على سبيل المثال ذكر أن الدكتور محمد خميس حميدة كان ماسونياً بدرجة عالية من الماسونية وقد وصل إلى أن أصبح وكيل عام الجماعة، وأن الحاج حلمى المنياوى كان ممثلاً للمخابرات الإنجليزية داخل الجماعة.

والواقع أن مسألة اختراق الجماعة من أعلى عن طريق الماسونية أو المخابرات الإنجليزية وغيرها كان أمراً غريباً علينا، إلا أن بعض الإخوان الآخرين غير الأستاذ سيد قطب قد أشاروا إلى هذا الأمر مثل الأستاذ محمد الغزالي فى كتابه: "من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى الحديث": "ولقد سمعنا كلاماً كثيراً عن انتساب عدد من "الماسون" بينهم الأستاذ حسن الهضيبى نفسه لجماعة الإخوان ولكنى لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخنق جماعة كبيرة على النحو الذى فعلته" ص: 226.

وقال الأستاذ سيد قطب أن الأستاذ البنا كان يعلم هذه الأمور ولكنه لم يجهر بها لباقى الإخوة، فقد كان يتصرف بحكمة، وكان يخفى عن هؤلاء الناس الأسرار التى يريد أن يمنعها، وكان يبلغهم بالأمور التى يرى أن عليهم أن ينقلوها دون أن يحسوا أنه قد كشف حركتهم.

وهذه "عينة" فقط من هذا النوع من النشاط المعادى، وكان غيره كثيراً كانت هناك أسماء أخرى، ولكنه لم يفصح عنها.

وقال الأستاذ سيد قطب أيضاً: إنه لما اختفى الأستاذ البنا لم يكن أحد غيره يعلم بوجود هؤلاء الناس الذين يعملون للقوة المعادية داخل الجماعة وترك المجال لهم أن يترقوا إلى الدرجات العليا فى الجماعة، وأن يحكموا قبضتهم عليها، إلى جانب أن باقى القيادات التى كانت موجودة مع الأستاذ البنا كانت ــ كما وصفهم ــ تقف على كتفى الأستاذ البنا، وأنهم كانوا يرون أنهم فى مثل طوله، وأنهم أنداد له، لأنهم يقفون على كتفيه فيرون رؤوسهم بجانب رأسه. ولكن حين اختفى الأستاذ البنا ظهرت هذه القيادات على حقيقتها، وبانت بحجمها الطبيعي وهو حجم الأقزام، ولم يستطيعوا أن يسيروا بالجماعة ليكملوا الطريق الذى وضعه الأستاذ البنا، وبدأت المشاكل، وبدأ العمل المعادي لتحطيم الجماعة من الداخل.

وقال الأستاذ سيد قطب: "أنتم لا تعلمون ما حدث بعد ذلك من هجوم عبدالناصر على الجماعة ومحاولة تفجيرها من الداخل، ثم الاعتقالات والإعدامات التى حدثت".

كان هذا حديثاً موجزاً عن رأيه فى الجماعة وما وصلت إليه، وقال إن شخصية الأستاذ البنا كانت طاغية لدرجة أنه حتى كان يتدخل فى كيفية وضع "الكراسى" أثناء الاجتماعات، وأن المعاونين له كانوا معتمدين عليه كلية، وليس فى داخلهم الابتكار المطلوب، ولا القوى الزعامية أو القيادية التى تستطيع أن تتقلد مقاليد الأمور من بعده.

أمريكا تطلب إعدام سيد قطب :

ويجئ الحديث عما قاله الأستاذ سيد قطب عن الثورة والإعداد لهـــا، قال لي سيد قطب، وقد جرى ذلك فى اجتماعات دورية منتظمة فى بيته فـــى حلوان وكان يحضرها عدد من قيادات التنظيم الخاص : "إن الإعداد لثـــورة 23 يوليو بدأ أثناء حرب 1948، وأن حصار الفالوجـــــا كان فرصة ذهبية لليهـــود، وأن جمال عبدالناصر كـــان موجـــــوداً فى هذا الحصار، وأنه قد تم تجنيده ــ عبدالناصر ــ لحساب اليهـــــود فى هذا الوقت. وقد تـــم ربـــط علاقـــة قويـــــة بينه وبين "ايجال آلــــــون" حيث كـــان ضـــابط الاتـــصال المنوط بالاتصال بين اليهود وبينهم.

وقال: إن علاقته بالأستاذ محمد حسنين هيكل بدأت منذ التاريخ حيث كان الأستاذ هيكل مراسلاً حربياً فى فلسطين، وقد دخل فى هذا الاتفاق مـــع عبدالناصر ومع ايجال آلون، وكان هذا سر تقريب عبدالناصر له، واعتمـــاده عليه بعد قيام الثورة، إلى جانب أن الأستاذ هيكل قد اتصل بالأمريكـــان بعـــد ذلك أيام أن ذهب إلى حرب كوريا مراسلاً حربياً. فقد تم ربطه بالمخـــابرات الأمريكية فى هذا الوقت وأصبح أحد رجالهم النشطين فى مصر. ولذلك فقـــد كانت الثورة ــ حين قامت ــ تعرف طريقها جيداً، إنها كانت تعمل على رفع شعار الإسلام ثم تذبح المسلمين بسيف مكتوب عليـــه "لا إلـــه إلا الله محمـــد رسول الله".

وعلى هذا فإن قيام الثورة ــ فى رأى الأستاذ سيد قطب ــ كان نتاج فكر وعمل مشتركين بين الـــصهيونية وبـــين الأمريكـــان. وأنهـــم ــ لـــذلك واستعداداً لقيامها ــ قد انشأوا حزباً فى مصر اسمه "حزب الفلاّح" وأن هـــذا الحزب كان معداً لأن يتولى المسائل القيادية فى مصر عقب الثـــورة وأن ــ كما قال فى تعبيره ــ هذه الكوادر المنضمة إلى "حزب الفـــلاح" قـــد لبـــست الجهاز الإدارى فى مصر، كما تلبس جلبابك ووصلت إلى حد الدرجة الثالثـــة ــ أى من وزير إلى وكيل وزارة إلى مدير عام إلى درجة كذا وكذا.

وقد أورد الأستاذ سيد قطب هذا المعنى فى كتابه "لمــاذا أعــدمونى" حيث قال:

"فى عام 1951 سافر الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد إلى أمريكا، وعاد منها مستقيلاً من الــوزارة، ورغــم كــل الترضيات التى قدمها له النحاس باشا، فقد أصر على الاستقالة. ثم أخذ بعدها فى تكوين "جمعية الفلاح" وفى مقدمة أهدافها : تحقيــق العدالــة الاجتماعيــة للفلاحين والعمال. ووضع برنامج ضخم حول هذه الأهداف. وهللت الصحافة الأمريكية للجمعية بصورة كشفت عن طبيعة العلاقة بين الجمعية والــسياسة الأمريكية فى المنطقة، ووضعت الهالات الكبيرة حول الشاب الدكتور أحمــد حسين وحرمه المتخرجة ــ على ما أذكر ــ الجامعة الأمريكية، وانضم إلــى هذه الجمعية رجال كثيرون برئاسة الشاب الدكتور أحمد حسين، مع أنهم أكبر منه شأناً ومقاماً فى ذلك الحين، ومنهم الدكتور محمد صلاح الدين ــ وزيــر خارجية وزارة الوفد ــ والدكتور عبدالرزاق السنهورى ــ وزير المعــارف فى وزارة السعديين، ورئيس مجلس الدولة من قبل، وأمثالهما. وهى ظــاهرة تلفت النظر، وكان الشيخ الباقورى ممن انضموا إليها.

"المهم فيما يتعلق بالخلاف بين رجال الثورة والإخــوان المــسلمين، وكنت فى ذلك الوقت ألاحظ نموهم عن قرب لأننى أعمل أكثر مــن اثنتــى عشرة ساعة يومياً قريباً من رجال الثورة ومعهم ومع من يحيط بهم، أقــول: المهم أن الأستاذ فؤاد جلال ــ وكان وزيراً فى أول وزارة برئاســة محمــد نجيب ــ كان من بين أعضاء "جمعية الفلاَّح" وكان وكيلاً لها. وكنت ألاحــظ فى مناسبات كثيرة أنه يغذى الخلاف بين رجال الثورة والإخوان المــسلمين، ويضخم المخاوف منهم، ويستغل ثقة الرئيس جمال عبدالناصر به ويبث هــذه الأفكار فى مناسبات كثيرة لم يكن يخفيها عنى، لأنه كان يرانى مقربــاً مــن

رجال الثورة وموضع ثقتهم مع ترشيحهم لــى لــبعض المناصــب الكبيــرة المهمة.

ومع تشاورنا كذلك ــ على المفتوح ــ فى الأحوال الجارية حينــذاك مثل مسائل العمال والحركات الشيوعية التخريبية بينهم، بــل مثــل مــسألة الانتقال ومدتها والدستور الذى يصدر فيها".

الحركة الصهيونية العالمية :

ونتحدث عن رأى الأستاذ سيد قطب فى الحركة الصهيونية العالميــة وسيطرتها على المعسكرين الشرقى والغربى، كمدخل لما سيتلوه من حــديث فى باقى آرائه السياسية، لأن هذا الخط هو الذى يحكم ــ فيما أرى ــ رؤيته السياسية، ويعتبر هذا هو منطلق تفكيره فى الحكم على الأمور.

يرى الأستاذ "سيد" أن اليهود، بعد اضطهادهم فى العالم خاصة فــى أوروبا لسنوات طويلة فى القرن الثامن عشر، قد هاجرت أعداد كبيرة منهم، بعضهم اتجه إلى أمريكا ــ وهؤلاء من يهود هولندا ــ ومنهم من اتجه إلــى تركيا، وهم من يهود "الدونمة" الأسبانية الذين هربوا من محاكم التفتيش ومن الاضطهاد المسيحى هناك، ومنهم اليهود الذين خرجوا مــن البرتغــال إلــى غيرها من الأماكن ودخلوا المسيحية واعتنقوها مع احتفاظهم بــدينهم ســراً، وعملوا وخططوا على أن يترقوا داخل المسيحية وداخل الكاثوليكية بالــذات حتى يسيطروا على الحركة المسيحية فى العالم.

وبالنسبة لفريق يهود "الدونمة" ــ وهؤلاء سيأتى الحديث عنهم فيمــا بعد ــ فقد اعتنق جزء كبير منهم الإسلام، مع الإبقاء على ديانتهم اليهوديــة، وهؤلاء كان لهم تأثير كبير فى وضع المخططات للــسيطرة علــى الحركــة

الإسلامية لهدم الإسلام، كما عملوا على السيطرة على المسيحية وتوجيهها لصالحهم.

قال الأستاذ سيد أنهم ترقوا فى المسيحية حتى وصلوا إلى البابوية فى الفاتيكان وأنهم لذلك كانوا قادرين على أن يحركوا الأحداث بشكل كبير، وأن يحركوا الفكر المسيحي وأن يغيروا فيه الكثير ليخدم مصالحهم، وبعد أن أحكموا سيطرتهم على المسيحية استخدموها فى مخططاتهم وحربهم لهدم الإسلام. وقد كانت القوى المسيحية مستعدة لأن تتعاون معهم فى هذا الاتجاه لأنهم يعتبرون أن الإسلام قوى مضادة لهم .. وكان سهلاً عليهم أن يتعاونوا معاً فى ضرب الحركة الإسلامية فى العالم.

وقد بدأ هذا الاتجاه بعمليات التبشير التى تمت فى كثير من الأقطار الإسلامية النائية ولكنها لم تقابل بترحاب من المجتمعات الإسلامية، ووجدوا صعوبة شديدة فى عمليات التنصير التى كانوا يودون القيام بها نتيجة الحركة التبشيرية العالمية التى كانوا يقودونها، ولما تعثر هذا الخط التبشيري تم استبداله بالاستشراف وكان الاستشراف قائماً على أساس هدم ومناوئة الفكر الإسلامى عن طريق بعض الغربيين الذين يعتنق بعضهم الإسلام، أو لا يعتنقه ولكنه يكتب عنه، ومنهم من غالى فى حربه ضد الإسلام بصورة سافرة مثل اليهودى "جب" الذى كتب كثيراً من الكتب التى تعرَّض بالإسلام ديناً وبمحمد شخصية.

ولكن لما كان هذا الخط لا يمكن له أن يؤثر فى المجتمعات الإسلامية فقد تم إتباع أسلوب آخر أكثر دهاء، وهو أن يكتب كتاب فيه الكثير من التمجيد للإسلام .. ولكنه ــ فى طواياه ــ يهدم جزئية صغيرة حتى يبتلعها القارئ دون أن يحس. وهنا كانت الخطورة، واستمر حال المستشرقين على ذلك، وكان الأستاذ سيد يرى أن حركة الاستشراف فى العصر الذي نعيشه تحتاج إلى رصد يقظ من المفكرين الإسلاميين حتى

نعلم الاتجاهات الجديدة التى يسيرون فيها لهدم عرى الإسلام وتفكيك أوصاله.

كان الخط اليهودى الذى هاجر فى بلاد الدنيا، ومنها أمريكا وأوروبا وألمانيا وروسيا وتركيا، يهدف فى المقام الأول إلى السيطرة على تلك الدول سيطرة تامة مستعينين بسيطرتهم على الكنائس المسيحية وتوجيه المسيحيين لخدمة أغراضهم والسيطرة على أفراد آخرين يقومون باعتناق الفكر الصهيوني دون أن يكونوا يهوداً فى مقابل أن ترعى مصالحهم الشخصية.

وكان اتجاه سيطرتهم يقوم على أمرين أساسيين هما : "المال والإعلام"، وقد تم لهم ذلك تماماً فى معظم دول أوروبا وأمريكا، ثم اتجهت سيطرتهم على روسيا بإخراج الفكر الشيوعى عن طريق اليهودى "كارل ماركس" الذى كان يرى أن تطبيق النظرية سوف يبدأ فى إنجلترا، ولكنهم كانوا يريدون أن يحكموا السيطرة على روسيا، والتى لم تكن الأرض السهلة التى قالت النظرية إنها صالحة لأداء مهمتهم فيها، ولكن تم اختيار روسيا لأنهم يريدون السيطرة عليها أيضاً. وتم القيام بالانقلاب الشيوعي عام 1917، وكان الكثير من قادة الانقلاب إما يهودياً، وإما متزوجاً من يهودية، وظلت سيطرة اليهود على المعسكرين الشرقى والغربى هى الأساس فى الفكر العالمي، وكان هذا يُوجَّه توجيهاً كاملاً لحرب الإسلام ومحاصرته وضربه فى كل مكان.

(يهود الدونمة) وسيطرتهم على تركيا :

لما هاجروا إلى تركيا من أسبانيا اعتنق عدد كبير منهم الإسلام، وظل على دينه سراً حتى أن أجيالهم التالية ظلوا يتوارثون أنهم يهود وليسوا مسلمين، وظلوا يترقون فى المجتمع الإسلامى إلى أن صاروا فى صدارته فى كثير من الأحيان. وانتهزوا فرصة ضعف الخلافة العثمانية وهزيمتها فى

الحرب العالمية الأولى، وانتظار إنجلترا تقسيم تركة الرجل المريض ــ كما كانوا يسمونها ــ وبادروا بتقديم خدماتهم إلى الإنجليز بأن سعوا وعملوا على تفتيت الخلافة من الداخل، فقد ساعدوا وساهموا فى تأسيس حركة مصطفى كمال أتاتورك. وكانت حركة علمانية صريحة تبغى دفع المسلمين إلى التقهقر والانهزام وعدم التمسك بدينهم وتراثهم وعاداتهم الإسلامية وتم ــ عن طريق كمال أتاتورك وحزبه ــ مناوئة كل ذلك صراحة ودون مواربة.

ولما قام انقلاب كمال أتاتورك وأثر فى الحياة التركية ــ كما ورد فى التاريخ ــ وتوارى الفكر الإسلامي عن حكم تركيا، بل وتوارى الفكر الإسلامي عن الظهور، حيث كانت كل مقومات الإسلام موضع هجوم، وكانوا ــ ابتداء ــ يهاجمون "حجاب المرأة" ويهاجمون العادات الإسلامية، ويهاجمون الزى الإسلامى، ويهاجمون كل ما يدل على الإسلام وسعوا إلى الدخول فى الأوروبية البحتة الصريحة.

كان لهذا الاتجاه العنيف الواضح الصريح ضد الإسلام فى تركيا رد فعل فى باقى دول الخلافة، رد فعل خائف من تلك الثورة، وقد تقوقعوا على أنفسهم، ورفضوا أن يحذوا حذو ما حدث فى تركيا، فانحصرت هذه الأفكار داخل تركيا نفسها، ولم يتم تصديرها لأن المسلمين فى باقى الدول الإسلامية قد تنبهوا إلى خطر هذا الأمر، وباتوا لا يأخذون من تركيا أى توجيه فكرى، بل ويستنكرون ما حدث هناك.

كان الهدف هو حرث الأرض الإسلامية والسلوك الإسلامى والعادات الإسلامية كاملة فى كل الدول الإسلامية، ولكنهم لم يستطيعوا نتيجة هذا العنف الظاهر والعداء الذى حدث فى تركيا. وعند تقييمهم للأمور تداركوا خطأهم وفكروا فى تغيير الأسلوب عن طريق الزحف البطئ على باقى الدول الإسلامية ليفككوا الإسلام فكراً وسلوكاً وعادات يفككونه ببطء شديد، ثم ينقضون على جزئية جزئية فتنهار تحت أقدامهم.

اليهود وانقلاب يوليو :

ولما فكروا فى بدء هذه الخطة كان لابد لهم أن يبدأوا من مصر، لأن مصر بموقعها وكثافتها السكانية وثقافة أبنائها، مؤثرة فيمن حولها أرادوا أم لم يردوا. وفى أواخر القرن التاسع عشر هاجر إلى مصر الحاخام "حاييم ناحوم" كرئيس المعبد اليهودى المصرى وكشخص مدرب وفاهم جيداً للخط اليهودى المطلوب تنفيذه فى مصر، بعد أن أشرف فترة على تنفيذ هدم الإسلام فى تركيا عن طريق تهيئة الجو العام الذى ساعد على قيام حركة كمال أتاتورك فيما بعد. بدأ "حاييم" فى دراسة وسائل العمل التى سوف يعمل بها، وكان من ذلك أن ساعد الإنجليز فى فهم طبيعة الإسلام وكيفية محاربته، ويتضح ذلك من تقرير السفير البريطاني ــ فى ذلك الحين ــ الذي أرسله إلى حكومته والاقتراحات المحددة التى أوردها لحرب الإسلام، ولتفكيك التمسك الإسلامى. وكان ذلك بالتركيز على المرأة ــ وهى أكثر ميلاً إلى سماع ما يدغدغ عواطفها ــ بأن تتم السيطرة عليها وتوجيه الحديث لها عن طريق دور الأزياء والإذاعات والأغانى العاطفية، والتركيز على كشف الحجاب والسفور. وكان من رأى السفير البريطاني أن المرأة قادرة على أن تمسك بأنف الرجل وتمرغها فى التراب إذا أرادت، وكان هذا هو ما اتفق عليه كأحد الخطوط العريضة فى هدم الإسلام فى مصر. وبالفعل تمت السيطرة إلى حد كبير على المرأة وقامت حركات نسائية داست الحجاب وبدأوا فى الحرية المزعومة ــ كما قال ــ وكانت هذه أحد العمد التى هدموا بها أصلاً إسلامياً.

بعد ذلك عمل الخط الصهيوني فى مصر على استجلاب الممثلين والممثلات "الموارنة" من لبنان ليقيموا قاعدة فى هذا الاتجاه تعمل على هدم قواعد الإسلام وعلى إباحية المجتمع خطوة خطوة، وقد نجحوا فى ذلك نجاحاً كبيراً، وظل الخط ينمو ويتصاعد حتى قرب موعد قيام الثورة وكان ــ كما

قال الأستاذ سيد قطب ــ الترتيب لهذا قد تم بالاتفاق بين الصهيونية ــ التــى اتفقت مع جمال عبدالناصر أثناء حصاره فى الفالوجا ــ وبــين الأمريكــان الذين نفذوا العملية كما خططها الصهاينة.

وكان تنفيذ هذه العملية لقيام الثورة قائماً على أساس النظريــة التــى وضعها مستشار الأمن القومى "والت روستو" وذلك بقيام ثورة من العسكريين فى الدول النامية بما يشبه الاشتراكية، ويكون لها عدة أهداف منها :

أولاً : تشويه سمعة الاشتراكية فى نفوس الجماهير.

ثانياً : أنها ــ فى مصر ــ تعمل على تركيز مقدرات الناس فى يــد الحاكم، فإذا أرادوا خبزاً فالخبز فى يد الحاكم، وإذا أرادوا مالاً، فالمال فى يد الحاكم، ويصبح الحاكم بذلك هو الرزاق الذى يرزقهم وبهــذا يعيــشون فــى شرك مع الله.

وكان هذا هدفاً كبيراً "للانقلاب" الذى قام فى 23 يوليو، بأن يعملــوا على إبعاد الناس عن الإسلام، ولكن بأسلوب آخر غير الذى تم فــى تركيــا. ففى تركيا كانت الحرب صريحة، ولهذا حدث ابتعاد من كثير من المــسلمين، فلم يتقبلوا شيئاً من هذه التعاليم، ولذا قام "حاييم ناحوم" بتطوير الأسلوب بــأن جعله واجهة إسلامية وشعارات إسلامية ونمت هذه الشعارات وتحــت هــذه الواجهة يُذبح المسلمون بسيف مكتوب عليه "لا إله إلا الله محمد رســول الله" وبهذا يكون الخط أكثر مكراً، وأشد إيلاماً فلا يتصور أحــد أن الــذى يهــدم الإسلام مسلم، أو أن الذى يحارب الإسلام مسلم. ولذا فلابد من وقفة شــديدة منتبهة أمام هذا التطور الذى حدث.

لقد استطاعت الثورة أن تقوم بإيذاء شديد للإسلام ومبادئــه وعاداتــه وأعرافه وتقاليده المتأصلة فى النفوس. وبدأت تحاربها واحدة واحدة، حتــى نالوا من الإسلام ككل، وحتى ضعف الإسلام فى النفوس. وحتى بات النــاس

يعبدون الله وهم هياكل لا روح فيها. وكان هذا هو المطلوب: أن ينسى الناس إسلامهم ودينهم ويصلوا إلى الحد الذى يكونون فيه أقرب ما يكون من "أهـل الكتاب" الذين ضيعوا دينهم قبل ذلك من اليهود والنصارى.

كان لخطة عبدالناصر فى هدم الإسلام فى مصر أثر كبيـر وخطـر على الحركة الإسلامية. فكان أساس خطته هـو عـزل جماعـة الإخـوان المسلمين عن التأثير فى المجتمع بضربهم وسجنهم، وبذلك يتم عـزلهم عـن التفكير فى الناس لتصحيح مسارهم الإسلامي، وهذا يُخلَّى بينه وبين المسلمين فى أن يقوم على إفسادهم وإضلالهم أكثر وأكثر. وكانت خطتـه فـى هـدم الإسلام قائمة على هدم اقتصاد مصر أولاً .. حتى لا تكون هنـاك ثـروات تساعد فى نشر الدعوة أو تقوَّى شوكة المـسلمين. وكـان ذلـك بالتـأميم، ومصادرة أموال الناس، ووضع الحراسات عليهم، بل إن الأمر تعـدى ذلـك إلى هدم اقتصاد البلد فى كل شئ، وعلى سبيل المثال ــ فإن منطقة كمنطقـة حلوان التى لو كانت موجودة فى أى بلد من بلاد الدنيا لاعتبروهـا منتجعـاً سياحياً للاستشفاء، ونظموها وجملوها، واستفادوا من جوها. ولكـن رجـال الثورة ــ بدلاً من أن يفعلوا ذلك ــ مـلأوا حلـوان بالمـصانع والمـداخن والأسمنت والتلوث وبذلك حطموا ودمروا ما وهبه الله لمصر من أسباب كان يمكن أن يستفاد بها وتستغل لإيجاد دخل كبير ولإصلاح أحوال البلد.

أخلاق يوليـو :

أما من الناحية الأخلاقية فقد حدث أنهم ساعدوا على اختلاط المـرأة بالرجل واختلاط الفتاة بالشاب، وأقاموا المعـسكرات فـى الجامعـة وهـى المعسكرات المختلطة بين الجنسين والتى كانت تحدث فيها مهـازل كثيـرة. وكانوا يأخذون الفتيات لإقامة المهرجانات الرياضـية فـى أعيـاد الثـورة وغيرها. وكانت الفتيات تتغيبن عن منازلهن ويعشن مع الشباب ليلاً ونهـاراً

بلا رقيب ولا حسيب ولكن بتشجيع من الدولة على أن يعشن دون وازع من خلق ودون رقابة أخلاقية عليهن، حتى لقد وصل الأمر إلى أكثر من ذلــك .. فمعهد التربية الرياضية للفتيات كان يعطى الفتاة شهادة تفيــد بأنهــا فقــدت بكارتها أثناء التدريب، ولك أن تتصور ما تفعله هذه الشهادة فى عقل الفتــاة، فقد جاءتها "الرخصة" لكى تعيش كيفما تشاء ولكى تفعل ما تريد.

بدأ رجال الثورة أيضاً فى نشر المصانع فى كل مكان، خاصة فــى الأماكن الريفية حتى تدخلها الفتيات والنساء للعمل ليلاً، ويتــركن بيــوتهن، يعتاد الرجل أن تبيت زوجته خارج المنزل، وكان لهذا الأثــر الكبيــر فــى القضاء على البقية الباقية من العادات والأخلاق الإســلامية والتــى بــدأوها "بالمرأة" كما خطط لهم من قبل. كما جاء فى كتاب المستشرق "ولفريد كانتل سميث" والذى يحمل اسم "الجمهوريات العربية اليوم" والذى قــال فيــه: "إن المجتمعات القبلية هى أشد استمساكاً بالدين عن المجتمعات الــصناعية، وأن المجتمعات الصناعية هى أكثر تحرراً وبعداً عن الأديان". لذا فقد كانت هــذه إحدى التوجيهات التى سار عليها رجال الثورة فــى أن يحولــوا المجتمــع الزراعى المصرى إلى مجتمع صناعى لحرث ما تبقى من الدين فى نفــوس الناس. وقد ساعد على ذلك الخط الاشتراكى مع التصنيع فى الريف مع الخط الإعلامي الذى يدعو إلى الحرية والتحرير، مع خروج المرأة وسفورها، مع انتشار الموضة عن طريق دور الأزياء، وتوجيه الحديث فيها إلــى المــرأة بتكثيف شديد حتى تعتاد أن تطيع دور الأزياء، وهى بذلك جعلــت طاعتهــا لغير الله. وهى بذلك دخلت فى دور الشرك، إذن فقد كانــت الأمــور كلهــا مخططة ومدروسة دراسة كاملة حتى يحيطوا بالعادات الإسلامية والأخــلاق الإسلامية ويفتنونها من كل جانب.

نخلص من هذا كله إلى أن الخط الصهيوني قد أمسك بتلابيب مــصر وساقها إلى القدر الذى رسم لها، دخلت فى حيز النفوذ الصهيونى عن طريق

ما يسمى بالوطنية المصرية والوطنيين المصريين الذين لهم ارتباطات صهيونية وأمريكية مشبوهة، وأن اليهود قد قالوا فى كتابهم "التلمود" : "لابد أن نفسد الأممين حتى يصيروا كالحمير نركبهم، وكلما نفق حمار استبدلناه بحمار غيره". كان هذا هو ما يحدث فى مصر، وكان هذا هو نما يحدث مع الحكام والقادة الذين يستبدلونهم حسب أهوائهم وحسب ظروفهم فى تنفيذ مخطط الإفساد ضد الإسلام.

خطة للعمل الإسلامي :

وبعد أن وصل المجتمع إلى ما وصل إليه من ارتكاسة ومن ركون إلى الفساد ومن تضييع لبقايا الدين، كان هذا سبباً فى الحكم عليه أن أصبح مجتمعاً جاهلياً بَعُد عن دينه وفرط. وكان لابد من إعادة بعث الإسلام فى النفوس مرة أخرى، وكان لابد من وضع خطة للعمل الإسلامي قائمة على المنهج القرآنى وعلى فعل الصحابة، وكان هذا المنهج يقوم على الآتي :

الدعوة وانتقاء أعداد من الأفراد لتربيتهم تربية إسلامية متكاملة ــ كما حدث مع الرسل عليه الصلاة والسلام فى مكة ــ وأعنى بإسلامية أنها تربية ثقافية وفكرية وروحية وعبادية وتدريبية عسكرية إلى جانب بنائها الاقتصادى أيضاً، وكل ذلك كان لابد أن يتم فى مجموعة أولى تأخذ حظها من التربية، وكان مطلوب ألا نجهر بعدائنا للمجتمع الجاهلى وألا نخبرهم برأينا فيهم حتى لا يبتعدوا عنا، ونستطيع أن ننتقى منهم الصالح للتربية.

ولما تحدثنا مع الأستاذ سيد قطب عن أن المسائل العسكرية لم تبدأ فى مكة ولكنها بدأت فى المدينة، رد بقوله : "إن حمل السلاح والمهارة فى

استعماله أمر مفروغ منه ابتداء كجزء من أجزاء التربية. أما استعماله فى عمل عسكرى، فهذا أمر يأتى وقته بعد النضج وبعد اكتمال التربية المطلوبة.

وكان من رأى الأستاذ سيد أن هذه الفترة ينبغى أن تأخذ وقتها وألا يتم استعجالها، وبعد أن تتم تربية هؤلاء الأفراد من كل الجوانب يبغى أن ينتقى منهم عدد كبير يتم التركيز على أن يكونوا فدائيين أو يربوا تربية عسكرية معينة حتى يكونوا حماة للحركة التى تقوم، وحتى يقوموا بعمل انتقامى ضد من يحاول أن يحارب هذا الاتجاه الإسلامى، وهذه الحركة الإسلامية لأنه كان يرى أن من أخطاء المسلمين أنهم فى كل مرة يُضْرَبَون ولا يردون على ضربهم بحركة انتقامية، وهذا مما "أطمع" فيهم الحكومات المتتالية ودأبت على ضربهم وسجنهم دون أن يحركوا ساكناً.

فى هذه المرحلة ينبغى على الأفراد المنتظمين فى الحركة أن ينفصلوا شعورياً عن المجتمع وألا يشاركوه فى شئ بينهم وبين أنفسهم، ولا يجهرون بذلك حتى يكتمل نضجهم وتتم تربيتهم، وتتم توسعة رقعتهم وزيادة أعدادهم على قدر الإمكان، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة أخرى هى مرحلة "المفاصلة" وهى أن يقف رجالات هذه الدعوة "ويفاصلوا" المجتمع ويقولوا إن هذا طريقنا وهذا طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم ومن وقف ضدنا، فقد حكم على نفسه بالكفر، ولكل أن يتخذ ما يراه من موقف فى هذه الحالة ويحن يفصل الله بين الطرفين، بشئ أو بآخر. فإما أن ينصر الفئة المؤمنة وتأخذ بزمام الأمور، وإما أن يكون العكس ويكون فى قضاء الله أن تُذبح هذه الفئة المؤمنة، كما حدث لأصحاب الأخدود الذين "فاصلوا" قومهم، ثم قضى عليهم عن طريق دفنهم فى الأخدود كما جاء فى القرآن الكريم.

كان هذا هو الخط الذى يراه الأستاذ سيد قطب للحركة الإسلامية وللدعوة الإسلامية، وإنه لابد أن يكون مستوحى من روح الإسلام ومن فعل الرسول والأنبياء من قبله، وقال: إن هذا كان خط الأنبياء جميعاً فقد قاموا بهذا إذ دعوا إلى الله وجندوا جنودهم، وحبذوا الدعاة، ثم أتت المرحلة التى "فاصلوا" فيها قومهم، فقد فعل ذلك نوح وإبراهيم وموسى .. وهكذا فعل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا أهل مكة .. وأتت مرحلة "المفاصلة"، ففاصل قومه، وهاجر بالمستضعفين من المسلمين إلى المدينة وأراد الله لهم التمكين وأراد لهم النصر، وكان هذا العدد القليل الذى رُبَّى فى مكة هو الذى يحرك الأمور طوال فترة الحكم الإسلامى والخلافة الإسلامية، وأن هؤلاء الأفراد كانوا هم الذين يدعوهم الرسول حين تشتد الظلمة وتشتد المحنة، ويختلط الأمر على الناس، فكان ينادى : "يا أصحاب البيعة يا أصحاب البيعة" .. وكانوا يتدافعون إليه ينصرونه لأنهم قد لقوا قدرهم من التربية والاهتمام، وكانوا قادرين دائماً على تصحيح مسار الدعوة فى هذه المرحلة، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فى نصرة أبى بكر ضد من ارتدوا، وبهذا فإنه يرى أن هذا هو الخط الأساسي فى تربية الأفراد وفى نشر الدعوة الإسلامية دائماً.

فقه الحركة :

وإضافة لذلك كان الأستاذ سيد قطب يرى أن للحركة الإسلامية قواعد وأحكاماً فقهية مختلفة كثيراً ــ وفى كثير من الحالات ــ عما هو مقرر فى الفقه الإسلامى العادى، وسمعنا منه لأول مرة تعبير "فقه الحركة". وكان يقول أحكاماً قائمة على فقه الحركة مخالفة ــ إلى حد ما ــ الأحكام

العامة. وفى كتابه الذى لم ينشر : "معالم الطريق ـــ الجزء الثاني" كان يفــرد جزءاً كاملاً "فقه الحركة" ولكنه عندما أخذ فى رأيي فى نــشر هــذا الكتــاب رجوته ألا ينشره، لأنه سيثير انقسامات واختلافات كثيرة، وسيثير الدنيا علينا وسيقولون إن سيد قطب ابتدع فى الإسلام بدعة، ووافق على رأيي ولم ينشر الكتاب، ولا أعرف مصيره بعد ذلك.

وقد أخبرنا الأستاذ "سيد قطب" أن هذه الرؤية قد اتضحت لــه أثنــاء وجوده فى السجن عندما اعتقل عام 1954، وحكم عليه بعشر سنوات قضاها فى السجن، وكان يتأمل ما حدث، ورافقه فى هذا التأمل الأستاذ محمد يوسف حواش ــ الذى أعدم فى أحداث 1965 ــ وشاركه فى الــرأى. وقــال: أن الأستاذ محمد يوسف حواش يجب أن نعتبره الشخص الثانى بعده فإذا أصــابه مكروه فلنلجأ إليه، وأنه هو ــ تقريباً ــ الفكر نفسه والرأى نفسه والمــشورة نفسها.

وقال الأستاذ "سيد" إنه حين رأى هذا الفكــر وقدمــه للإخــوة فــى السجون حدثت خلافات شديدة بينه وبينهم، ومنهم بعض الشباب الذين رفضوا التعاون معه فى هذا الأمر، ومنهم من التقى معه على هــذا الفكــر. وذكــر بعض الأسماء التى وفقته، وبعض الأسماء التى عارضــته، وكــان بعــض الإخوة قد انتظموا معه فى تنظيمى سُمى "تنظيم السجون" وكان علــى قمتــه الأخ "محمد الطوخى" بعد الأستاذ "محمد يوسف حواش". ولكن لمــا اختلــف معه من اختلف لم يقولوا : "دعنا نحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله .. ولكنهم قالوا نحتكم إلى رسائل الأستاذ البنا".

ورأيت أنا فى ذلك شططاً كبيراً فالمفروض أن يكون الحكم فـــى أى خلاف بين المسلمين هو الكتاب والسنة، وليس رسائل الأستاذ البنـــا، لأنهـــم بذلك قد أخرجوا الأستاذ البنا ورسائله عن حدودها كرسائل داعيـــة وكفكـــر داعية إلى حدود أكبر بكثير من ذلك. وفى هذا بداية من التأليـــه والانحـــراف التى كنت ألمحها أحياناً وتتوارى أحياناً أخرى.

وقد ورد هذا المعنى على لسان الأستاذ سيد قطب فى كتابـــه "لمـــاذا أعدمونى" صفحة 36 حيث قال: "هؤلاء الـــذين حـــضروا مـــن القنـــاطر ــ وسمعوا منى ما ينبغى أن يكون عليه مـــنهج الحركـــة الإســـلامية وســـمعوا مفهوماتي العقيدية الصحيحة، ومدى بُعْد المجتمعات الإسلامية اليوم عنها بمـــا فيها المجتمعات الإسلامية التقليدية ذاتها ــ ليسوا كلهم من سن واحدة ولا من ثقافة واحدة، فعدد منهم عمال، وعـــدد مـــنهم طـــلاب متفـــاوتو المـــستوى والاستعداد، كما أن بعضهم أقام أياماً لقينى ساعة أو ساعتين فـــى المجمـــوع وبعضهم أقام أسابيع وبعضهم أقام شهراً طويلاً، لذلك كله اختلفـــت الـــصور التى نقلوها لإخوانهم فى القناطر، وبعض هذه الـــصور كانـــت مـــشوهة أو مبتورة، وبعضها كان كاملاً وصحيحاً، مما جعل المسئولين عنهم فى القناطر يختارون من بينهم مجموعة من خمسة أو أقل أو أكثر تشرف على شـــئونهم فترة من الزمن حتى تتعب فيختارون غيرها. تطلب منى أسماء مجموعة من الكتب تكون مراجع لدراسة الإخوان لأن الكتاب ينقل الفكـــرة نقـــلاً كـــاملاً صحيحاً، فكتبت لهم أسماء نحو أربعين كتاباً اختاروا هم من بينهـــا بعـــضها وأضافوا بعضاً آخر، وجعلوها برنامجاً ثقافياً تدرسه فيما بينها "أسر" بقدر ما يسمح نظام السجن. والأسرة ــ عادة ــ سكان زنزانة فيما أظن، ولا أعرف على وجه الدقة تفصيلات ذلك، ولكن هذا لم يضع حداً للمشكلة التـــى نـــشأت

من رفض مجموعة منهم أن تتلقى أفكاراً أو تدرس برنامجاً لم يأت من الجهة الشرعية فى الجماعة، وهم الباقون من أعضاء مكتب الإرشاد فى السجون، وكانوا إذ ذاك فى الواحات.

"وفى خلال الفترة من 62 إلى 64 انتهت الحال إلى أن تكون المجموعة التى فى القناطر وعددها حوالى المائة مصنفة كالآتي :

حوالى "25" اندمجوا فى الدراسة، وأصبحت لهم مفهومات واضحة فى العقيدة الإسلامية، وفى منهج الحركة الإسلامية، وحوالى "23" آخرين يعارضون تماماً هذا الاتجاه، ويرفضون مبدأ السماع إلا من قيادة الجماعة فى الواحات، وحوالى "50" يدرسون ولكنهم لم يصلوا إلى الوضوح الكافى، وهم فى الطريق، إلى أن انتهت مدة سجن الجميع وخرجوا خلال عام 1965.

وفى مقدمة الذين يعتبرون قد درسوا وفهموا: مصطفى كامل، ورفعت الصياد، وسيد عيد، وفوزى نجم، والطوخى، وصبرى عنتر، وعبدالحميد ماضى، ولا أملك تذكر كل الأسماء لأنى أعتمد فيها دائماً على ذاكرة الآخرين، ويمكن الاستعانة بذاكرة الأخ "حواش" أو الأخ "الطوخى" أو الأخ "فوزى نجم" ليذكرنى بهذه الأسماء فهم يعرفونها معى.

وفى مقدمة الذين عارضوا بشدة وأثاروا ضجة: "أمين صدقى، وعبدالرحمن البنان، ولطفى سليم، وعبدالعزيز جلال والبقية يتذكرها الأستاذ الطوخى أو فوزى نجم أو مصطفى كامل"، انتهى كلام الأستاذ سيد قطب.

وفى هذه الصفحة نرى أن جزءاً منهم رفض حتى أن يسمع إلا من قيادة الإخوان. وهذه نقطة مهمة جداً داخل جماعة الإخوان، فهم يرون دائماً أن الفكر – حتى الفكر – لا ينبغى أن يقتربوا منه إلا بإذن الجماعة.

والقول بعصمة الأئمة غير معروف بين جمهور المسلمين من أهل السنة فمذهبهم أن القائد أو الحاكم يجئ من أية طبقة وأنه – فى موضعه العالى من تصريف الأمور – يجوز عليه أن يخطئ وأن يصيب، وأن نصحه – إذا أخطأ كمؤازرته إذا أصاب واجب على الأئمة.

وهذه إحدى النقاط المهمة التى ينبغى الوقوف عندها جيداً، لأنها تعتبر وصاية على الفكر أو حجراً على الفكر أو محاصرة لفكرة الشخص ألا يتلقى ولا يسمع ولا يقرأ إلا من خلالهم، وبهذا تكون الشخصية موضوعة فى قالب محدد، وينبغى أن يخرج الإخوان من هذه النظرة، وأن يدرسوا، وأن يناقشوا، وأن يكون لكلٍ فكره الواضح الناضج الذى يشكل شخصيته هو، وأن الإسلام إذا كان قد تميز بشئ فقد تميز بحرية الفكر وحرية الاعتقاد داخل الإطار العام الذى حدده كتاب الله الكريم والسنة الشريفة وترك للإنسان أن يجتهد وأن يدرس وأن يفكر ما شاء له الفكر ما دام فى حدود الإطار الشرعى العام للإسلام.

ثم انتقل لمقالة أخرى قالها الأستاذ سيد قطب وهى أنه أثناء وجوده فى أمريكا للدراسة فوجئ بأن كتابه العدالة الاجتماعية فى الإسلام، وكان يطبع فى مطبعة المنياوى التى كانت فى أول شارع الجيش، وكانت قد وصلت أول نسخة منه خرجت من المطبعة إلى إحدى جهات النشر الأمريكية

المشبوهة. وقد دعوه إلى أن يتعاون معهـم، وعرضـوا عليـه أمـوالاً، أو مشاركة فى دار نشر .. أو .. أو .. إلخ .. عروضاً كثيرة مغرية حتى يـتم تجنيده لحساب الأمريكان، وحتى يكون أحد الذين يسيرون فى الفلك، ولكنـه رفض ذلك بشدة، وكانت نظرته إلى الناشر الذى أرسل هذه النسخة أنه كشف نفسه وعرف أنه عميل لتلك الجهات. وكان يرى أن الـسبب الرئيـسى فـى القبض عليه عام 1954، وفى الحكم عليه بعشر سنوات هو هذا الموقف الذى وقفه من أمريكا، ورفضه للتجنيد فى صالح مخططاتهم، وأن هذا كـان أحـد أنواع الانتقام التى حدثت ضده، وكان يرى أنه فى المرة القادمة سوف يُعـدم لأنهم لن يتركوه ولن يقبلوا أن يرفضهم مفكر.

سقوط القدوة :

تم الاتفاق على أن يكون ما سبق هو الخط الفكرى العام للتنظيم الذى نحن بصدده، وأن نبدأ فوراً فى إعادة تشكيله وصياغة أفكار الناس ــ الإخوة المنتظمين معنا ــ حسبما قال الأستاذ سيد قطب وما رآه. وقد اقتـرح علينـا مجموعة من الكتب نبدأ بها ومنها على سبيل المثال : "هل نحـن مـسلمون، العدالة الاجتماعية فى الإسلام، معالم فـى الطريـق، الغـارة علـى العـالم الإسلامى، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر "للدكتور محمـد حـسين"، العقائد، الإسلام فى طور جديد "للأستاذ البنا"، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه "للأستاذ عبدالقادر عودة".

وكان سيد قطب يرى ــ بعد أن سألنا عن عدد الأفـراد الـذين فـى أيدينا وأخبرناه أنهم حوالى ثلاثمائة ــ كان يرى أن سـبعين مـنهم ــ علـى

الأقل ــ سيكونون قادة مبرزين أو إيجابيين أكثر. وقال: يجب أن نبحث عن هؤلاء السبعين وأن نعمل على إعطائهم جرعات أكثر من الفكــر، وأن نبــدأ بتدريب هؤلاء تدريباً خفيفاً، حتى يكون ذلك بداية لتأهيلهم فى أن يكونوا قادة العمل الذى نحن بصدده فى المستقبل القريب.

تمت إعادة تشكيل المجموعات، وكانت المجموعة بــين ثلاثــة إلـــى خمسة أفراد، واتفق على أن يكون لكل خمس مجموعات قائد، وكل قائد على علاقة مباشرة برئيس المنطقة التى يقوم بالعمل فيها، وبهذا نتمكن من عــزل أى مجموعات يتم كشفها أو القبض على أحد أفرادها بتهريب المسئول عــن هذه المجموعات، وبهذا لا يتم كشف التنظيم كله، كما كان يحدث ســابقاً فـــى أغلب تنظيمات الإخوة "الهرمية" التى كانت إذا اعتقــل أحــد الأخــوة يــتم الاعتراف على باقى التنظيم ومعرفة كل أفراده بسهولة شديدة.

وبدأ العمل فى تجنيد مجموعات جديدة من الشباب المتحمس للإسلام، وكان من أقرب المجموعات إلينا، تلك المجموعــة المندمجــة فـــى جماعــة "الدعوة والتبليغ" وكان من السهل إقناعهم بأننا نعطيهم أكثر، وأن هــذا هــو الخط الإسلامى المتكامل الذى ينبغى أن يسيروا فيــه، لأن جماعــة الــدعوة والتبليغ ــ كما قلت من قبل ــ كانوا ينكرون الجهاد، ويــضعون بــدلاً منـــه مسألة الخروج فى سبيل الله ثلاثة أشهر فى السنة للــدعوة إلـــى الله، وأنهــم يعتبرون ذلك هو الجهاد المفروض، أما الجهــاد بمعنــاه الــشرعى فكـــانوا ينكرونه حرصاً على رضاء الحكام عنهم وحتى لا يصطدموا بالــدول التـــى يعملون بها، فكانوا يرون أن هذا أكثر أمناً لهم فى الحركة، ولكنهم وقعوا فى محظور شديد وهو تضييع مبدأ مهم من مبادئ الإسلام.

وعلى سبيل المثال، كان من بين الإخوة الذين دخلوا فى هذا الطريق مجموعة كبيرة من كلية الهندسة، شباب متحمس للإسلام، ومجموعات أخرى فى كل المجالات، وقد التقيت فى تلك الفترة بأمير جماعة "الدعوة والتبليغ" "فريد العراقى" ــ وكان على معرفة بي من قبل ــ أيام كان رئيساً لقسم الطلبة فى الشرقية وكنت أنا فى ميت غمر، والتقينا مرتين قبل أن يسافر إلى المغرب ويلتقى بجماعة الدعوة والتبليغ هناك، ويعتنق فكرهم ويعود إلى القاهرة، داعياً إلى هذا الفكر ومنظماً لحركتهم ــ التقيت به عدة مرات، وتناقشنا فى مثل هذه الأمور الخلافية بيننا وبينهم، وكان اقترابى منهم إلى حد كبير لمجرد أنهم "حقل جيد" يُعد الشباب الذى أريد، واقتطف منها ما أشاء من الأخوة وأجندهم فى تنظيمنا، وأكمل لهم فكرهم حسب خطتنا، وحسب فكرنا المتكامل.

بعد ذلك قابلت مجموعة من الطيارين كانوا حول الأستاذ أحمد رائف أيامها كان يدعو إلى حزب التحرير الإسلامي ــ كما فهمت من لقائى به ــ كنا قد اصطدمنا بهذا التيار من قبل، فلما وجدته قد ظهر من جديد التقيت بهؤلاء الطيارين وحدهم وأفهمتهم أن هذا ليس هو الطريق السوى، وتم انتظامهم معنا فى تنظيمنا، وقد كانوا أحد العوامل المفيدة جداً فى نقل الرسائل إلى الخارج دون أن تمر على الرقابة، أو يُخاف من فتحها، فكنت أكتب الرسالة إلى السعودية أو إلى أى مكان آخر، وأعطيها لأحد هؤلاء الطيارين، فيأخذها معه ويلقيها فى بريد الدولة التى يذهب إليها، فتأخذ وجهتها التى نريد.

كان هذا هو الخط الذى عملنا فيه، إلى جانب أنه فى هذه الفتـــــرة كان يوجد كثير من الشباب يذهبون إلى المساجد طـــالبين الهدايـــة بالإســـلام والمعرفة به، وكان هؤلاء الشباب أحد الحقول الخصبة التـــى ذهبنـــا إليهـــا وجنـــــدنا أعداداً كبيرة منهم، بالإضافة إلى بعــض الجماعـــات الإســـلامية الأخرى التى تعمل فى الحقل الإسلامى، وقد تمكنا أن نستقطب أعداداً مـــنهم لتجنيدهم فى التنظيم.

رسل من الدول العربية :

جاءنا بعض الرسل من الدول العربية والإسلامية أوجزهم فيما يلي :

رسولان من العراق اتصلا بى وأخبرانى نهما قد قابلا الأستاذ فريـــد عبدالخالق والشيخ محمد الغزالي، وأنهما بتوجيه من قيادتهما جاءا إلينا، ولـــم يكشفا أمرنا ــ كما أمرتهما قيادتهما ــ عند الأستاذ فريد، لأنهم علمـــوا أنـــه ضد أى تحرك فى المرحلة الراهنة، وكانوا يخالفونه فـــى الـــرأى، لأن لهـــم منهجاً خاصاً بهم يخالف السكون والسلبية التى كان الأستاذ فريد يعمل لهـــا. وطلبا منى أن أوصلهما بالأستاذ سيد قطب، فحددت لهما موعداً، وذهبنا إلـــى بيته فى حلوان، وجلسنا معه يوماً كاملاً، وشرح لهما الفكر العقيدى وأوجـــز لهما الفكر السياسى للحركة، ومنهج الحركة، وتـــصوره لمـــستقبل الحركـــة الإسلامية. ثم طلب منهما أن يلتقيا مع الأستاذ "محمد قطب" الذى شرح رأيـــه فى الاستشراف والمستشرقين، ودورهم فى محاربة الإســـلام عـــن طريـــق الكتب، ومحاولتهم إلقاء الضوء على كل النقط السلبية وتوسيعها، وأنهم لهـــم أساليب ماكرة فى بلوغ أهدافهم فى حرب الإسلام.

وخرجا من عند سيد قطب وجلسا معى، وأخبرانى عن عدة أمــور، ومنها طريقة التنظيم الذى يتبعونه هناك، سألانى عما نفعل فيما اعتقلوا مــن قبل، فقلت لهما : إننا نستبعدهم من أى تنظيمــات ســرية .. وتوكــل إلــيهم الأعمال العلنية بعد أن أصبحوا "ورقة محروقة" ولا يمكن الاعتمــاد علــيهم، لأنهم لو دخلوا فى تنظيمات سرية فــسوف يكــشفونها لأن رجــال الأمــن سيكونون خلفهم.

وشرحا لي ما يفعلونه فى العراق بهذا الخــصوص، وقــالا: إنهــم يلحقون الشخص الذى قبض عليه بأحد الأحزاب الأخرى ــ ولــتكن أحزابــاً ضد التيار الإسلامي ــ ويجعلونه يظهر بنشاط كبير فى تلك الأحزاب، كــأن يدخل الشيوعية مثلاً، أو البعث، أو مثل هذه الأحزاب التى كانت قائمــة فــى العراق وقتها، ثم يقوم بدور كبير حتى يُسجَّل له أنه انتقل من الإخوان إلــى البعث أو إلى الشيوعية، أو .. أو .. وعندها ينقطع عن النشاط نهائياً، ثم يبدأ بالعمل السرى مرة أخرى مع الإخوان، وبهذا يكونون قد "غطوا" هــذا الأخ وقاموا بحمايته مرة أخرى وضللوا أجهزة الأمن من أن تتبع خطاه.

كان الإخوة فى العراق ــ كما قالا لي ــ حريصين علــى انتخــاب مرشد من خارج مصر، وكان الرسولان فى أشد الإلحاح أنه ليس من العــدل أن يكون المرشد دائماً من مصر، لأن بقية الدول العربية فيها كفاءات كثيــرة وعلى درجة عالية، وأن استئثار المصريين بأن يكون المرشد منهم يوجد أذى وخللاً فى طبيعة التكوين عندهم. وقالا: إن لديهم أخاً فاضــلاً فــى مــستوى الأستاذ البنا، ولكنهما رفضا أن يفصحا عن أسمه، وقالا: أنهما يرشــحانه أن يكون المرشد وأنه قد آن الأوان أن يخرج المرشد من دولة أخرى غير مصر

.. وأنهم سوف يعملون لتعبئة الإخوان فى الخارج لأن يتقبلوا هـذا التغييـر الذى لابد أن تقبله مصر ويقبله المصريون ايضاً.

بعد سفر الأخوين العراقيين، جاءنا مندوب فلسطيني يـدعى "هـانى بسيسو" وقد جاء برسالة من الأستاذ "مأمون الهـضيبي" ـــ وكـان وقتهـا مستشاراً فى محكمة غزة التابعة لمصر ــ وطلب منا أن نوصل مبلغـاً مـن المال لمنزل الأستاذ الهضيبي، وتناقش معنا فى أمور خاصة بالدعوة، وأبدى استعداداً طيباً أن يتعاون معنا فى المستقبل القريب، ولم يحدث بيننـا وبينـه أكثر من ذلك، واعتقل هنا بعدها، وتوفى بالسجن.

بعد ذلك أخبرني الأخ "مبارك عبدالعظيم" عن وجود مجموعـة مـن إخوان تركيا، وعجبت حين سمعت أن هناك تنظيماً للإخوان فى تركيا، لكنى عرفت أنه تيار إسلامى متحمس لأن يقيم تنظيمات علـى غـرار الإخـوان، وأنهم جاءوا إلى مصر طالبين العـون والإرشـاد: كيـف يبـدأون، ومـاذا يدرسون، وكيف ينظمون أنفسهم، وكانوا شديدي الحماسة للعمل من جديد فى تركيا.

والحقيقة أنه خوفاً عليهم ــ وكنت شديد الحرص ألا نكشفهم لعلمـى أن الأمور فى تركيا ليست من السهولة بمكان ــ فقد طلبت من الأخ مبـارك عبدالعظيم أن يظل هو على اتصال بهم، وألا يوصلهم بأى أحد من الإخوان، وأن يعطيهم كشفاً ببعض الرسائل والكتب التـى علـيهم أن يدرسـوها، وأن يفهمهم كيف ينظمون أنفسهم، وكيف يعملون دون أن تكون لهم أدنى صلة بنا فى الوقت الحاضر، حرصاً عليهم وعلينا، فتركيا مـن الأمـاكن الخطيـرة والاقتراب منها لابد أن يكون فى حذر وعلم شديدين. وانتهى الاتصال بهـذا

الشكل، وقد أعطاهم الأخ مبارك هذه الكتب، وطلب منهم العـودة علـى أن يعملوا وحدهم، وأن يتابعوا الاتصال بنا مرة كل عام أو نحو ذلك.

وفى هذه الأثناء جاءنى مندوب من السعودية، سودانى الجنسية اسمه "تاج السر محجوب" يحمل رسالة من الإخوة هناك، وكانت هذه الرسالة بنـاءً على ما اتفقنا عليه حين كنت أؤدى فريضة الحج، فقد أخبرونى أنهم بـصدد جمع السلاح الذى طلبناه وأنهم قد أرسلوا لشرائه من جنوب السودان. وكانت هناك جزئية أخرى أثاروها وهى أنهم طلبوا منا الانتظام أكثر فـى رسـائلنا حتى يكونوا على علم بما نحن فيه، ونكون نحن على علم بما هم فيـه، وأن ننسق الأمور بيننا بالشكل المناسب.

كان من بين ما جاء به المندوب السودانى رسالة غاضـبة مـن الأخ "محيى" لأنه اكتشف أن هناك خطاباً أرسلته الحاجـة زينـب الغزالـي إلـى الأستاذ سعيد رمضان .. وكان محيى قد اتفق معى علـى ألا يكـون هنـاك اتصال بالخارج إلا من خلال القناة الموصلة بينى وبينهم، وألا يقوم أى أحـد آخر بالاتصال بالخارج، وكنت قد أوضحت هذا الأمـر للإخـوان جميعـاً، وللحاجة زينب الغزالي وللشيخ عبدالفتاح إسماعيل، لكن الحاجة زينب كانـت على علاقة وطيدة بالأستاذ سعيد رمضان، ولم تستطع أن تخفى عنه ما نحن فيه، ذلك لأنه كان قد أمدهم ببعض المال ــ كما ذكرت من قبل ــ ولذا فإنها كانت ملتزمة ــ على ما يبدو ــ بأن تخبره بكل ما يجرى عندنا فى مصر.

وفوجئت بأن الرسالة التى أتت من السعودية بها صـورة للخطـاب الذى أرسلته الحاجة زينب إلى الأستاذ سعيد رمضان، وبالطبع لا أدرى كيف حصلوا على هذا الخطاب، وصوروه ثم أرسلوه لي. ولما قرأته وعلمت مـا

فيه أحسست بضيق شديد فهذا أمر خطير بالنسبة للتنظيمات السرية وغير مسموح به على الإطلاق.

أخذت الخطاب وذهبت للأستاذ سيد قطب وطلبت مقابلته دون موعد سابق وقابلنى، وقرأ الخطاب وأبدى إعجابه الشديد بالإخوة فى السعودية، وقال: إن هذا دليل على أنهم منظمون جداً، وأنهم على كفاءة عالية من العمل، ووعد بأن يتولى هو إصلاح الموضوع مع الحاجة زينب، وأن يجعلها أكثر التزاماً، وقال: إن علينا أن "نتركها" له، وأنه سيتصرف معها بالشكل الذى يراه، وطلب مني ألا أخبرها بذلك.

والحقيقة أننى صرت أتحفظ معها ولا أخبرها بكل ما عندنا من أمور، بعدما أحسست أن أسرارنا من الممكن أن تتسرب فى اتجاه لا نريده، خاصة أنه ــ فى هذه الفترة ــ قد صدر قرار من الأخر "مناع قطان" ــ المسئول عن الإخوان فى السعودية ــ بفصل الأستاذ سعيد رمضان من الجماعة، وكانت هناك محاولات من الأستاذ عبدالبديع صقر، لإعادته مرة أخرى وكان حوله الكثير من اللغط والأقاويل التى كان من الأولى البعد عنها والتزام الحذر.

مفاجأة أخرى من مكتب المشير :

أعدنا بناء التنظيم بالشكل الذى اتفقنا عليه ــ والذى أوضحته فيما قبل ــ ظلت اجتماعاتنا ومتابعاتنا للأمور فى كل المحافظات تتوالى وتسير بخطى وئيدة، وكنا كل يوم نكسب أرضاً جديدة وإخواناً جدداً. وكانت لقاءاتنا مع الأستاذ سيد قطب تتوالى أسبوعياً، وفى بعض المرات كان يقابلنا فى

القاهرة فى أحد البيوت التى أعددناها لهذا الغرض. وأثناء ذلك ــ كما قلت ــ حدثت عدة تغييرات فى القيادة، فبعد أن سافر "عوض عبدالعال" منتدباً إلى الجزائر .. وسافر "محمد فتحى رفاعى" إلى البلد نفسه، اكتمل شكل التنظيم بأن حل الأخ "صبرى عرفه الكومى" مسئولاً عن الدقهلية، والأخ "مجدى عبدالعزيز" مسئولاً عن الإسكندرية ــ وكان على اتصال بهم هناك ولكنه كان يمثلهم فى قيادة القاهرة، أما المسئول المحلى فى الإسكندرية فكان الأخ عبدالمجيد الشاذلي.

اكتمل الشكل النهائي للإخوة فى التنظيم كالآتي :

"صبرى عرفه الكومى، على أحمد عشماوى، عبدالفتاح إسماعيل، أحمد عبدالمجيد عبدالسميع، مجدى متولى" هذه المجموعة هى التى تلتقى مع الأستاذ سيد قطب وتتوالى لقاءتها به، وتأخذ تعليماتها منه وتنفذها أولاً بأول، وكان هذا هو الأسلوب الذى علمنا إياه ! "أنه لا ينبغى أن يكون هناك فكر مسبق عن كل شئ، ولكن الرأى لابد أن يخرج فى كل مناسبة على حده، لأن الفقه الإسلامى أساساً هو نص شرعى داخل ظرف معين ويستخرج منه الحكم. ويمكن للنص نفسه داخل ظرف آخر مغاير أن يخرج منه حكم مغاير". وكان يعلمنا ــ فى هذه الأثناء ــ ما شرحت من قبل عن "فقه الحركة" وكان هو من ابتدع لفظة "هذا عمل حركى" و"هذا عمل تنظيمي" و"هذا عمل فكري". ومسألة "حركة" هذه كانت من الأمور التى ضايقت الإخوان كثيراً، لأنهم لم يكونوا يستعملون هذه الألفاظ واعتبروا أننا وفدنا عليهم بمصطلحات جديدة للجماعة وأننا غيرنا الكثير من الأمور التى لم يكن لنا أن نغيرها.

فى هذه الفترة كنا نعمل بجدية، ولكن لم نكن نعطى للتــدريب قوتــاً أكثر مما ينبغى، لأنه كان تدريباً للصيانة أو للمعرفة العامة، ولم يكن بقــصد صدام مع الحكومة، أو بقصد أعمال مطلوبة حينئذ وفى أحــد الاجتماعــات فاجأنا الأستاذ سيد قطب، بأنه قد ردت إليه معلومات من مكتب المشير تقول: "نضرب الأخوان الآن .. أم ننتظر عليهم بعض الوقــت". وقــال: إن هــذه المعلومات أكيدة، وأنه متأكد من مــصادرها، وأن الحكومــة تعــد لــضرب الجماعة، وأن علينا أن نستعد لذلك، ولا ينبغى أن نعطيهم الفرصة ليــضربوا الجماعة، وأن علينا أن نستعد لذلك، ولا ينبغى أن نعطيهم الفرصة ليــضربوا الجماعة دون أن نردى عليهم. وكان من رأيه أننا ينبغى ــ بناءً على ذلك ــ أن نسرع فى تدريب المجموعات التى ستقوم بتنفيــذ أى عمليــات فنعطيهــا أولوية فى العمل، وأن نشترى بعض الأسلحة وأن نجهز أنفسنا لو حــدث أى صدام أن نرد عليه وبعنف.

كان هذا ما اتفق عليه فى هذا اليوم، وخرجنا من عنده نعــد للأمــر، واتفق على أن أتولى أنا الأمور الخاصة بالتسليح والتدريب إلى جانب عملى كمسئول عن القاهــرة، وبدأت فى إجــراء لقــاءات تدريبيــة فــى بعــض المحافظات وفى القاهرة، كنا نعطيهم تدريباً فى الدفاع عن النفس وثانياً على السلاح وثالثاً على بعض الأعمال التكتيكية التــى يمكــن أن تجابهنــا فــى المستقبل.

وظلت هذه التدريبات قائمة على قدم وساق، وكانت إحدى مشاكلنا أن الوقت قصير، ولم تكن الأسلحة وصلتنا، ولذلك فإن مهمتى للتجهيــز كانــت

صعبة جداً، وكان على أن أبدأ فى حشد أسلحة ومفرقعات استعداداً لمثل هـذه الأحداث المرتقبة. فقمت بتكليف الأخ "مبارك عبدالعظيم" بأن يختار من بـين الإخوة المتخرجين فى كلية الهندسة قسم كيمياء مجموعة لتكون نـواة لعمـل أبحاث فى صناعة المفرقعات. وتكون هذه المجموعة تحـت إشـرافى أنـا مباشرة وقمت أنا وبعض الإخوة الآخرين بشراء بعض قطع الأسـلحة التـى يمكن أن تستعمل، وقام الشيخ عبدالفتاح بالاتصال ببعض الإخوة من طنطـا وهو الأخر "أحمد سلام" ــ وكانت له علاقة بـالجيش ــ فأحـضر بعـض الأسلحة والقنابل اليدوية من هناك. وكان هذا شيئاً مهماً لأننا لم نكن نستطيع الحصول عليه من السوق العادية خاصة المتفجرات والقنابل اليدوية، فالسوق العادية فى تجارة السلاح يمكنك أن تجد فيهـا طبنجـة أو بندقيـة أو مـدفعاً رشاشاً، ولكن تجارة المفرقعات شئ آخر.

بدأنا التدريب بهذه الأسلحة التى اشتريناها، والتدريب على صـناعة المفرقعات، وقد كلفنا هذا جهداً ومالاً، ولما احتجنا إلى الأموال عقدنا اجتماعاً وطلبت من الشيخ عبدالفتاح أن يبدأ فى صرف بعض الأمـوال مـن المبلـغ المجمد عنده من قبل وهو مبلغ الـ 4 آلاف جنيه التى كان قد أعطاهـا لـه الأخ سعيد رمضان وقال إنه يحفظها عند الأستاذ الهضيبي وبدأوا يـصرفون مبالغ لشراء الأسلحة وشراء الكيماويات اللازمة للمفرقعات، وفى هذه الأثناء فرضنا ضريبة على كل الإخوان المنتظمين فى التنظيم هى 5% من دخل كل فرد يعطيه طواعية كـل شهر للمسئول عنه حتى تـصل الأمـوال إلينـا لتغطية نفقات الانتقال، واستئجـار بعـض الـشقق وشـراء المفرقعـات والأسلحة وخلافه.

اضطررنا لشراء بعض الكتب والمراجع الخاصة بصناعة المفرقعات حتى أننى لجأت إلى مكتبة السفارة الأمريكية للبحث عن هذه الكتب، ووجدت بعضها ونقلت منها بعض الموضوعات، واستعنا أيضاً ببعض الكتـب التـى اشتريناها من الأسواق، وكان بحثنا كله يجرى فى اتجاه صناعة مادة "تـى. إن. تى" وهى صناعة محفوفة بالمخاطـر من الناحية الفنية، خاصـة مـع عدم وجود معامل مجهزة. وكنا نخشى إنشـاء هذه المعامل فى مكـان مـا، لأن هذا غير مأمون بالنسبة لأمان الناس الموجوديـن، وأيـضاً بالنـسبة للتأمين ضد هجمات الحكومة، فقد كان يصعب نقلها مـن مكان إلى آخـر عند اللزوم.

ولهذا فإن العمل كان يقوم على أساس بدائى جداً، فى محاولة صـنع مثل هذه المادة. أما المواد الأخـرى التـى حاولنـا صـنعها وهـى قنابـل "المولوتوف"، فقد وصلنا فيها إلى نتيجة جيدة، ولكنهـا لـم تكـن مفرقعـات بالمعنى المفهوم، وحاولنا بالفعل صناعة مادة الـ "تـي. إن. تـي" وكانـت صعوبة التركيب تأتى من أنه لو حدثت هزة أثناء الحقن ــ وكان يحقن سائل داخل سائل ــ يمكن أن ينفجر كل شئ. ولذا كان من الصعب الاستمرار فـى مثل هذه التجارب، فتم وقفها لحين البحث عن مادة أخـرى يمكـن أن تحـل مشكلة المفرقعات.

وفى غمرة حيرتنا جاءنا أحد الأخوة المختصين بالكيمياء، وقال إنـه وجد مادة جيدة جداً يمكن أن نفعل بها ما نشاء، وأن نركب منها المفرقعـات المطلوبة، وشرح لنا هذه التركيبة ببساطة وقال: إنها مادة "نيترات الأمونيوم،

يضاف إليها السولار العادى مع التجفيف فى أفران خاصة مع التقليب المستمر". وقال إن هذه المادة شديدة الانفجار، ويمكن أن يصنعوا منها "عينة"، وأن نقوم بتجربتها، وقال إن لديهم الإمكانات الخاصة لتنفيذ ذلك.

كان هذا الأخ ضمن مجموعة تعمل فى لجنة الطاقة الذرية فى أنشاص، وكانت تحت يدهم الإمكانات الخاصة بالأفران فى هذه المنشأة، فاشتريت لهم "نيترات الأمونيوم" وأعطيتها لهم، وحصلوا هم على السولار، وبدأوا فى تركيب هذه العبوات الناسفة، وقلت لهم أن يضعوها فى "برطمانات" يزن كل واحد نصف كيلو، فهذا حجم معقول جداً بالنسبة لهذا النوع من المفرقعات.

وأتونى بـ "عينة"، وذهبت مع الأخ "أحمد عبدالمجيد" إلى "أبو رواش" فى منطقة محاجر من الطبيعى أن تسمع فيها أصوات انفجارات دون أن تثير أى تساؤل أو اهتمام من أحد، واخترت حجراً ضخماً حوالى 2 متر × 2 متر ـ أى حوالى 8 أمتار مكعبة ـ ووضعت العبوة تحت وأوصلتها بمفجر من التى أتانا بها الأخ أحمد سلام، ثم أوصلناه ببطارية ووقفنا خلف صخرة أخرى، ثم فجرت العبوة، وإذا بهذه الصخرة الضخمة قد أصبحت وكأنها "بودرة"، ولم يبق منها شئ، كانت النتيجة مذهلة وغريبة جداً، واعتمدنا هذا النوع من المفرقعات الذى سوف نستعمله إن أردنا، وأمرتهم بصنع كمية 10 كيلو أو 15 كيلو من هذه المادة وتعبئتها وتخزينها فى مكان أعددته لهم.

في هذه الأثناء التي كنا فيها في حمى الإعداد للمواجهة وإعداد الإخوان بالتدريبات المكثفة استعداداً لأي هجوم من الحكومة علينا. في ذا الجو الذي كنا فيه في قمة التوتر، جاءتنا أنباء ــ مرة أخرى ــ تفيد بأن الأستاذ صلاح شادي أرسل إلى الأستاذ مراد الزيات يأمره بإبلاغ البوليس عنا ــ لأننا لم نسر على رأيهم كقادة، وأننا انفردنا بالعمل دون إذن منهم، وأنه اعتبر أنهم هم القيادة التي ينبغي ألا يخرج عليها أحد. ونسى أننا كنا قد اتصلنا بالمرشد الذي من المفروض أنه هو أيضاً يلتزم برأيه، ولكن هكذا كانت الحال، كل يرى أنه هو القائد، وكل يعطي تعليمات، ولا أحد يدري من المسئول عن من ؟!

أحسسنا بضيق شديد، وتباحثنا في الأمر، وكان لابد أن يتصرف الأستاذ سيد قطب في هذا الموضوع مرة أخرى، اتصل بالأستاذ فريد عبدالخالق ــ كما أخبرنا ــ وقال له: إنه أنهى هذا الموضوع وأنه لم يعد لهذه المجموعة أي نشاط، وأنه ضامن للجماعة ألا تخرج هذه المجموعة أبداً عن قيادتها، وبالتالي فقد طمأنهم على الأقل إلى حين استكمال دراستنا وتدريباتنا، وكان يرى أن الصدام قادم، وأن هذا الصدام سيؤدي بالضرورة إلى إعدامه.

وأخبرنا الأستاذ سيد قطب أكثر من مرة أن يكون الأستاذ "محمد يوسف حواش"، هو الشخص التالي بعده، ولما سألناه عن الأستاذ محمد قطب قال: "لا"، أتركوا محمد فله مهمة أخرى، ولا يصلح للعمل في التنظيمات الحركية".

رسالة من السعودية :

فى هذه الأيام العصيبة التى كنا نبحث فيها عن السلاح فــلا نجــده، ونحاول أن نشتريه بأثمان مرتفعة بالإضافة إلى المخاطرة والمغامرة التى كنا نقوم بها خوفاً من أن نقع فى أيدى الحكومة، وبهذا الشكل الذى كنا فيــه فــى حمى أو سباق مع الزمن لاستكمال استعدادنا للمواجهة، أتتنــا رســالة مــن المملكة العربية السعودية مرة أخرى عن طريق أحــد الإخــوة الــسودانيين أيضاً، ولكنه كان شخصاً آخر غير الذى أتى فى المرة السابقة، وشكى لنا من أننا لم نستقبل الأخ الأول استقبالاً جيداً، ونــسى ــ أو نــسى الإخــوة فــى السعودية ــ أننا كنا نتعامل معهم بقواعد الأمن، فقد كــان ينبغــى أن نــؤمن أنفسنا، وأن نؤمنه هو أيضاً.

كان اسم الأخ الثانى "بشير إبراهيم" ــ من الخرطوم ــ وكان خفيف الروح، حاولت أن أستضيفه، وأن أعوض معه ما حدث مع المنــدوب الأول، وقرأت الخطاب الذى معه وكان به: "أن الإخوة فى الخارج قــد أعــدوا لنــا قائمة الأسلحة التى كنت قد كتبتها لهم وأنا هناك، وأنه قد تم شراؤها جميعــاً وجهزت للشحن إلى مصر، وأنهم سوف يرسلونها ــ بعد موافقتنــا ــ عــن طريق قبائل البشارية التى تعبر الحدود بين السودان ومــصر، وأن اســتلام البضاعة سيكون فى قرية "دراو" القريبة من أسوان، وأن علينــا أن نــستعد لتسلم تلك الرسالة وأن نعطيهم الموافقة على الشحن".

الحقيقة أننى كنت فرحاً بهذا الخبر، فاســتأذنت المنــدوب، وأخــذت الرسالة وذهبت بها إلى الأستاذ سيد قطب ــ وقد كانت بينى وبينه اتفاقات لم

يعلمها باقى الإخوة فقد كان يرى فى بعض المواصفات التى أعجبته وطلب منى أن تكون بيننا خصوصية لا نطلع عليها باقى الإخوة، والتزمت معه بذلك ـ ذهبت إليه على غير موعد، فقد كان الأمر فى غاية الضرورة والخطورة، ولا يمكن إرجاؤه، لأن الأخ الذى أتى بالرسالة يريد رداً كى يعود بسرعة.

استقبلني فى منزله، وكان على ما يبدو لديه ضيوف فى غرفة أخرى، وجاءه أناس آخرون وأنا عنده، فأدخلهم حجرة ثالثة. وكان مرتبكاً إلى حد ما، لأنه لم يكن فى انتظارى، ويبدو أننى أربكت "جدوله" فى هذا اليوم. ولكن كان لابد أن أخذ منه رأياً بصفته المسئول الأول عن التنظيم، وقرأ الرسالة، وقال: إن هذا أمر جيد، وأننى أحسنت صنعاً بطلبى هذا السلاح فى حينه، وأنه أتى فى الوقت المناسب. وأخذ يعطينى بعض النصائح والتعليمات عن كيفية نقل السلاح حتى أنه قال لى بالحرف الواحد: "يمكنك أن تضع السلاح فى أوعية مثل "القفة" التى ينقل فيها البلح والدوم، وأن يوضع السلاح وفوقه بلح ودوم، وأن تملأ عربة النقل بهذه الشحنة على أن تكون شحنة بلح ودوم قادمة من أسوان، وأن يتم تجهيز مكان فى إحدى القرى لتخزين هذا السلاح تخزيناً مركزياً لا يعلم عنه أحد شيئاً حتى يتم الاحتياج إليه واستعماله فى حينه". وطلب منى أن أجمع القيادة وأخبرهم برأيه، وأجهز كل شئ يلزم الشحن. ولكنى قلت له: إننا سوف نحتاج إلى أموال للنقل، فمثل هذا الأمر سيكون مكلفاً، فقال لي: أطلب من الشيخ عبدالفتاح إسماعيل أن يعطيك ألف جنيه تحت الحساب، وإن لم يفعل فأحضر إلىَّ وأنا أعطيك ما تريد.

جمعت مجموعة القيادة، وجلسنا نتدبر الأمر، خاصة وأنه كان على غير هوى الشيخ عبدالفتاح الذى كان يعتز بأنه المسئول عن الاتصال بالخارج، وأنه قد فقد هذه الميزة فى هذا الوقت فثار جداً، وأثار المجموعة من حولنا، وقال إن هذا الأمر لا ينبغى أن يتصرف فيه أحد دون رأى الجميع، وأننا قد انفردنا بالرأى أنا وسيد قطب، وأنه لن يسكت على هذا وكانت ثورته غريبة جداً، فقد تناسى ما نحن فيه، وما نحن فى حاجة إليه، وتناسى أننا مقبلون على صدام، وأراد أن ينتصر لنفسه بشكل أو بآخر. وأثار المجموعة من حوله فثاروا معه وكان شيئاً غريباً. وقد أعطانى ذلك إحساساً بأن هذه المجموعة تتكلم وتتكلم وتتكلم ولكن حينما يصل الأمر إلى حد التنفيذ والجدية، فإن حالهم تكون أقل بكثير مما هو مقدَّر أن يكون فيه.

بعد الاجتماع ذهب الشيخ عبدالفتاح إسماعيل إلى سيد قطب، وأتانا بعد أيام وقال: "إنه سأل الأستاذ سيد إن كان قد أعطى هذه التعليمات لي لكي أتسلم شحنة السلاح وأنقلها وأقوم بتخزينها، فنفى ذلك". وهنا أحسست بإحباط شديد وخيبة أمل كبيرة. فقد كان الأستاذ سيد قطب بالنسبة لى المثل الكبير للقائد والمفكر والفيلسوف وكنت متأثراً به إلى حد كبير. ولكنه ــ بعد أن أنكر ما قاله لى أمام ثورة الشيخ عبدالفتاح إسماعيل ــ سقط فى نظرى، وقلت للشيخ عبدالفتاح إننى سوف أذهب للقائه وذهبت إليه ــ وكان معى بعض الإخوة ــ فى صباح يوم جمعة وواجهته بما بدر منه، فقال: إنه ينبغى أن نسأل إخواننا فى القيادة، وألا ننفرد بقرار وينبغى أن يكونوا راضين عما نفعل، وأننى قد فهمت الأمر خطأ فهو لا يقصد المعنى الذى فهمته، وتأكدت أنه قد عاد فى كل كلمة قالها لي بشدة.

فى هذه اللحظة ــ ومن كثرة غيظي وإحباطي ــ أحسست أننى قد ضيعت عمرى، وقد ضيعت حياتي وسرت بعيداً فى طريق خطأ. فقد "انكسرت" فى نفسى أمور كثيرة لا يمكن أن "تجبر" بعد ذلك. ومع تسارع هذا الإحساس داخلى أجهشت بالبكاء أمامه وأمام من كان معى من الإخوة. ولكن الأستاذ سيد قطب أحس أن موقفه فى غاية الحرج، وجاء وقت صلاة الجمعة، فقلت له: دعنا نقم ونصلى وكانت المفاجأة أن علمت ــ ولأول مرة ــ أنه لا يصلى الجمعة، وقال: إنه يرى ــ فقهياً ــ أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة، وكان هذا الرأى غريباً علىَّ، ولكنى قبلته لأنه ــ فيما أحسب ــ أعلم مني.

وأصر على أن نتناول الغداء معه، وظل طوال فترة الغداء على غير عادته، ويحاول أن يقول بعض الدعابات والنكات، وأن يجعل الجلسة أخف ظلاً مما حدث بينى وبينه، لكنى كنت متجهماً، ولم أستجب لمثل تلك المحاولات وشكرته، وخرجنا ــ ومن معي ــ من منزله.

فى هذا اليوم صممت على أن أنسحب من الأمر كله، ولا أستطيع أن أصف ما اعتمل فى نفسى هذا اليوم، ولا أن أصف مشاعري فى هذه اللحظات بعد استعراض لكل العمر الذى ضيعته مع الجماعة، والذى رأيته ينكسر فى لحظة واحدة بعد إحساسي بأن أحد القادة والمفكرين والزعماء يمكن أن يرجع فى قولته بهذه السهولة، وكيف كنا نلقى بأنفسنا، وأقدارنا، وكل شئ فى حياتنا بين يدى أى فرد، وتساءلت بينى وبين نفسي: لماذا أعطى نفسى لأى فرد وأوقف عقلى وأوقف إرادتى، وأسلبها عن

طواعية، وأعطى قيادى لشخص آخر دون سبب مفهوم، وتكون النهاية مثل ذلك وأشد.

كانت هذه هى حال الجميع فى قيادات الإخوان ولا أقول إنه سيد قطب فقط، وكما ذكرت من قبل فقد كان بعض قادة الإخوان إذا أردنا أن نفعل ما هو مطلوب منا لا نفعله إلا حسب تقديراتهم، وإذا فعلنا غير ذلك فإنهم يصلون لحد الشطط الكامل فى إبلاغ البوليس عنا، فأى قيادات تلك، وأى خطأ قد فعلته بنفسى كى أصل إلى هذا الحد ؟!

****

ذهبت للقاء المندوب السوداني، وكتبت له خطاباً أن يوقف تسليم الشحنة حتى إشعار آخر، لأن الظروف فى مصر غير مواتية فى الوقت الحاضر، وأننا معرضون فى أية لحظة للاعتقال، وأخاف أن تأتى الشحنة بعد اعتقالنا، وجلس الأخ السوداني يتحدث فى أمور أخرى يمكن أن نفعلها وهي تهريب الذهب من السودان إلى مصر، وأخبرنى أنه يمكننا ـ أنا وهو ـ أن نجنى ثروة طائلة من هذا الأمر، وأن الذهب عندهم رخيص جداً. وهناك ـ فى حوزتهم ـ كميات يريد أن يدخلها إلى القاهرة على أن أقوم أنا بتصريفها وأنال حقى فى المكسب، واتفقت معه بالفعل على أن نقوم بهذا العمل.

وسافر برسالتي، وبعد سفره حدث اجتماع فى القيادة، ولكننى لم أحضره، وجاءنى بعد ذلك الأخ "أحمد عبدالمجيد" ـ وكانوا يعلمون أنه قريب منى ـ وسألني: ماذا ألمّ بي ؟! فحكيت له ما حدث فى منزل الأستاذ سيد

قطب وقلت له: إن هذا الأمر قد كسر فى نفسى الكثير، وأننــى قــد قــررت الابتعاد عن هذا التنظيم وأن أفض يدى نهائياً عنه. وجاءنى فى اليوم التــالي وأخذ يلح علىَّ فى العودة وقال: إن الإخوة نادمون على ما حــدث وأنــه لا ينبغى أن أكون عنيداً، وأننا تورطنا إلى هذا الحد معاً، فلا ينبغى أن ترجــع من منتصف الطريق. قال لي أيضاً : إنه لو حدثت اعتقالات فسوف تعتقــل وسوف تحاكم كما لو كنت معنا. ويبدو أنه ظن أن خروجي فى تلك اللحظــة كان خوفاً من صدام مقبل أو شئ من هذا القبيل. ولكنه لم يكن كذلك أبداً، فقد كان هو الإحساس بالصحوة وقد بدأ داخلى، وتأكدت أن ما نحن فيــه خطــأ، وعبث ولم يكن مفروضاً أن نتورط فيه، وأن هــذه القيــادات ــ جميعهــا ــ تعمل وتسوس القطيع، وأقول القطيع لأن من يسلم أرادته لشخص آخر، فقــد أعطى من نفسه الكثير، وقد سلب إرادته وأصبح مثل القطيع.

تركنى الأخ "أحمد عبدالمجيد" وأخذت أفكر وحدى فى كــل الأمــر، ووجدتنى وقد تورطت بالفعل حتى أذنى، وأن هذه الصحوة قد أتــــت بعــد فوات الأوان، وأنه ينبغى الاستمرار حتى النهاية، ورغم هــذا فقــد أكملــت المشوار معهم وأنا ــ داخلياً ــ فاقد الثقة بالقيادات، ولا أدرى ما الذى تخبئه لنا الأقدار، كنت كمن يسير إلى حتفــه دون إرادة، وكــأنى منــوَّم تنويمــاً مغناطيسياً.

حضرت اجتماعاً للقيادة، وكان خاصاً بترتيب خطة المواجهــة مــع الحكومة والتى كانت تتلخص فى: اغتيال كبار الشخــصيات، والشخــصيات المؤثرة فى دولاب الحكم. وتخريب بعض المنشآت التى يمكن أن تساعد فـــى

إحداث خلل وفراغ وارتباك فى الدولة. ولكن لم يكن من الأمور المحسوبة ماذا سيحدث بعد أن ينهار الحكم، ومن الذى سوف يثب إلى الدولة فيحكمها. لم يكن ذلك فى حسبان أحد، وكأننا من ضيقنا أردنا أن ننفجر، ولكنه انفجار غير منظم.

ومن الشخصيات التى كانت عرضة للاغتيال، شخصية الرئيس جمال عبدالناصر، وشخصية المشير، وزكريا محي الدين، وبعض المنشآت التى ورد أنها لابد أن تحطم أو تدمر، ومنها مبنى الإذاعة والتليفزيون، ومحطات الكهرباء، لإحداث إظلام يمكن أن يفيد التحرك. وهدم القناطر الخيرية وبعض هذه الأمور التى كانوا يدرسونها بالتفصيل. ولما تم الاتفاق على أن يتم التنفيذ فى هذه الحدود، طلب أن نؤجل البت النهائى حتى نلتقى بالأستاذ سيد قطب، ونعرض عليه الخطة للتنفيذ فى المواجهة المقبلة والمتوقعة مع الحكومة إذا هم بدأوا بضرب الحركة الإسلامية التى كنا نعمل فيها.

اعترض الأستاذ سيد قطب على اغتيال شخصيات أخرى غير جمال عبدالناصر، مثل المشير مثلاً، فالمشير ــ حسب رأيه ــ شخصية غير مؤثرة فى شئ، وأنه لا حول له ولا قوة. وقال الأستاذ سيد: إن الشخصية المؤثرة والخطيرة فى البلد ــ بعد جمال عبدالناصر ــ هى شخصية على صبرى، وأن على صبرى ــ كما قال ــ هو رجل الأمريكان فى مصر، وكان هذا رأياً غريباً إذ أننا كنا جميعاً نعرف أن على صبرى ذو ميول يسارية، وأنه قريب جداً من روسيا.

وبدأ الأستاذ سيد قطب يعطينـــا أفكـــاراً جديـــدة عـــن المخططـــات الأمريكية، وقال: إن على صبرى مُعدَّ من قبل المخابرات الأمريكيـــة، وأنـــه ذهب عام 1953 إلى أمريكا واتفقوا معه على أن يكون هو رجل الأمريكـــان فى مصر. وأنه درس وسائل التعذيب فى أمريكـــا لـــضرب الإخـــوان عـــام 1954، ومن يومها وهو "عين" على عبدالناصر لتنفيذ المخطط الأمريكى فى مصر، وهذا الخط يقوم على أساس الاشتراكية المتطرفـــة، حتـــى يجـــذبوا الروس إلى جانبهم، ويكونوا "عيناً" على الروس لحـــساب الأمريكـــان، كمـــا يحدث فى كثير من الدول الأخرى التى تنفذ الخطة الأمريكية التـــى وضـــعها "والت روسو" وهى عبارة عن "رأسمالية الدولة" وليست اشـــتراكية، ولكـــن شكلها الاشتراكى يضر بالحركة الشيوعية فى العالم الثالث ضرراً بالغاً، لأنه يسحب البساط من تحت أقدامهم ويجبر الروس على أن يتقربـــوا مـــن هـــذه الدول، وهم يعلمون أنها ليست معهم، ولكنها اللعبة السياسية الأمريكيـــة فـــى حربهم مع الروس.

وقال الأستاذ سيد قطب : "إن على صبرى هو الشخصية التى يجـــب أن نوليها أهمية فى الاغتيال". ولمَّـــا عـــرض موضـــوع نـــسف المنـــشآت اعترضت أنا على نفس القناطر الخيرية، وقلت لهم: إن مثل هذا العمـــل لـــن يفيد أحداً إلا القوى الصهيونية التى تقولون إنها تنفـــذ مخططاتهـــا لتخريـــب الدول العربية، وأننا بهذا نقوم بالتخريب نيابة عنهم، ولذلك استبعدوا القنـــاطر الخيرية، لكنهم أصروا على تدمير باقى المنشآت مثـــل محطـــات الكهربـــاء، ومبنى الإذاعة والتليفزيون.

الباب الثالث

الاعتقالات والتعذيب

صفحة بيضاء

بعد أن رفضت تسلم السلاح القادم من الإخـوان فـى الـسعودية ــ نتيجة للموقف الذى ذكرته من قبل ــ حدث اجتماع فى القيادة وقالوا: إنهم لم يكونوا يقصـدون ذلك، ولكنهم كانوا يريدون أن يتأكدوا أن هـذه الأسـلحة ليست مشبوهـة، وأنها بأموال الإخوان، وليست من أية جهة أخرى ــ وكأن الأمر لم يبحث من قبل ولم تعرف تفاصيله ــ وقالوا لي: هـل تـستطيع أن تحضر هذه الأسلحة مرة أخرى فنحن فى حاجة إليها فى هـذه اللحظـات ؟! فقلت لهم: أسف فهذا أمر غير ممكن لأنني قد أرسلت لهم أننا لن نتسلم هـذه الشحنة.

كنا فى الفترة السابقة على علاقة بأحد الإخـوان وهـو "إسـماعيل الفيومي" وكان فى موقع حساس ومتميز يمكننـا مـن اغتيـال عبدالناصـر بسهولة، فقد كان واحداً من الحرس الخاص بالرئيس عبدالناصر وكان مـن "الهدافين" الذين لا يخطئون الرماية، وكان يمكن أن يعهد إليه بتنفيـذ العمليـة ويقوم بها وهو مطمئن جداً إلى التنفيذ، ورغم علم كل الإخوة بـذلك، إلا أن الأخ "مجدى" كان متحمساً لأن يقوم هو بالعملية فى الإسكندرية، ولهـذا فقـد تركنا الأمر عند هذا الحد، وإن احتجنا لخدمات "إسـماعيل الفيـومي" فـى لحظات أخرى فسوف نخبره بأن ينفذ هذه العملية.

وطلب مني أن أتوجه للقاء الأستاذ سيد قطب فـى منزلـه منفـرداً، وذهبت، وهناك عرفنى بابن أخته المهندس "رفعت بكر شافع" وقال لي: "إنه هو الذى سيحدد موعداً بينك وبين الأستاذ "محمد يوسف حواش" لكى تتعرف عليه، فهو الشخص الثانى الذى يأتى بعدى". وكان الأستاذ سيد قطـب يفعـل ذلك لتحسبه أن الصدام قد بدأ، وأنه لن ينجو من أيدى رجالات الحكـم وأنـه ينبغى أن يرتب أمورنا قبل أن يتركنا إن قدَّر له أن يعتقل.

واتفقت مع الأخ "رفعت" على أن يحدد الموعد، وعرفته كيف يتصل بي، وأخبرني أن الأستاذ "حواش" سيكون هو المنسق بين تنظيمنا وتنظيم الإخوة الخارجين من السجون لأنه كان قد نظمهم معاً فى تنظيم آخر ــ أعتقد أن الأخ الطوخي كان يرأسه ــ وكنت لا أعلم عنه كثيراً، وكنت أحس أن هناك مجموعات أخرى غير مكشوفة على صلة بالأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب، وأنهم حريصون على أن تظل هذه المجموعات بعيدة عما نحن فيه حتى إذا ذهبنا نحن ضحية لمعركة يظلون هم فى الخارج يواصلون العمل. وهذا ما تأكدت منه بعد ذلك من ظهور الجماعات الإسلامية الأخرى التى تنادى بفكر الأستاذين سيد قطب ومحمد قطب.

المهم .. تحدد الموعد فى "كازينو الحمام" بالجيزة، والتقينا أنا والأخ رفعت والأخ "محمد يوسف حواش" وتعارفنا، واتفقنا على موعد آخر، وحددنا وسيلة اللقاء والاتصال، وأن هذا لن يحدث إلا فى حالة غياب الأستاذ سيد قطب، وقد عرفت أنهم ــ بهذا العمل ــ يحاولون أن يزيلوا من نفسى ما علق بها من إحساس بالإحباط أو بعدم الثقة بهم، ولكنى كنت أتصرف بهدوء وبدون حماس.

كنا منشغلين جداً بالإعداد للاغتيالات وتدمير المنشآت، وكانت الأنباء تتوالى من جميع الإخوة الذين هم على اتصال ببعض المسئولين، وكان الأخر "أحمد عبدالمجيد" ينسق هذه المعلومات بصفته مسئولاً عن جمع المعلومات للتنظيم، وكانت هناك مجموعة أخرى مسئولة عن سماع الإذاعات الأجنبية، وكتابة تقارير عنها، ومجموعة ثالثة مسئولة عن قراءة الصحف الأجنبية، وكتابة تقرير يومي عنها، وكان كل ذلك يأتى إلىَّ لأقرأه وأحلل ما به، وأتوقع ما سوف يحدث غداً، ولهذا فقد كنت أعلم بما يجرى أولاً بأول. واتفقت مع الإخوة المسئولين عن القطاعات أن يكون بيننا لقاء عبر التليفون يومياً حتى أعلم إن كان هناك أحد قد اعتقل أم لا، وكلها كانت

إجراءات لابد منها لسرعة الاتصال، وسرعة وجود المعلومات فى وقتها المناسب.

عملت الترتيبات لدراسة بعض المنشآت التى سوف يتم نسفها أو تدميرها أو وقفها عن العمل، حتى أننى ذهبت مع أحد المهندسين ويدعى "الأخ يحيى" لزيارة محطة شمال القاهرة، ونظر إليها الأخ يحيى وشاهد جميع المولدات التى بها، وقال إن وقفها عن العمل عملية سهلة جداً، وأنه هو الذى سيتولى هذه العملية إن أردنا له ذلك، وقد كان، كما كان هناك ترتيب آخر لوقف محطة جنوب القاهرة حتى نضمن الإظلام الكامل للمدينة، وفى جنح الظلام يتم تنفيذ باقى المخططات، واتفق على أن يتم الهجوم على عسكر الداورية الموجودين فى الشوارع وأن يتم الاستيلاء على أسلحتهم: كل ثلاثة أفراد ينقضون على حارس من الحراس الواقفين فى الشارع ويأخذون سلاحه، وبهذا نستطيع الحصول على السلاح فى الليلة نفسها التى تكون بها المجموعات فى أعمالها التنفيذية.

كل هذا تم والتدريبات تتوالى والاستعداد بالمفرقعات يتم أولاً بأول، ويتم تخزينها فى أماكن معينة ومحددة، وتتم تجربتها، والكل يقوم بعمله، ولكن استوقفنى أحد الأمور، وهو أنه حين وصلتنا الرسالة بورود السلاح من السودان، واحتمال أن نقوم بتسلمه جمعت خمسة من الإخوة الذين كنت أثق فيهم، وأعلم أنهم مستعدون لأى عمل فدائى، وسألتهم إن كان فى مقدورهم أن يقوموا بعملية تسلم السلاح وتوصيله إلى مكان فى وسط الصعيد للتخزين، فوافقوا جميعاً ما عدا واحداً منهم ــ والذى كنت أرى أنه أفضلهم ــ فقد قال إنه لا يجد فى نفسه المقدرة على القيام بهذا العمل، خاصة أننى كنت قد حددت لهم الأمور كلها، وقلت إن هذه الشحنة سيتم نسفها بهم إذا تعرضت للقبض أو الاعتقال، وأننا لن نسمح بأن تذهب سدى، ولذا فإنه قد يموت بعض الإخوة الذين قاموا بنقلها، عند هذا الحد رأيته قد انسحب من العملية

كلها، ولم أنظر إليه نظرة مستاءة، بل بالعكس تأكدت أنه إنسان أمين على الأقل، فقد قال ما يستطيع فعله، وما لا يستطيع.

لقاء فى رأس البر :

فى هذه الأثناء ــ وهو شئ غريب ــ كنت قد حددت موعداً لزواجى من الأخت الصغرى للأخ أحمد عبدالمجيد، وفى الوقت نفسه كان سيتزوج الأخ "سيد نزيلي" من الأخت الكبرى، وتزوجت، وغبت عن الإخوة ثلاثة أيام، ثم فوجئت بأحد الإخوة وقد جاء يخبرنى أن الأستاذ سيد قطب قد ذهب إلى المصيف فى رأس البر، وأنه معتاد أن يذهب فى بداية الصيف لقضاء ثلاثة أشهر هناك، وبعد أيام جاءنى الشيخ عبدالفتاح إسماعيل وقال لي: إن الأستاذ سيد يريد أن يراك فى رأس البر للضرورة القصوى، وقلت له: سوف أرتب الأمر وأذهب إليه، فقال: إئت بعروسك وتعال. وستكون فرصة أن تخرج من المدينة لبضعة أيام، وقد كان. وهناك التقيت مع الأستاذ سيد والشيخ عبدالفتاح على الغداء، وقال الأستاذ سيد: "إن الأخبار لديه تتوالى وتؤكد أن الصدام قائم وآت لا ريب فيه، وأنه أحسن بشدة أن الأوامر لضرب الحركة الإسلامية آتية من الخارج، وأنها ــ كما وصفها ــ نتيجة "مجسات" فكرية غربية قرأت ما يصدر فى مصر، وأحست أن هناك تنظيماً، وأنهم بالتأكيد لا يعرفون شيئاً عن هذا التنظيم، ولكنهم سيحاولون الضرب العشوائى حتى يحصلوا على بداية الخيط.

وأخبرني الأستاذ سيد أيضاً أنه قد انتهى من كتابه "معالم فى الطريق ــ الجزء الثاني" ولكنى رجوته ــ للمرة الثانية ــ ألا ينشره، لأنه سيكون طامة كبرى على الكل، خاصة أن الجزء الأول كان هو الذى أنبأ عن وجود تنظيم خلف هذا الفكر، وفى اليوم التالي قرأت بعض فقرات من الكتاب، وكانت كلها عن الحركة وعن تقنينها وعن فقهها.

أمضيت فى رأس البر عدة أيام ثم عدت إلى القاهرة، حيث كان الكل فى انتظارى لإتمام العمل الذى كنت موكلاً به، وهو الإشراف على تـدريب الإخوة فى كل أماكن مصر تقريباً .. كنت أقوم بتـدريب مجموعـات فـى القاهرة، وهذه المجموعات تقوم بتدريب من يليها من الأفراد. وكنت أذهـب إلى المنصورة فأقوم بتدريب بعض المجموعات، لتقوم هى بدورها بتـدريب باقى الأخوة فى الدقهلية والشرقية، وهكذا. وكنت فى غاية الإجهـاد لقيـامي بمثل هذه الأعمال بالإضافة إلى الإشراف على المسائل التنظيميـة الأخـرى اليومية والإشراف على المعلومات ومحاولة تحليلها وفهم أبعادها.

وكانت كل الأحداث ــ فى هذه الفترة ــ تشير إلى أن اليـسار فـى مصر ــ كما كانوا يسمونه ــ يعد العدة لأن يضرب اليمين ضربة قاصـمة، لذلك فقد كان أحد "المجسات" الأخرى التى أحسسنا فيها بهـذا هـو معـسكر الشباب الذى عقد فى حلوان فى بداية الصيف والذى حضره كثير مـن قـادة البلد، ودرسوا للشباب فيه، وكانت غالبية الأفكار التى تـم تدريـسها أفكـاراً اشتراكية متطرفة، وكانت كلها ضد الإسلام وضد الفكر الإسلامي.

حدث ــ فى هذه الأثناء ــ أن اتصل السيد زكريا محيى الدين ببعض شباب الإخوان، وطلب منهم الانضمام إلى الحزب الحكومى الموجود، وأنهـم بذلك يمكن أن يوقفوا المد الشيوعى المنضم لهذا الحزب، وأن يقاوموا التيـار اليسارى، وأنهم بذلك يمكنهم أن يقوموا بعمل مجيد لخدمـة مـصر، ولكـن هؤلاء الشباب رفضوا هذه الفكرة، وقالوا أنهم لا يستطيعون أن يفعلـوا هـذا من محض أفكارهم، وكان من بينهم الأخ "حـسن عبـدالغنى" مـن إخـوان الشرقية، وهو الذى أخبرني بذلك.

وذهب السيد زكريا محي الدين وزار الأستاذ الهضيبي فـى منزلـه، وطلب منه هذا الطلب، ولكن الأستاذ الهضيبي رفض، وكان لهذا الرفض رد فعل سيئ عند القيادة السياسية، وإن كنت أحسست فيما بعد أن هذا التـصرف

من السيد زكريا محيى الدين كان تصرفاً فردياً لا أعرف له سبباً، وتأكـدت من هذا الإحساس أثناء التحقيقات حينما ذكر هذه الواقعة أمام الـسيد "شـمس بدران" فقد ارتسمت على وجهه علامة استفهام كبيرة ودهشة بالغة وقام فوراً بإبلاغها للسيد الرئيس جمال عبدالناصر تليفونياً.

تمويه من الحكومة :

كنا ــ فى لقاءاتنا اليومية ــ نستعرض آخر التقارير عـن الموقـف العام، وكان الأخ أحمد عبدالمجيد قد أتانى بتأكيدات جاء بها أحد الإخوة وهو المستشار "على جريشة" ــ الذى كان يتعاون مع الأخ أحمد عبد المجيد ــ فى معرفة أخبار المسئولين، لما له من اتصالات ببعض الأخوة فى أجهزة الأمن ــ تقول هذه التأكيدات : إنه لا نية إطلاقاً لضرب الإخـوان، وأنهـم ــ أي أجهزة الأمن ــ يعلمون جيداً أنه لا يوجد تنظيم للإخوان فى مصر، وبالتالي فإن مسألة الضرب ليست واردة.

كنا نقف حيارى أمام تأكيدات "على جريشة" من أنه لا صـدام مـع الإخوان، وأمام تأكيدات سيد قطب ــ وأعتقد أنها كانت تـأتى عـن طريـق زينب الغزالي ــ من أنه كان يردد دائماً أن هذه المعلومات أتية مـن مكتـب المشير بأن الصدام قادم، وأنهم فقط يختارون الوقـت المناسـب لبـدء هـذا الصدام.

ترتب على ذلك أننا كنا فى ترقب وانتظار شديدين، وقد كلفـت الأخ "جابر رزق" بأن يقوم بتأجير مجموعة شقق جديدة ــ وأعطيته مبلغ خمسمائة جنيه لهذا الغرض ــ لتكون أماكن أخرى للإيواء فى حالة الـضرورة، وقـد جهزنا أنفسنا لصراع طويل من هذا القبيل. وفوجئنا بالقبض علـى الأسـتاذ "محمد قطب"، وبعد يوم جاءنى الشيخ عبدالفتاح إسماعيل وقـال إنـه ذهـب لزيارة الأستاذ سيد قطب فى رأس البر، وقد علم باعتقال أخيه، وأنه يرسـل

لنا مؤكداً أن القبض على "محمد قطب" دليـل علـى أن "المجـسات" هـى "مجسات" فكرية غريبة ــ كما ذكر من قبل ــ لأن القبض على "محمد قطب" لا يمكـــن تفسيره بغير ذلك، وكان يرى أن الأولى أن يقبض عليـه هـو، ولكن القبض على "محمد قطب" يعنى أن كتبه التى كتبها هى التى دلت علـى شئ، وأنهم بهذا أرادوا أن يجعلوه بداية الخيط الذى يمسكون به للقبض علـى باقى التنظيم.

وتأكدنا أن الخط الذى وضعه لنا الأستاذ سيد قطـب هـو الأقـرب للحقيقة، وكان علينا أن نترقب ما سوف يحدث بعد ذلك، لـذا فقـد أمـرت الإخـوان أن يكمنوا، وألا يتحركوا كثيراً بعد ذلك وأن يداوموا الاتـصال ــ كلّ يتصـــل بالمسئول عنه يومياً ــ ومن لا يتصل فسوف نعلم أنه قـد تـم القبض عليه.

بعد القبض على الأستاذ "محمد قطب" فوجئنا بأن بعض الإخوة مـن قرية "سنفا" قد قبض عليهم أيضاً، وعجبنا لذلك، خاصة أنه ليس لنا فى هـذه القرية أى تنظيم أو جماعات مرتبطة بنا، وكان هذا دلـيلاً آخـر علـى أن المسألة قد بدأت تأخذ شكلاً عشوائياً لعله يصل بهم إلى شئ، وعلمنا ــ بعـد ذلك ــ أن أجهزة الأمن تستغرب ما يحدث، وأن من يقوم بالاعتقال هم رجال المباحث الجنائية العسكرية والبوليس الحربي، وأنهم هم الذين يتولـون هـذا العمل، وكان قد أعطى لمكتب المشير صلاحيات كثيرة داخل البلـد، وكـانوا يقومون بإرهاب شديد حتى فى النقل العام مع الأفراد.

كنا نفسر هذا الأمر على أنه تشويه لصورة المشير عبدالحكيم عـامر عن طريق رجال عبدالناصر فى مكتبه، وكنا نعتقد أن "شمس بـدران" هـو رجل عبدالناصر داخل مكتب المشير، ولكن حين بدأ الأمر يأخذ شكل الصدام مع التيار الإسلامي من داخل مكتب المشير، كان هناك استغراب لم نفهم لـه سبباً، وكنت أعتقد أن خطابات الحاجة زينب الغزالي إلى الخارج يمكـن أن

تكون قد أسهمت كثيراً فى الإسراع بالضرب، لأنه إذا كان هــذا الأمــر قــد تسرب منهم إلى أية جهة من الجهات الأخرى ــ حسب ما كان يــرى ســيد قطب ــ فسيكون هذا أحد الأمور المساعدة لحدوث مثل هذا التصرف.

جماعة الشباب المسلم :

ونحن على أعتاب صراع دامٍ بيننا وبين الحكومة قد يؤدى إلى قتلــى كثيرين، أو يؤدى إلى القبض علينا وإعدامنا، أو على الأقــل الحكــم علينــا بالسجن لفترات طويلة، خرجت من أحد الاجتماعــات فــى منــزل "مجــدى عبدالعزيز" بالعجوزة، وسرت وحدى على الكورنيش إلــى روض الفــرج، وكانت تجول فى خواطرى دوامة من الأفكار استعرض بهــا تــاريخي مــع الجماعة، وقفزت إلى ذهني كل الأمور التى لم تعجبنى والتى أثارتنى، والتى وجدت فيها أن هناك عدم ارتياح بصورة أو بــأخرى لمــا أرى أو أســمع، ولكنى كنت أغفل الحقائق وأمر عليها ولا أقف عندها طويلاً.

وأذكر موقفاً من المواقف التى علمتها داخل الجماعة، وهو الخــاص "بجماعة الشباب المسلم"، كانت هذه الجماعة إحدى الفئــات داخــل جماعــة الإخوان المسلمين وكانت تعنى بالفكر دون العمل، وأعنى بالعمل الأمور التى كنا نعتنى بها من رحلات ومعسكرات وتدريبات، كانوا هم معنيــين أساســاً بالفكر والكتب والتأليف والخطابة، وكانوا كــأنهم جزيــرة منعزلــة داخــل المحيط، لهم مشاريعهم الخاصة وأفكارهم الخاصة، وكانت الجماعــة تقــبلهم ولا أدرى كيف !!

وقد نشأت "جماعة الشباب المسلم" وتتلمــذت علــى يــدى المفكــر الإسلامي الكبير الأستاذ "محمود شاكر"، وكانوا يذهبون إليــه، ولــست أدرى كيف بدأ الترتيب لقيامهم ؟، ولكنى أعلم أنه بدأ بعد وفاة الأستاذ البنا، كــانوا

يتلقون دراسات، وكان الأستاذ محمود شاكر يقول لهم: "قبل أن تدخلوا إلـــى هذه الحجرة اخلعوا ما برؤوسكم من أفكار مع أحذيتكم خارج الباب" .. وأكثر من ذلك كان يقول: "اخلعوا ما فى رؤوسكم من أفكار أخذتموها مــن حــسن البنا، مع أحذيتكم عند باب الغرفة". والغريب أن الإخوان كــانوا يعلمــون أن هذا يحدث ويسكتون عليه، وتساءلت ــ وأنا أسير وحدى على الكــورنيش ــ من هم هؤلاء الإخوان؟! إنهم القادة الذين استولوا على الجماعة بعــد مــوت حسن البنا.

ودارت بخواطري انفعالات مرة أخرى عن تورط الإخوان مع تنظيم الضباط الأحرار بالجيش وانخداعهم به، وظنهم أنه منهم، وهو يلعب بهم من البداية إلى النهاية، والغريب أن هؤلاء الإخــوة الــذين تورطــوا وورطــوا الجماعة معهم لم يشعروا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً، كانوا يرون الأمر على أنه مجرد خطأ، وتغافلوا عما يحدث بسببه من قتل عــشرات الألــوف مــن الأخوان الذين وضعوا ثقتهم فى هؤلاء القادة لكى يخطئوا ويجــروا الوبــال على الجميع.

ومر بخاطرى ذلك الصراع الذى حدث قديماً، ولا يزال يحدث مــع الرئاسة داخل الجماعة وتذكرت هذا الصراع الذى حدث أثناء وجود الأســتاذ البنا، بسبب خلاف بينه وبين الأستاذ "السكرى" ــ وقد كان شريكاً لــه منــذ البداية ــ والخلاف الذى وقع بينه وبين "مصطفى مؤمن" ـــ وكــان أحــد الشباب اللامع داخل الجماعة ــ وأدى هذا كله إلى انفــصال هــؤلاء عــن الجماعة، وتذكرت ذلك الصراع الذى حدث بين النظام القــديم وبــين القــادة الذين أرادوا أن يسيطروا عليه، ولما لم يستطيعوا حطمــوه وانقلبــوا علــى الجماعة وفصلوا القادة القدامى الذين قاموا بهذا العبء والجهد الــضخم مــن قديم. وشكلوا نظاماً خاصاً جديداً لم يعرفوا كيف يديرونه. هؤلاء القادة الذين اشتروا سلاحاً، ولم يعرفوا أين يخبئونه ؟ فوضعوه فى أحد المقــابر، وكــان

رجال النظام القديم فى أثرهم يتتبعونهم وذهبوا وسرقوه منهم. كل هذا الصراع الذى حدث ويحدث يوماً بعد يوم كان يمر بخاطرى وأتساءل : أهذا هو الإسلام ؟ أم أن هناك عوامل شخصية ومنافع خاصة تحرك كل هؤلاء، مرت بخاطرى الأموال التى كانت تأتى لأسر الإخوان المحبوسين فى السجن عام 1954 ــ وكانت أموالاً طائلة حتى أن أحد المليونيرات الكويتيين روى أن زكاة ماله ــ وكانت تأتى إلى مصر ــ كان يمكن أن تكفى جميع الأسر المحبوسين، ورغم هذا كان كثير من هذه الأسرة تتضور جوعاً، بينما كانت أسر بعض القادة تنعم فى رغد العيش لا ينقصها شئ.

مر بخاطرى ما رواه لنا الأستاذ سيد قطب من اختراق مخابرات الإنجليزي ورجال الماسونية لقيادة الجماعة، وكيف أن الأستاذ البنا كان يعلم بوجودهم، ولم يخبر أحداً عنهم حتى توفاه الله، فأخذوا فرصتهم وقفزوا على قيادة الجماعة وقادوها إلى حتفها، وتساءلات: هل كان الأستاذ البنا مُحقاً فى ألا يقول لأحد ممن حوله ؟! أم أن هذا كان خطأ فادحاً ؟ صحيح هم علمونا ألا نكشف مخططاً معادياً، ولا نكشف جاسوساً علينا، لأننا لو كشفناهم لزرعوا عشرات غيرهم، ووضعت مخططات أخرى تأخذ وقتاً كبيراً، ونقع فى أخطاء كثيرة حتى نكشفها.

مرَّ بخاطرى تهم التكفير التى تبادلها الإخوان بعد فصلهم من قيادة الجماعة، وكيف أن كثيراً من الإخوان الذين كنا نتلقى منهم العلم ونتلمذنا على كتبهم قد قيل عنهم إنهم كفروا، وإنهم خرجوا على الجماعة، واستخدمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى سبهم، وكأنهم ليسوا من المجاهدين الإسلاميين الذين أفنوا أعمارهم داخل حقل العمل الإسلامي، وكان يردد فى شأنهم الحديث "من فارق الجماعة قيد شبر فاضربوا عنقه"، وأى جماعة هي؟ وهل اعتبرت جماعة الإخوان المسلمين هى جماعة الإسلام، وأن هذا الحديث ينطبق عليها ؟!

وقد تعرض الشيخ محمد الغزالي لمثل هذا الموقف، فقد نعتوه بالكفر، ولكنه ــ كما قال ــ كان يسمع الكلمة ولا تغادر أذنه ثم تسقط على الأرض. وقد ناقش هذه الأمور فى كتابه القيم "من معالم الحق" ومن أهم ما ناقشه أنه تعرض لمسألة الجماعة والبيعة والسمع والطاعة وبَّين أن جماعة الإخوان ليست هى جماعة المسلمين، ولكنها جماعة من المسلمين، وهناك فارق كبير بين هذه وتلك، كما بين أن البيعة للقائد لا تعطيه الحق فى السمع والطاعة دون إعمال الفكر ومناقشة الأمور، وعدم السمع ولا الطاعة إذا تعرض الأمر إلى مسألة غير شرعية أو إلى عدوان على نفس أو عرض أو مال الآخرين.

إنه لغلو كبير، وخطأ فادح هذا الذى حدث ويحدث، وينبغى الوقوف أمامه ودراسته دراسة تحليلية شاملة، لأن ما يجرى يمس آلافاً مؤلفة من الشباب المسلم الذين يسيرون فى "بيعة" لقادة لا أستطيع أن أقول إنهم على مستوى الصحابة ــ وإن كان لابد أن يكونوا كذلك ما داموا قد تصدوا للعمل الإسلامي ــ ولكنهم تشغلهم الأمور الدنيوية كثيراً وتأكل صراعاتهم، ولا يدرون أنهم بذلك يقتلون إخوانهم ويسيئون إلى روح الإسلام الذي يعملون له، وأولى لهم أن يقفوا مع أنفسهم وقفة، وأن يراجعوا أنفسهم لأنهم سيحاسبون أمام الله حساباً عسيراً، فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى، ويعلم ما بداخل النفوس، وسيحاسب كل امرئ على ما كان بداخله وعلى ما فعل إن كان هذا الفعل قد أساء إليه أو إلى دعوته أو إلى إخوانه.

مرَّ بخاطرى بعض مواقفى مع القادة فى هذا العمل الذى كنت أتفانى فى أدائه ابتغاء وجه الله ــ كما أفهموني ــ ووجدت أنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا بكلمة قالوها حتى لا يغضب منهم أحد، وحتى يحتفظوا برأى الآخرين فيهم. وتذكرت مواقف إخوانى فى القيادة الذين كانوا ثائرين ــ أو هكذا قالوا لسيد قطب ــ عن شراء السلاح الذى كان مفروضاً أن يأتى من

السعودية: من أين هذا المال ؟ من أين هذا السلاح ؟ لابد أن نتأكد أنهــا مــن أيد أمينة وشريفة، ونسوا أن هناك أربعة آلاف جنيه أتت عــن طريــق الأخ سعيد رمضان إلى الحاجة زينب الغزالي إلى فضيلة المرشد، ولم يسأل أحــد من أين هذا المال؟ وهل هو من جيوب الإخوان أم من جيوب بعض المشايخ وهل هو رشوة مقنعة أم أنه دعم من جهة مشبوهة، أم ماذا ؟! كل هــذا لــم يفكروا فيه، ولكن المسألة كانت مسألة نفوس بداخلها شئ يأكلها دون التفكيــر فى مدى صحة هذا الفعل من عدمه .. هى نوازع النفس البشرية التى كانــت تحرك الناس، حتى ونحن مقبلون على أمر قد نلقى الله فيه.

سرحت بخواطري فى كل ذلك، وأحسست بشدة أن الرؤية قد غبشت أمام عينى ولم أعد أدرى أين الصواب وأين الخطأ ؟، وأننا نسير فى طريــق قد تورثنا المهالك، ولكن كان من الصعب التراجع، ومن الــصعب أن يعــود الإنسان بعد أن أمضى نصف حياته فى هذا الطريق وكل ما بداخله يحــاول أن يقول له: لا يمكن أن تكون قد أخطأت فى كل ما مضى، لابد أن تــنفض عنك هذه الهواجس وتكمل الطريق، وهذا ما فعلناه.

وصلت إلى منزلي، وبت ليلتي مؤرقاً، وفى الصباح بــدأت أطمــئن على إخوانى: من منهم موجود، ومن منهم قد اعتقــل، ووجــدت أن الأمــر مازال محصوراً فى مجموعة "سنفا" والتى لم يكن لنا بها أى علاقة، وفجــأة علمت أن أحد الإخوة ــ فى إحدى الأسر التابعة لأحد المسئولين فى القــاهرة ــ قد اعتقل لأنه من قرية "سنفا".

فى تلك الفترة حدث خطأ جسيم من الشيخ عبدالفتاح إسماعيل، حيــث كان له أخر هو الشيخ "على إسماعيل" كان يعيش فى المطرية وكان متحمساً ولكن عيبه أنه لا يخفى سراً .. فكان من الخطورة أن يعرف شيئاً أو يــؤتمن على سر، وقد حذرنا الشيخ عبدالفتاح ألا يفتح معه مناقشة أو جدلاً أو حديثاً،

أو يطلعه على ما نحن فيه حتى لا يكشف جناحنا فى تلك المنطقة. ولكن يبدو أن الشيخ عبدالفتاح لم يكن بهذا الحرص الذى توخيناه، فكان يـذهب لمنـزل أخيه ويجمع مجموعات من الإخوان هناك دون الالتزام بالنظام الموضـوع، كانوا يتناقشون فى السياسة، وكان أخوه الشيخ "على إسماعيل" يحضر هـذه اللقاءات، وكان يحس أن هناك شيئاً وراء أخيه، فكان يـضيف مـن خيالـه أموراً، ويجلس مع هؤلاء الإخوة وحده ويتحدث معهم، وكان هذا خطأ شديداً وقاتلاً حيث أن "الشيخ علي" كان الشخص التالي الذى اعتقل، وكل هذا كـان فى أطراف التنظيم أو من لهم علاقات غير قانونية بنا، ولكنه ــ علـى أيـة حال ــ كان خطراً علينا.

وتوالت الاعتقالات :

فى المرحلة التالية بدأنا نكثف التدريبات العسكرية حتى للأفراد الذين هم مازالوا تحت الاختبار، ولم نستثن أحداً، حتى أننا قمنا بتـدريب الأفـراد الذين كنا نرى أنهم لا يصلحون لأن يشتركوا فى شئ، دربناهم للدفاع عـن النفس، وخصصنا بعض الأماكن للتدريب وكان من بينها شقة الأخ "مجـدى" التى خصصت للتدريب على المستوى الأعلى، وشقة الأخ "مرسى مـصطفى مرسى" فى إمبابة. وكانت للمستويات الأقل، بالإضافة إلى بعـض الأمـاكن الأخرى فى المنصورة والشرقية، وكان يساعدنا فى ذلك بعض الإخوة الذين سبق تدريبهم، وزدنا الوقت المخـصص للتـدريبات، والوقـت المخـصص للإشراف على صناعة المفرقعات وقنابل المولوتوف، وقمت أنا بشراء بعض قطع الأسلحة من تجار السلاح.

بعد اعتقالات "سنفا" واعتقال الشيخ علـى إسـماعيل، قلـت لـلأخ "مصطفى الخضيري" ــ المسئول عن معتقلى سنفا ــ أنـه يجـب عليـه أن يختفى لأنه إذا حدث اعتراف من قبل المعتقلين فسوف يجر ذلك مجموعتـه،

وسوف يعترفون عليه، ولذا فقد قمنا بتدريبه، وأوجدنا له مكاناً ليهرب إليــه، وعلمنا بعد ذلك أن رجال التحقيق فى السجن الحربى تــصوروا أنــه هــو المسئول عن التنظيم، فكانوا يبحثون عنه فى كل مكان، ووزعوا صوره هنــا وهناك على أنه المسئول الأول والأخير عن هذه التنظيمات وعــن أنــشطتها المختلفة.

كل هذا كان يجرى وجهات التحقيق لا تزال تعيش فــى ظلمــة، لا يدرون ماذا يحدث، فقد كانت الضربات التى يقومون بهــا عــشوائية لعلهــم يمسكون ببداية خيط، وقد ساعدهم الحظ كثيراً فى كشف أمور التنظيم وبداية الاعتقالات الواسعة، حيث أن الشيخ "على إسماعيل" ــ الذى تــم اعتقالــه ــ كان يعرف عدداً كبيراً من الإخوة الذين كانوا يحضرون مع الشيخ عبدالفتاح إلى منزله. ومنهم من هو منتظم فــى جماعــات النظــام وفــى التــدريبات العسكرية، وبالفعل اعتقل عدد من هؤلاء، وكانت كارثة كبرى لأنهــا بدايــة كشف التنظيم بصورة أكبر، وكان منهم عدد يعرفوننى، وعدد يعرفون الشيخ عبدالفتاح إسماعيل، وكان بعضهم قد جاء إلى شقة "مرسى مصطفى مرســى" للتدريب، وبناءً على ذلك كان لابد لى ألا أبيت فى بيتى مع مجموعة أخــرى من الإخوان، وبدأنا نفكر هل نبدأ بالمواجهة أم ننتظر.

كان الأخ "إسماعيل الفيومى" قد اتصل بى وقال إنه ذاهب لحــضور احتفالات 26 يوليو بالإسكندرية وأن بإمكانه أن يقتل جمال عبدالناصر فــى هذا الاحتفال، وكان يلح علىَّ فى أن أعطيه الإذن لذلك، ولكنــى حذرتــه أن يفعل بدون أمر، لأننا نود أن نقوم بعمل متكامل وفى وقت واحد. وأننا سوف نرتب للأمر فى حينه، ومنعته من أن يقوم بتنفيذ أى شئ حتى أخطــره بــن يقوم بدوره فى الوقت المناسب.

فى هذه الفترة جاءتنى رسالة أن أذهب لمقابلة الحاجة زينب الغزالي فى بيتها، وذهبت، وكان هناك شخص يقف أمام "فيلا" تقع على مسافة قريبة

من بيتها، وكان شكله يوحى بأنه غير عربى، وكانت بيده كـاميراً، وحينما اقتربت من منزل الحاجة زينب التقط لى صورة لكنى أشحت بوجهى بسرعة حين أدركت ما هو مدبر، وأخبرتها بما حدث، فتعجبت.

وسألتها ماذا تريد ؟

فقالت : "إن الأخت حميدة قطب تريد أن تـراك". وبالفعـل قابلتها وأخبرتني برسالة من أخيها الأستاذ سيد قطب مفادها أنه يطلب منا وقـف تنفيذ أى عمل، وقال بالحرف الواحد : "أنا لا أريد زوبعة فى فنجان، إذا كنتم قادرين على تنفيذ عمل ضخم يهز أركان البلد فافعلوا، وإن لم تكونوا علـى مقدرة بذلك فألغوا جميع الأوامر والخطط المتفق عليها، وهـذا خيـر لنا جميعاً". وقلت لها: كيف نفعل ذلك وقد بدأت الاعتقالات ؟ وقد قال لنا الأستاذ سيد قطب من قبل إنه لا ينبغى أن تمر الاعتقالات بسلام ولكن ينبغـى الـرد عليها، ثم نفاجأ فى هذه اللحظة بإلغاء الأوامر المتفق عليها ! قالت : إنه يرى أن الاعتقالات خير من المواجهة الضعيفة، فقلت لها : سوف أتـدبر الأمـر. وتركتها، ونادتنى الحاجة زينب الغزالى وأنا أهمَّ بالخروج وقالت لي: لابـد من تنفيذ العمليات، وأن الأستاذ المرشد قد باركها ولابد من قتل عبدالناصـر بأى ثمن.

تركت المنزل وأنا حائر فيما نحن فيه، لأن أسوأ ما يصيب أى منشأة أو أية منظمة أو حتى أى شركة أن يكون بها قائد متردد، وأن تكـون فيها قيادة غير حاسمة، وأن تكون فيها خطط معدَّة ولكنها لا تنفذ حين يحين موعد تنفيذها.

المهم أننا التزمنا بما أراده الأستاذ سـيد قطـب، واجتمعـت بقـادة المجموعات فى منزل الأخ أحمد عبدالمجيد عبدالسميع وكان الـصدى الـذى قابلته أن نؤجل حتى نرى ما سوف يحدث، ولكن فى الوقت نفسه علينـا أن

نحتاط وأن نقوم بتهريب كل من يريد أن يهرب، وقلت لهم: أمـــامكم أمـــران لابد أن تتخذوا فيهما قراراً الآن.

أولاً : نستطيع نحن الخمسة قادة المجموعات أن نتخذ قراراً بالهرب وفى هذا تأمين كامل لأكبر عدد من التنظيم (كان التنظـيم موضـــوعاً علـــى أساس أننا نحن الخمسة الذين نستطيع أن نربط كـل المجموعـــات ببعـضها البعض وأننا إذا غبنا، وقفت الاعتقالات عند حد معين لا تتخطاه فإذا غابـت القيادة انفصلت بعض الوحدات وأصبحت منعزلة عن باقى التنظـيم). لكـنهم رفضوا هذا الأمر، فقلت لهم لم يبق إذن إلا الأمر الثانى، وهـو أن تنفـذوا العمليات. فقالوا: لقد قال الأستاذ "سيد" ألا ننفذ، فقلت لهم: فمـاذا تريـدون ؟ قالوا: ننتظر وإذا قبض علينا فهذا أولى.

والحقيقة أننى كنت ــ داخلياً ــ قد بدأ الملل يأخذ منى مداه ولم أكـن أريد أن أناقش أحداً أكثر من ذلك. وإن كنت على يقين من أننا تورطنا، وأنه ليس أمامنا إلا أن نعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه إن استطعنا أن ننقذ شـيئاً، وأن نأخذ ــ كان هذا بينى وبين نفسى ــ العظة والعبرة مما حدث، ولكن كل ذلك كان بعد فوات الأوان، وظللنا مطاردين تبحث عنـا أجهـزة المباحـث الجنائية العسكرية، لأن الإخوة الذين اعتقلوا عن طريق اعترافات الشيخ على إسماعيل، كانوا قد ذكروا اسمى، وأسماء بعض الإخوة الآخرين، وكانت كل الأجهزة تبحث عني.

ليلة القبض علىَّ :

التقينا فى منزل الأخ أحمد عبدالمجيد ــ أنا وبعـض الإخـوة مـن مجموعة القاهرة ومعنا الأخ مصطفى الخضيري والأخ مبارك عبـدالعظيم، ونقلنا جزءاً من الأسلحة والمفرقعات إلى منزل محمد عبدالمعطى ــ وكانـت شقته فوق قسم المطرية تماماً ــ وجزءاً آخر إلى شقة الأخ "ممدوح الـديرى"

فى دير الملاك، ودعوت إلى لقاء فى منزل الأخ مرسى، وكانت هذه الشقق حديثة الاستعمال ولم يعلم بها أحد.

في اليوم التالى ذهبت للقاء بعض الإخوة الذين طلبت الاجتماع بهم لنرى ما هى الخطوة التالية، صعدت إلى الشقة — وكانت فى إمبابة — ضغطت على جرس الباب وإذا بشخص لا أعرفه قد فتح لى وقال: نعم، سألته عن الأخر مرسى، فقال: تفضل .. إنه موجود .. وتصورت أنه أحد أقاربه، دخلت إلى غرفة الصالون — وكنت أعرف مكانها لأننى معتاد على الشقة — وكان الأخ مرسى قد تزوج حديثاً فوجدت مجموعة من الشباب يرتدون ملابس مدنية، وقد خرجوا من خلف الكراسى والكنب رافعين رشاشاتهم فى وجهى، كما يحدث فى أفلام السينما، هجم علىَّ أحدهم وأمسك بيدىَّ وأوثقهما بحبل كان معه، ثم أجلسنى على أحد الكراسى وأوثقنى فيه، فتش جيوبى، وجد بطاقتى الشخصية، قال لهم: "إنه على عشماوى"، وكأنهم قد وجدوا بغيتهم، أو وجدوا شيئاً ضائعاً منهم، فتوالت المكالمات بأننا وجدنا فلاناً .. وبعد حوالى ساعة — ظللت خلالها مربوطاً إلى الكرسى — حضر أحد الضباط — كما فهمت يرتدى ملابس مدنية، وعرفت بعد ذلك أنه "الصاغ رياض إبراهيم" .. ثم أخذونى ووضعونى فى إحدى السيارات، وخلفنا أربع سيارات أخرى، سألته: إلى أين نحن ذاهبون ؟ فتهكم منى، ثم توجهوا بى إلى السجن الحربي.

فى السجن الحربي :

كانت لحظة الدخول إلى السجن الحربي مشهداً فريداً. ما أن دخلت من البوابة حتى رأيت ما لا يمكن لعاقل أن يتصوره .. أناساً يصرخون وأناساً وجوههم فى الحائط .. أصواتاً عالية تأتى من مكاتب بعيدة، شباباً ملقى فى الفناء أمام المكاتب .. أشكالاً كثيرة من هذا الطراز. ذهبوا بى أمام

أحد المكاتب ــ عرفت بعد ذلك أنه المكتب الرئيسي الذى يجلس فيه "شـمس بدران" وباقى المحققين ــ وقفت ووجهي إلى الحائط وقع بصرى على حديقة مقابلة للمكتب ــ رأيت ما لم أتخيله ابداً. جاءوا ــ فى هذه اللحظات ــ بأحـد الأخوة من الشرقية وهو الأخ "محمد عواد"، وظلوا يضربونه، ألقوا بـه فـى النافورة، ركب فوقه صفوت الروبى، ظل يضرب رأسه فى حـائط الفـسقية حتى تهشمت تماماً.

كان هذا أول ما رأيت .. ظللت واقفاً لا يسأل عنـى أحـد. لا أدرى ماذا سيحدث بعد لحظات. رأيت بعض الأخوة: محمود فخرى، وكـان مـن الشباب، صغير السن، قليل الخبرة الذين حضروا مرة أو مرتين فى تدريبات الدفاع عن النفس، والأخ صلاح عبدالحق. وقد اعترف عليهما الـشيخ علـى إسماعيل الذى رأيته هو أيضاً ملقى فى جانب. رأيت عدداً آخر من الإخـوة الذين أعرفهم ويعرفوننى، أدركت بطبيعة الحال أن كل هؤلاء قـد اعترفـوا علىَّ. اعترفوا بأننى أحد المسئولين أو ــ على الأقل ــ أننى كنـت الموجـه والمدرب الذى تتلمذوا على يديه.

لحظات ورأيتهم آتين من بعيد ومعهم "إسماعيل الفيومي" الشاب الذى حكيت عنه من قبل وكان من ضمن حرس رئيس الجمهوريـة ــ خمـسة أو ستة من العسكر يحملون الكرابيج ويسوقونه أمامهم، حين رآنى صرخ فيهم، حاول مقاومتهم .. قال لي: لقد أتوا بك أنت أيضاً، بدأ فـى اشـتباك معهـم، ظلوا يضربونه حتى فارق الوعى.

ساعة أو أكثر قليلاً وأنـا واقـف أرى أشـكالاً مختلفـة للـضرب والتعذيب، كان يخرج من المكتب الـذى أقـف أمامـه أشـخاص، ويـدخل أشخاص. كل منهم يحملق فىَّ، خرج أحد الضباط وقال لى: "قل". قلت لـه: ماذا أقول ــ فكررها مراراً وكنت أرد عليه بالإجابة نفسها. فلطمنى وذهب. بعد فترة جاء أحد الضباط وأخلنى الغرفة، فى لحظة دخـولى أنقـص علـىّ

صفوت الروبى ومحمد المراكبى ومحمد عبدالعال، مزقوا ملابسى، طرحونى أرضاً فى حركة مفاجئة يبدو أنهم تدربوا عليها تنفيذها مع الجميع. فقد رأيت الكل وقد تمزقت ملابسهم بهذه الطريقة. وجدت الجالس على رأس الطاولة يقول لى : "أنت رجل المصارعة اليابانى .. إن كنت مقاتلاً حقاً، فصارع صفوت أمامى"، تجاهلت قوله ولم أرد عليه.

حفلة التعذيب :

كانت المكاتب موضوعة فى الغرفة على شك حرف "يو" يجلس فى قمتها شمس بدران والعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية وعدد آخر من الضباط.

بدأت حفلة التعذيب ــ كما كانوا يسمونها ــ استمرت حوالى عشر ساعات متصلة، بدأت ــ كما قلت ــ بأن طرحوني أرضاً، ثم مزقوا ملابسي، وأوثقوا يدي ووضعوهما مع قدمى ووضعوا بينهما "ماسورة" حديد، ثم علقوها فوق كرسيين، فصرت معلقاً ــ رأسى أسفل، وقدماى ويداى مربوطتان بالحديدة المشدودة على الكرسيين، بدأ حاملوا الكرابيج الثلاثة: يضربون فوق قدمى بثلاثة كرابيج فى أيديهم، استمر الضرب نصف ساعة تقريباً، ثم أنزلوني، وقال لى شمس بدران: "لقد اعترفوا عليك، ونعلم أنك أنت الجوكر".

طلب منى أن أعترف، قلت له: لا أعلم شيئاً، علقوني مرة أخرى وبدأوا يضربوني من جديد، ظل الحال على هذا المنوال أربع أو خمس ساعات، ثم فكوا يدىَّ وأجلسونى على كرسى، وأحضروا لى فنجاناً من القهوة، بدأ جلال الديب ــ نائب الأحكام ــ يحدثنى عن ورقة فى يده مكتوب فيها بعض مواد القانون، كانوا يعرضونها على كل من يدخل هذه الغرفة كإحدى وسائل التأثير عليه حتى يعترف بسرعة، كانت إحدى

مواد القانون تبين أن من ساعد السلطات فى القبض على التنظيمـــات يقـــدم كشاهد، ويعفى من العقوبة أو شئ من هذا القبيل، الحقيقة أننا كنا قد درســـنا مثل هذا الأسلوب داخل الجماعة وعلمنا جيداً أنها إحدى وســـائل التحقيقـــات وأنها مسألة غير جادة.

ومع هذا فقد قلت لهم: إننى لا أعرف شيئاً، ولو كنت أعلم شيئاً لقلته لك، علقونى مرة أخرى، وتجدد الـــضرب حـــوالى ســـاعة، ثـــم أنزلـــوني. ليعرضوا علىَّ الأمر من جديد لأجيبهم بالإجابة نفسها .. ويعلقونى مرة ثالثة، وظلوا يضربوننى حتى فارقت الوعى ولا أدرى كم من الوقت ظللت مفارقـــاً الوعى. لكنى وجدت نفسى وهم يحاولون إعادتى إلى رشدى مرة أخرى وقد أعطونى "ماء وسكر" حتى أستعيد حيويتى بعض الشئ ليداوموا تعذيبي لأنهم ــ لعى ما يبدو وكما قال شمس بدران ــ كانوا فى ســـباق مـــع الـــزمن لأن يوقفوا تنفيذ أى من العمليات ضد الدولة. علقونى مرة أخرى ــ بعد أن أفقت ــ وبدأ الضرب بالكرابيج، كنت قد بدأت أحس بالضعف وبعـــدم ســـيطرتى على عضلات جسدي، فى هذه اللحظة ــ إذ بـــشخص طويـــل أبـــيض وذى شوارب ضخمة وشعر أشيب يدخل الغرفة. رأيت شمس بدران يقـــول لـــه: تفضل يا باشا .. وقال لى شمس بدران: إن لم تعترف فإن الباشا سوف يتكفل بك. واقترب منى "الباشا" ــ وأنا معلق ــ ووضع إصبعيه علـــى حنجرتـــى وأخذ يضغط ببطء وفن ــ وكأنما هو أستاذ فى مهنته ــ علمت بعد ذلك أنـــه "حمزة البسيوني" الشهير، ظل يضغط على جنجرتى حتى كنت بين الإغمـــاءة والإفاقة، ولا أدرى كنت إلى أيهما أقرب، كان ــ حين أكـــون أقـــرب إلـــى الإغماءة ــ يتركنى حتى أفيق وأتنفس، ثم يضغط مـــرة أخـــرى، إنـــه فـــن مدروس كان يمارسه بشدة وبفن ومقدرة.

ثم قالوا لي: اعترف. قلت: لا أدرى شيئاً .. فقال لهم: ابعدوا عنـــى وأعطونى كرباجاً واحداً، وسوف أجعله يركع ويعترف بكل ما نريـــد. وبـــدأ

يضربنى، كان يعمل على أن تأتى ضربته علـى إحـدى .. الخـصيتين .. بطرف الكرباج، وكان لا يخطئها مرة، ظل على هذا الحال مـا لا يقـل ولا يزيد على ربع ساعة. بعدها فقدت السيطرة على كل شئ فى جسدى، انهـار جسمى انهياراً كاملاً، لم أستطع أن أحرك شيئاً، ولا عضلة مـن عـضلات جسمى أحسست أن عقلى مشلول.

أنزلونى وأنا فى هذه الحال، لا أدرى ماذا أقول، كنت أسمع حـديثهم وكأنه آت من بعيد، لم أكن أعى ما يخرج من فمى أو ما هى الـردود التـى كنت أرد بها عليهم، لم أكن أحس هل أنا فاقد الوعى أو متيقظ، لكنى كنت ــ وهذا ما أذكره جيداً ــ فاقد السيطرة على كل عضلات جسمى حتـى أننـى أستحى أو أقول ما حدث لى بعد ذلك. قلت لهم: إننى سوف أعتـرف علـى مكان السلاح حتى لا يستخدم وتكون المذبحة التى توعد بها شـمس بـدران لجميع الإخوة الموجودين فى السجن إن وقع أى حادث فى الخارج. وأكـون أنا مسئولاً عنها .. فإننى لا أحتمل مثل هذا العبء النفسى، ولم يكن الـسلاح بالكثير، لكنه كان فى مكان واحد ــ فى شقة المطرية ــ وجزء يسير منه فى شقة دير الملاك عند الأخ ممدوح الديري.

أعطونى كأساً من الليمون بها الكثير من السكر، شـربتها وتمالكـت نفسى، بدأت أحس بعودة الدورة الدموية إلى مكانها، كانت ملابسى ممزقـة، فأحضروا لى "سترة" مما يلبسه الجند، لبستها، وأحضروا سيارة، وذهب معى المقدم نور الدين عفيفى والرائد محيى العشماوى، واتجهنـا إلـى المطريـة فوجدوا السلاح والمفرقعات، ثم ذهبنا إلى شقة "ممدوح الديرى" فوجدوا مـا فيها وعدنا مرة ثانية إلى السجن الحربي.

فى عنبر النساء :

بعد عودتنا كانوا يشعرون بأنهم قد سيطروا على الموقف، وفوجئت باللواء حسن طلعت يجلس مع مجموعة التحقيق فى غرفة شمس بدران واستمع إلى اعترافى بوجود السلاح، وشكل التنظيم وأعضاء القيادة، وكان هذا هو كل ما اعترفت به فى هذا اليوم، وكتبت هذا الاعتراف وبه تسعة أسماء، وأعطيته لشمس بدران، ونتج عن فترة التعذيب أن تورمت ساقاي وملاهما الصديد، وكنت أنقل من مكان إلى مكان على "محفة" يحملها إثنان من الجند، ولم يضعونى ـــ بعد ذلك ـــ مع الإخوان فى السجن الكبير ـــ كما كانوا يسمونه ـــ ولكنهم وضعونى فى غرفة انفرادية فى عنبر صغير بجوار المكاتب كانوا يضعون فيه المعتقلات من النساء، وكان عليه حراسة شديدة حتى أنه لا يكاد أحد يعلم بوجود هذا العنبر داخل السجن، وكنت أنتقل من غرفتى إلى مكان التحقيق يومياً من العاشرة صباحاً حتى الرابعة من صباح اليوم التالى، وظللت على هذه الحال ستة أشهر على الأقل.

تم اعتقال عدد كبير من الإخوان ـــ بعد ذلك ـــ ومنهم الأخر مبارك عبدالعظيم الذى اعترف على جميع الأسماء الموجودة فى القاهرة دون أن يُضرب أو يتعرض لأى نوع من أنواع التعذيب، ويبدو أنه قد استفاد من خبرته القديمة حين كان محبوساً عام 1954، وحكم عليه بعشر سنوات، حيث تأكد له ولغيره أن النتيجة النهائية للتعذيب هى الاعتراف. وهذا ما وجدته ورأيته بعينى، فكل من اعتقلوا ـــ بلا استثناء ـــ قد اعترفوا بأقل "وجبة" من وجبات التعذيب التى رأيتها.

لكن الغريب أن بعض الضباط المنوط بهم التحقيق مع الإخوان كانوا يسرفون فى ضربهم دون سبب واضح، وحتى بعد أن يعترفوا، ولم أكن أفهم لماذا ؟ هل هى شهوة التعذيب، أم أنها نوع من السادية، ولعلى أخص بالذكر ما كان يفعله أحدهم وكان برتبة رائد. فقد كان حين يدخل إليه أحد الإخوان

يقول: علقوه، واضربوه مائة كرباج، قبل أن يسأله فى أى شئ. فيقــول لـــه: أريد أن أعترف. فيرد: لا أريد اعترافك. لابد أن تُضرب أولاً. ويــضربونه ثم يعترف ثم يضربونه مرة ثانية ثم يقول الكلام، نفسه ويضربونه مرة ثالثة، المهم أن يتم الضرب وأن يتم التعذيب.

انهيارات واعترافات :

وقد تم تقسيم مكاتب التحقيق كالآتي :

- المكتب الرئيسى برئاسة شمس بدران ومعه حسن خليل وجلال الديب والجنزورى.
- مكتب ثان يقوم بالتحقيق فيه العميد سعد عبدالكريم.
- مكتب ثالث يقوم بالتحقيق فيه الرائد رياض إبراهيم.
- مكتب رابع يقوم بالتحقيق فيه الرائد حسن كفافي.

كانت هذه المكاتب الأربعة تعمل 19 ساعة يومياً على الأقل دون كلل أو ملل، تدخل إلى السجن الحربى فتسمع صراخاً آتياً من كل مكـــان، وتـــسمع أصواتاً شديدة يدمى لها القلب، ولكن هذا كان قدرنا، وأعتقد أننا قد جلبنا ذلك على أنفسنا، وكان لابد أن نعترف بذلك بيننا وبين أنفسنا.

وبعد بداية التحقيقات ظهرت الانهيارات فى كل من تم معه التحقيـــق، كانت الاعترافات كثيرة، وكل واحد أضاف من مخيلته أموراً لم تكـــن فـــى الحسبان. ولم تكن فى التخطيط حتى أن أحد الأخوة صغار السن وهـــو الأخ "محمود فخرى" كان على ما يبدو يكره الممثلين والممثلات والمغنين فجلـــس فى منزله وكتب ورقة تخيل فيها كل من يريد أن يقتله من الفنانين والفنانات. وكتب "كشفاً" كاملاً بهذه الأسماء، وتصور كيف يتم نـــسف مبنـــى الإذاعـــة والتليفزيون وكتب أشياء غريبة جداً لم نكن نعلم بها، واحتفظ بها فى مكتبـــه، ولما ذهبوا للقبض عليه وجدوا هذه الورقة. وكانـــت أحـــد الأشـــياء التـــى

استعملت لتشويه سمعتنا أكثر مما كانت لدرجة أنهم قالوا: إنه يريد قتل "شكوكو" و "أم كلثوم" .. وغيرهما من الفنانين وكانوا قد أتوا بمجموعة التليفزيون بقيادة "حمدى قنديل" ومعه أحد المخرجين وكانوا يقومون بعمل تسجيلات لاعترافات بعض الإخوة وكان تسجيل الأخ محمود فخرى إحدى "الخبطات" الصحيفة ــ كما كانوا يسمونها ــ والتى كان لها دوى شديد فى التشهير بنا ويعملنا.

وحدثت مسألة طريفة جداً أثناء التحقيقات، فقد كان المخرج المصاحب للأستاذ حمدى قنديل ــ ولا أدرى ما السبب ــ يجد الإخوان واقفين ووجوههم إلى الحائط، فكان يخرج ــ كنوع من العبث واللهو ــ يضرب هذا ويصفع ذاك، ويركل ثالثاً. وكأن هذه الأجساد ملك مشاع لمن يضيف إلى ما هم فيه من عنت وعذاب. وقد ساءنى هذا المنظر جداً، وأنا جالس خارج المكاتب منتظراً دورى فى التحقيق. ولما دخلت إلى مكتب التحقيقات إذا بهذا المخرج يدخل الغرفة نفسها أمام شمس بدران فقلت له: إننى رأيتك من قبل. ألا تذكر ؟ فتنبه شمس بدران ــ وأعتقد أنه يمكن أن تكون له علاقة بالإخوان، وأصفر وجه هذا المخرج وهرب الدم من جسمه وقال أين رأيتنى ؟ قلت له: فى الإسماعيلية، والغريب أنه قد اتضح بالفعل أنه من الإسماعيلية، وظل فى رعب لمدة ساعة على الأقل، وكنت أقصد بذلك أن أعطيه درساً ألا يخرج عن حدود عمله، فهو هنا يؤدى عملاً وليس لتعذيب الناس بدون سلطان له عليهم، ولما فهم شمس بدران ما أردته لم يعترض.

****

حدث أن كان بعض الأخوة مثل فتحى رفاعى وعوض عبدالعال فى الجزائر، وكنا نعرف أنهما بعيدان عن مصر، فحملتهما بعض الأعباء التى كنت أرى أننى أحمى بها أشخاصاً آخرين ولكن كانت المفاجأة أن يتم تسليم هذين الأخوين من الجزائر بمساع من شمس بدران ونفاجأ بأنهما يتم التحقيق

معهما على أمور لا يفعلها. وكان لابد من تصحيح الأمـــر وأن نرفـــع عـــن كاهيلهما ما وضعناه، وكنت أنا المنوط به أن يفعل ذلـــك، ففـــى كثيـــر مـــن الحالات كان بعض الإخوة يتنكر لجزء مما فعل ويلقيه على شـــخص آخـــر، ووجدت أنه مادام اعترف الجميع أننا لن نستطيع أن نخفى شيئاً، فعلى الأقـــل لابد أن يحمل كل وزر ما فعله، وأن يتحمل نتائجه حتى النهاية، وهذا أبـــسط ما يمكن أن يفعله أى إنسان فى مثل هذه الظروف، وكان هـــذا هـــو دورى طوال فترة التحقيق أن أرد الأمور إلى مكانها.

حدث الشئ نفسه بين الحاجة زينب الغزالي والأخت حميـــدة قطـــب فحينما عذبت الحاجة زينب طلبوا منى أن أواجهها بما فعلت ـــ وكانـــت قـــد أنكرت جزءاً منه ووضعته على عاتق حميدة قطب. فقلت لهم: إنها فعلت كذا وكذا. وحميدة قد فعلت كذا، وأنه لابد لكل واحد أن يتحمل نتيجة فعله، ومـــن يومها والحاجة زينب الغزالى لا تغفر لى هذا الموقف، حتـــى أنهـــا كتبـــت تهاجمنى بشدة وتفترى علىَّ افتراءات تعلم هى أنها غير صـــحيحة، وســـوف نعود لهذه النقطة مرة أخرى فى حينه.

حدث مثل هذا بين كثير من الإخوان، وبينما كان بعضهم ينكر تمامـــاً ما حدث ويلقيه علىَّ، كنت أرد عن نفسى وأقول: أننى فعلت ذلك، وأن فلانـــاً قد فعل ذلك، وكان ينبغى أن تسير الأمور على المنوال نفسه مادام الجميع قد اعترف ولم ينج أحد.

الغريب أن الأمور لم تقف عند حد القبض علـــى تنظيمنـــا، ولكنهـــا تعدت ذلك إلى القبض على آخرين فحتى جماعة مثل جماعة الدعوة والتبليـــغ ـــ وقلت من قبل إنها لا تعادى الحكومات وتعمل من خلال رضـــاء الـــدول والحكومات عنها ـــ حتى هذه الجماعة لم تسلم من الاعتقال، وكانوا معنا فى السجن الحربى، وكان الأستاذ فريد العراقى على رأسهم، ولـــم يـــسلم مـــن الاعتقال أيضاً أشخاص آخرون مثل رشاد مهنا، والأستاذ فؤاد سراج الدين،

والأستاذ عبدالعزيز على، وعدد كبير من الشخصيات العامة التى مـا كنـت أتصور أنها تعتقل مثل الأستاذ محمود شاكر الذى لا أدرى سبباً لاعتقاله فـى مثل هذه الأيام ولكن هذا ما حدث.

****

كان دور السيد جلال الديب أن يكـون رفيقـاً معـى، بينمـا كـان المفروض ن يكون العميد سعد عبدالكريم شديداً وقاسياً، ويكاد يكـون علـى وضع اضطهاد لى، وكلها كانت تقسيم أدوار حتى يتم لهم ما يريدون.

كان فى مكتب السيد شمس بدران ثلاثة تليفونات: أحدها عام، واثنان تحت المكتب واحد منهما يوصله بالحلمية، والثانى يوصله بالمنـشية. وكـان هذا معناه أن أحدهما يتصل بمنزل الرئيس عبدالناصـر، والآخـر بمكتـب المشير عامر، وكان معهما أولاً بأول فى إعطاء التفصيلات.

وأذكر أننى حينما قلت له إننى سوف اعترف على السلاح أنه طلـب منشية البكرى والحلمية وأخطرهما بذلك. وأذكر أن تصرفات رجال التحقيق معى كانت فى البداية غريبة حتى فهمت معناها بعد ذلك فكانوا ــ بعـد أيـام من التحقيق ــ قد أمروا بأخذ ملابسى إلى المنزل لتنظيفها، وأن تحضر إلـىَّ ملابس أخرى نظيفة، كانت السيارة تأتينى بملابس نظيفـة و"مكويـة" مـن منزلي. وكنت ألبسها داخل السجن، وفهمت بعد ذلك أن هذا كان مقصوداً بـه أمرين: أحدهما أن تذهب ملابسى الملطخة بالدماء إلى أسرتى فتجعل الرعب يندس فى قلوبهم والهلع والحزن يخيمان على المنزل ويعيشون فى جو قريب مما أنا فيه، والأمر الثاني: أنه حين تأتينى ملابس نظيفة ألبسها فـى الـسجن يكون ذلك عاملاً مساعداً على رواج الشائعات التى بدأوا يبثونها من حـولى، وساعدهم على ذلك أيضاً أنهم وضعونى فى مكان لا يعلم أحد بوجودى فيـه، وهو العنبر الموجود به النساء المعتقلات.

بدأوا يشيعون أننى كنت ضابطاً مندساً على الإخوان ولـذلك فـإننى

أعامل معاملة حسنة وبدأوا يشيعون أننى أذهب لأبيت فى بيتى كل ليلة وأتـــى بملابس جديدة .. وقد زاد من تأثرى أن الإخوان قد صدقوا هذه الأقاويل، فقد قيل للأخ أحمد عبدالمجيد ــ وكنت قد تزوجت من أخته ــ إننى أذهب إلـــى بيتى كل يوم وآتى فى اليوم التالى للتحقيق وصدق هو ذلك، وطلبوا منـــه إن كان يريد ملابس أن يكتب كشفاً بالملابس التى يريدها وأننى الـــذى ســـوف أحضرها له. وفعلاً كتب الكشف وأعطاه لهم .. ولما قابلته قلت لـــه : "كـــان لابد أن تستعمل عقلك ولا تصدق مثل هذه الأقاويل" .. ولكن اتضح ــ بعـــد ذلك ــ أن مثل هذه الأمور ضرورية جداً للإخوان ليصدقوها ويعيشوا فيهـــا، ويلقوا اللوم ويعلقوا ضعفهم وفشلهم على أحد مـــن النـــاس يعتبرونـــه هـــو المسئول عما حدث، ويعتبرونه هو الذى ساقهم إلى ذلك ويعيـــشون راضـــين تماماً كما فعلوا معى.

كان هذا ما قاله لى الأخ "مجدى عبدالعزيز" حينما التقيت بـــه فيمـــا بعد، وكنت أعاتبه على بعض التصرفات التى صدرت منهم وكان يقول لـــى: "لقد كنت الشماعة التى علق عليها كل واحد ضعفه". ورغم هذا فلـــم تمنعـــه قولته تلك من أن يستمر فى ذلك لأنهم كانوا دائماً ــ ولا يزالون ــ يحبـــون ألا يغضبوا القاعدة، حتى وإن تم إعدام الحق، حتى ولو بالكـــذب والافتـــراء على أحد الناس.

كانت هذه هى أساليب رجال التحقيق معى ولم يكن بوسعى أن أغير شيئاً من ذلك. فكلنا كنا مسيرين فى شئوننا، لا يملك أحد أن يعيش فى زنزانة غير التى خصصت له. وأذكر فى هذا الخصوص أن الأخوات اللاتى كنـــت أسكن فى غرفة يضمها العنبر الخاص بهن، كن يروننى وأنا منقـــول علـــى "المحفة" التى يحمها اثنان من العسكر ــ من ثقب الباب، ولا يخلدن للنـــوم إلا حينما يروننى عائداً فى الرابعة صباحاً، ويدققن على الحـــائط الـــذى بينـــى وبينهن ولا يسكتن حتى أدق لهن على الحائط، فيعرفن أننى بخير، ومازلـــت

أعيش، وكان هذا عزاء مهماً، أن تحس ببعض الناس الذين يتعاطفون معــك فى محنتك رغم قسوة الأمور وشدة المحنة التى كنا فيها.

ومن الأمور الخطيرة التى حدثت أثناء التحقيقات: موت عــدد مــن الإخوة أثناء التعذيب وعدم تسليم الجثث إلى أهاليهم أو حتى الإعــلان عــن موتهم. وكان يذاع أنهم هربوا من السجن، وكان الأهالى يصدقون أن ذويهــم قد هربوا، لكن الحقيقة أن هؤلاء الإخوة كانوا قد لقوا حتفهم أثناء التعــذيب، وكانت هناك إجراءات محددة تتم فى السجن حين يموت أحد الإخوان أثنــاء التعذيب، وهى أن يتم إظلام كامل السجن، ويوضع القتيل فى بطانية ويــودع فى سيارة جيب، ومعه بعض العسكر، ويذهبون به إلى مكان يعرفونــه فــى الجبل، ويحفرون حفرة، ويضعونه فيها، ثم يهيلون عليه التــراب، وتنتهــى المسألة بهذا الشكل، ولا يعلم أحد بما حدث له.

أذكر من هؤلاء الأخ "رفعت بكر شافع" ابن أخت سيد قطــب الــذى دخل إلى غرفة التحقيق ولم يستمر أكثر من نصف ساعة وتوفى بين أيــديهم، رغم أنه كان شاباً رياضياً فى الخامسة والعشرين من عمره. وأظلم الــسجن، ووضع فى بطانية وأخذته السيارة إلى مكان الدفن، أيضاً أذكر مــن هــؤلاء الإخوة: محمد عواد، وإسماعيل الفيومى، ومحمد على عبدالله.

حميدة قطب فى زنزانتي :

بدأت تحقيقات النيابة، وكنا نذهب ومعنا الأوراق التى اعترفنا بها فى تحقيقات المباحث الجنائية العسكرية، وتبدأ نيابة أمن الدولة برئاسة "صــلاح نصار" فى أخذ أقوالنا. فى هذه الأثناء كنت لا أزال أسكن فى العنبر الموجود به الأخوات المعتقلات. وفى صباح أحد الأيام ــ وقبل أن يستدعونى للتحقيق ــ فوجئت بزنزانتى تفتح. وتدخل الأخت "حميدة قطب". أصبت بذهول شديد، فلو رآنا أحد فسوف يجعلون من الأمر فضيحة. وقالت لى إنها مدفوعة بمــا

قالته عنها الحاجة زينب الغزالي، لأنها قد افترت عليها كثيراً فى التحقيقات وادعت أنها هى التى قامت بكل الأدوار. وكانت فى يدها ورقة مكتوبة أعطتها لى وقالت: "إقرارها بسرعة وأرجوك ساعدنى، ثم أعدم الورقة حتى لا تصل إلى يد أحد". وسألتها: كيف دخلت الزنزانة؛ فقالت إن الأخت أمينة تقف عند الحمامات تتحدث مع الحارس، وقد غافلته واتفقنا معاً على ذلك.

كان بالورقة كل ما قالته الحاجة زينب الغزالي عنها، والأمور التى تريدنى أن أصححها فى تحقيقات النيابة، وبهذا أكون قد وضعت الحق فى نصابه، وقد رفعت عنها الظلم الذى يمكن أن يلحقها إذا تحملت هى وحدها كل هذه الاتهامات. ولو أن هذه الأدوار تحملتها أخت واحدة فسوف تأخذ حكماً بالإعدام، أما إذا وزعت الأدوار، واعترف كل واحد بدوره فيمكن أن نخرج من حكم الإعدام، أما إذا وزعت الأدوار، واعترف كل واحد بدوره فيمكن ن نخرج من حكم الإعدام إلى أحكام بالسجن للأختين، ولذا فقد قررت أن أقول الحقيقة وأساعدها وكان هذا أحد الأمور الأخرى التى أغضبت الحاجة زينب الغزالي.

حدث بعد ذلك أن الأخت "حميدة" أرادت الاتصال بالأخ "محمد يوسف حواش" للغرض نفسه. وكان هو قد التقى بى مصادفة أثناء التحقيق واقترب منى وسألنى: هل يمكن أن نخرج حميدة قطب من القضية ونتحمل أدوارها، فأخبرته بأن الأدوار قد انكشفت وأن كلاً قد قيل عنه ما قيل، ولا يمكن العدول عن ذلك الآن، لأنه سيكون محفوظاً بالمخاطر ونتائجه غير مضمونه فوافقنى على رأيي.

وعلمت أن الأخت حميدة اتصلت بمنزلها، وكانوا يحضرون لها ملابس كل أسبوع على باب السجن، وجعلتهم يدسون خطاباً فى ملابس الأستاذ "حواش" يحمل المعنى نفسه، وأخبرته فيه أنها قد اتصلت بى، وأثناء

تفتيش ملابس "محمد يوسف حواش" تم العثور على تلك الورقــة، وعلمــت الإدارة بما حدث بينى وبين حميدة قطب واستدعونى للتحقيق الذى كان يقــوم عليه السيد جلال الديب، وكان غاضباً جداً لأننى لم أبلغه بذلك. وأخبرته أننى لم أر فى الأمر خطورة أو شيئاً غير عادى، وأخبرته أنهم لابد أن يساعدوها، لأنه ليس من مصلحة أحد أن نحمل شخصاً ما فعله شخص آخر.

أذكر أيضاً إحدى الوقائع المهمة ــ والتى أسجلها للتاريخ ــ أن أحــد رجالات التنظيم القديم ــ وكان موجوداً أثناء التحقيق، يحقق معــه ويُعــذب أيضاً ــ فى مرحلة من مراحل اعترافاته فوجئت بالعميــد ســعد عبــدالكريم يخرج من غرفة التحقيق ــ وكنت أجلس بجوارها، ويأخــذني ويــأمرنى أن أسير بحذر حتى لا يحس بوجودى الشخص الجالس أمامه، وقال لي: أريدك أن تسمع ما سوف يقول: وسمعت ما قاله هذا الشخص للعميد ســعد: قــال: كيف تتهمونى بأننى أقوم بأعمال ضد الدولة فى هذه المرحلة ! هل نسيتم أننا نحن الذين سلمنا النظام لرجال الثورة عام 54 ؟ وهــل نــسيتم أننــا قــدمنا "كشوفاً" بأماكن الأسلحة ومخازن السلاح ؟ وهل نسيتم أننا قدمنا تقارير كاملة عن نشاطات السيد منير الدلة ورفاقه، كل هذا فعلناه، وتأتون الآن وتتهموننى أننى أعمل ضد الثورة .. إنى لا أقبل ذلك.

عندما سمعت هذا الكلام لم أصدق أذني، لأنني ما كنت أظن لحظــة أن الأمر قد وصل إلى هذا الحد عام 1954، ولو أن أحداً آخر قد أخبرنــى بذلك عن مثل هؤلاء الناس لكنت قد كذبته، فلست من الذين يحبون أن يأخذوا بالشبهة أو يشيعوا أن فلاناً جاسوس أو عميل واعتبر ذلك من شيم الــضعفاء ولست منهم.

تمثيليــة :

هدأت التحقيقات قليلاً، وجاءت تعليمات بعلاج ساقى مما كان بها من التهاب وتورم، بعد أن وصل الأمر إلى إصابتها بعفن شديد أدى إلى وجـود رائحة كريهة فى الغرفة، صدرت تعليمات مـن شـمس بـدران بعلاجـى، وعولجت وتم نقلى إلى عنبر آخر يضم بعض الأخوة المحبوسين الذين تمـت التوصية عليهم من جهة أو أخرى. وكان من بيـنهم الأخ المرحـوم حـسن عبدالغنى، والحاج عبدالرزاق هويدي، والقبطان عز الدين صادق ــ مرشـد فى قناة السويس ــ وخضر عبدالرحمن "أبو كبير شرقية" والحـاج صـادق المزينى "غزة" والحاج عبدالحميد رضوان "منطقة الأزهر". ثم انضم إلينا بعد ذلك الأستاذ جمال الشرقاوى والدكتور معتز المرزوق ــ طبيب عيون فـى شبين الكوم ــ وكانت المجموعة كلها تعيش بطريقة متجانسة، وعشت معهـم لمدة أشهر.

لما قرب الوقت الذى سنذهب فيه إلى المحكمة سمحوا لنـا بـبعض الملابس المدنية التى أتوا بها من منزلي، كانوا كل يوم يأخذونني ويضعونني فى سيارة السجن التى تذهب بنا للمحكمة، وكان قد تحدد أن تبـدأ المحاكمـة برئاسة "الفريق الدجوى" .. وكان معروفاً نه أن إنسان عنيف، وكان واضحاً أن المحكمة معدة ومجهزة، وأن الأحكام معدة من قبل السيد شمس بدران.

المهم .. بدأت المحاكمة وجلست فى قفص الاتهام ــ وكنـت المـتهم الثالث فى القضية ــ وكان عن يمينى الأستاذ "محمد يوسف حواش" وبجواره الأستاذ سيد قطب، وعن يسارى الشيخ عبدالفتاح إسماعيل، وحينمـا بـدأت القضية لم أقم بتوكيل محام، فانتدبت لى المحكمة أحد المحامين الذي لـم أره إلا ساعة أن جاء يترافع عنى. دخل المحامى قاعة المحكمة وقال: أين علـى عشماوي؟ قلت له: أنا، فقال: أنا المحامي الذى سوف أترافع عنـك، ووقـف

أمام القاضى. وكانت هناك أمور لم أعترف بها. فقال للقاضى "إن هذه الأمور نعترف بها، ولكنا نطلب الرحمة لأننا تعاوناً مع التحقيقات" وذهلت، فلا أدرى من أين أتى بهذه الأقوال. فأنا لم أجلس معه، ولم أعلم خطته فى المرافعة ماذا ستكون، لكنى على أية حال كنت أعرف ــ منذ البداية ــ ما نحن فيه، ولهذا حين نادتنا هيئة المحكمة وسألت كل فرد: هل أنت مذنب ؟ فقال الجميع: أنا غير مذنب، إلا أنا فقد قلت: نعم أنا مذنب، وكنت أعنى بهذا أن المسألة منتهية فأصدروا أحكامكم وانهوا هذه المسرحية على أية صورة من الصور. لكنهم قالوا لي: "سوف نعتبرك غير مذنب .. اجلس .." وبدأت المحاكمة بهذا الشكل، وكنا فى القفص حوالى ما يزيد على الأربعين، وكان معنا زينب الغزالي وحميدة قطب.

بدأت المحاكمة بمرافعة من السيد صلاح نصار ... كان يصول فيها ويجول، ويفند أدوار كل منا، ويطلب أقصى العقوبة، ثم اختتم مرافعته بقول الحجاج: "إنى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها". وعلمنا أن المسألة سوف يكون فيها أحكام بالإعدام. المهم كانت هذه المحاكمات فرصة أن أرى الأستاذ سيد قطب والأستاذ حواش، وباقى الأخوة، فقد كنت منعزلاً عنهم طوال هذه الفترة.

كان هناك كثير من الهمس فى قاعة المحكمة، يبثه رجال المباحث الجنائية أننى ضابط سابق، وأننى دسيس على الإخوان، حتى أن مثل هذه الأقاويل قد وصلت إلى هلى وهم يجلسون فى قاعة المحكمة، وعلم بذلك الأخ يوسف حواش من زوجته، وأخبر سيد قطب بها، ومال الإثنان علىَّ وقالا لي: طبعاً نحن لا نصدق .. نحن نعلم كل شئ عنك، ولكن ينبغى الرد العملي على هذه الأقاويل، وذلك بأن نظل نتحدث سوياً بمودة أمام الجميع، لكنى

كنت أعلم أن مثل ذلك لا يجدى .. ومع هذا فقد نفذت ما أشارا به، لأن الإخوان بطبيعتهم يحبون أن يتهمون بعضهم بعضاً بالخيانة والعمالة، فإذا أردت أن تقول لهم إن هذا لم يحدث زادوا فى الأمر وقالوا إنك عميل للمباحث، تقول لهم: لا .. يقولون: إذن فأنت فى المخابرات، تنفى ذلك فيقولون: إذن أنت عميل للأمريكان .. المهم أن تظل عميلاً لأحد، فهم لن يرضوا بعد ذلك حتى يصدقوا أنفسهم ويصدقوا ما يحلو لهم من الأقاويل. والغريب أن أحد ضباط المباحث العامة، وكان يحضر المحاكمة يومياً، اقترب من القفص وسألني فى همس: "أنت رتبتك إيه؟ نقيب واللا رائد، ولا أكثر من كده ولا أقل من كده؟". وعلمت أنه هو ـ أيضاً ـ يصدق أننى أحد الضباط المدسوسين على الإخوان، وضحكت فى نفسى وقلت له: "إحسبها زى ما تحسبها .. المهم أنكم تتبسطوا كلكم".

فى هذه الأوقات كان قد أفرج عن الأخت "أمينة قطب" وكانت تجلس بين صفوف الأهالي وتقول لكل أخ يخرج من القفص للمثول أمام القاضى: "تحدث عن العقيدة لابد أن نجعل من ذلك مظاهرة للحديث عن العقيدة". وكان هذا الخط هو الذى يراه الأستاذ سيد قطب، وأن نعتبرها فرصة للحديث عن جاهلية المجتمع، وجاهلية الحكومة، والحديث عن أفكارنا العقيدية.

استمرت المحاكمة أكثر من أربعين يوماً، كنا نخرج من السجن، ونعود فى الثالثة ظهراً ولم يكن هناك أى إحساس بأننا فى محكمة، ولكن إذا تصادف أن أنكر أحد الأخوة ما قاله فى التحقيق يعود مرة أخرى إلى السجن فى اليوم نفسه ويضربونه، ويعود فى اليوم التالى ليعترف أمام المحكمة بأنه كان كاذباً فى اليوم الأول.

كان الذهاب إلى المحكمة عبئاً نفسياً ثقيلاً، لهذا كنت سعيداً حين

انتهت، وظللنا فى انتظار إصدار الأحكام. وكانت فترة نسمع فيها ما يجرى فى السياسة وفى الصراع الدائر على السلطة فى مصر، خاصة أن السيد شمس بدران كان قد نال مكافأته على تقديم هذه القضية إلى المحكمة بهذه الصورة، كانت المكافأة هى تعيينه وزيراً للحربية. وكنا نتابع الأخبار التى ترد إلينا عن الصراع السياسى واحتمالات الصدام العسكرى بيننا وبين إسرائيل، واستعداد مصر لهذا الموقف، وخطابات الرئيس عبدالناصر بهذا الخصوص، وكانوا يذيعونها داخل السجن حتى يسمعها الجميع.

منطوق الحكم :

كنت على يقين بأن الأحكام بالنسبة لمجموعة القيادة الخمسة ومعهم الأستاذ سيد قطب سوف تصدر بالإعدام، ولكنى لم أتصور للحظة أن يصدر حكم بالإعدام على الأستاذ "محمد يوسف حواش" الذى لم يفعل شيئاً، ولم يشارك فى شئ، وكانت كل جريمته أن فكرة نسخة من فكر سيد قطب، وأنه كان مرشحاً أن يكون الرجل الثاني إذا اختفى الأستاذ سيد قطب.

والحقيقة أن توقعى لإعدام سيد قطب كان بناءً على ما توقعه هو، لأنه كان يرى أنه سوف يعدم لا محالة، وكانت قد جاءت أنباء عن طريق بعض الإخوة أن رجال رئاسة الجمهورية يقولون إنهم قد أخطأوا حين لم يعدموه فى عام 1954، وأنه لابد من التخلص منه .. كانت هذه كلماته.

طُلبنا لسماع الأحكام، وكانت الصورة غريبة، دخلنا قفص الاتهام، ثم أُخذْنا فرداً فرداً، يمسك كلا منا اثنان من الضباط، ويذهبان بنا إلى غرفة جانبية داخل المحكمة، هذه الغرفة بها ضابط برتبة رائد يتلو علينا الأحكام، ثم يأخذون كل واحد إلى سيارة أسفل المبنى، فى البداية أخذوا سيد قطب، ثم

محمد يوسف حواش وبعد ذلك أخذونى، وكان منطوق الحكم كالتالي :

"حكمت المحكمة حضورياً على المتهم على أحمد عبده عشماوى بالآتي:

أولاً: إعدامه شنقاً حتى الموت (وتصورت أنه بعد ذلك لا يمكـن أن يكون هناك ثانياً، فالأولى قد أنهت الموقف تماماً)، لكنه قال:

ثانياً : مصادرة المضبوطات المتعلقة بالقضية (وكان قد صودر معى مبلغ 500 جنيه من أموال التنظيم).

كنت فى السيارة مع سيد قطب ويوسف حـواش، ثـم أتـى الـشيخ عبدالفتاح إسماعيل وقال: "إعدام". ثم أحمد عبدالمجيد "إعدام" ومجدى "إعدام" وصبرى عرفه الكومى "إعدام"، لكن الأستاذ البنا صحح لهم ما قالوا : وقال : لا تقولوا إعدام . ولكن قولوا شهادة. وسارت بنا السيارة إلى السجن الحربى مرة أخرى.

فى الطريق دار بيننا حديث أتذكره جيداً، بدأ الأسـتاذ سـيد قطـب يتحدث عن أن جمال عبدالناصر، لو تلوثت يده بدمنا فـسوف يـزول ملكـه خلال سنتين أو ثلاث، ولكن الأستاذ يوسف حواش استوقفه قائلاً: يا أخ سـيد كفانا حديثاً فى السياسة، فقد قاربنا من لقاء الله، وينبغى أن نعاهد على أمـر أريد أن أحدده من الآن. وانصتنا إليه جميعاً، فقال: "أريد أن نتعاهـد نحـن السبعة على أن من ينجو منا من عذاب الله، ويذهب إلى رضاه أن يشفع فـى الستة الآخرين".

وصلنا إلى السجن، وكانوا قد جهزوا لنا عنبراً نحن الـسبعة فقـط. وضعوا كل واحد منا فى زنزانة ليس بها إلا بطانية وإناء مطـاطى لقـضاء الحاجة وظللنا فى انتظار أحد أمرين: إما تخفيف الأحكام، وإما تنفيذها. فـى

هذه الفترة ــ والتى امتدت عشرة أيام ــ جاءتنى زيارة ــ وكان معروفاً فى السجون أن من يحكم عليه بالإعدام تأتيه زيارة قبل التنفيذ بأيام ــ وفوجئت بوالدتى وإخواتى، كانوا إلى حد ما متماسكين. ولكن الطريق أننى عشت أخذ العزاء فى نفسى، فلم يقل أحد أن الحكم سيخفف وأن القضية سوف تحل، وإنما كان الجميع يقول: "أنتم ناس طيبون، وإن شاء الله حتدخلوا الجنة". ولكن المسألة مع أهلى كانت مختلفة، فقد كانوا دائمى السماع للإذاعات الأجنبية، وأن هناك مؤتمرات، وأن الملوك والرؤساء العرب يناشدون الرئيس تخفيف الأحكام .. و .. و .. وكانوا يأملون بشدة فى أن يخفف الحكم، لم يكن معنا سوى كتاب الله، ولم يكن أمامنا سوى تلاوة القرآن طوال النهار أو الصلاة والدعاء .. وهكذا.

كانت الحراسة على العنبر عالية جداً، وفى إحدى الليالي ــ بعد حوالى 8 أو 9 أيام ــ قمت فى منتصف الليل وأردت أن أصلى الفجر، فنظرت من ثقب الباب، فوجدت حركة غير عادية فى السجن، رأيت الصول "صفوت" ومعه بعض رجال السجن، قرعت الباب، فسألنى الحارس: ماذا أريد ظ قلت: أذهب للحمام كى أتوضأ وأصلى وسألته ماذا يجرى فقال: إنهم أخذوا عبدالفتاح إسماعيل ومحمد حواش وسيد قطب لتنفيذ الحكم. قلت له: وما بالنا نحن؟ قال: من المحتمل أن يوصلوهم إلى سجن الاستئناف ثم يعودوا مرة أخرى لكم.

توضأت وذهبت إلى غرفتى، وظللت أصلى حوالى الساعتين، حتى إذن لصلاة الفجر، فصليته، ثم نمت، ولم أدر إلا وأنا مستيقظ فى ضوء الشمس، وأحسست أنه لن يكون هناك تنفيذ للحكم فى هذا اليوم، لأن تنفيذ الأحكام ــ عادة ــ يتم فى الفجر أو فى ساعات النهار الأولى، جاءوا

بالإفطار فتناولته، ثم فوجئت بأركان حرب السجن النقيب "إبراهيم عبدالتواب" ـــ ولم يكن له شأن بما يجرى داخل السجن إلا الشئون الإدارية ـــ فوجئنا به يجمعنا نحن الأربعة "أنا وأحمـــد عبدالمجيـــد، وصـــبرى عرفـــه، ومجـــدى عبدالعزيز" وقال أحمدوا ربكم .. الريس قلبه كبير وخفف عنكم الحكم، ولازم تشكروه، لأنه رأف بحالكم" فسأله الأخ مجدى، وماذا حدث لبـــاقى الأخـــوة ؟ فقال له: كن فى حالك، ولا تسأل عن غيرك، لازم تتوب من اللـــى عملتـــه، ومالكش دعوه بحد تانى"، فسأله مجدى مرة أخرى، على أى أسس تم تخفيف الحكم ؟ فرد قائلاً، إنه تم بناءً على أمرين: الأول: أننا صغار الـــسن ـــ كنـــا أقل من 30 سنة ـــ والثاني: أنها أول مرة نشترك فى مثل هذا العمل، وأمـــا الثلاثة الباقون فقد اشتركوا مرتين. وقال له صبرى: أنا سنى أكثر مـــن 30 عاماً. فثار عليه النقيب وقال له: تريدنى أن آخذك وأقدمك لغرفة الإعـــدام !! لابد أن تكونوا شاكرين لما حدث، وانتهت المناقشة إلى هذا الحد، وذهبوا بنا إلى السجن الكبير لنعيش مع باقى أخواننا الموجودين فيه.

فى السجن الكبير :

كانت أول مرة أذهب فيها إلى السجن الكبير ـــ وقد كان كبيراً بالفعل .. عبارة عن أربعة طوابق وبه إمكانات لإعاشة أكثر من ألف شخص، كانت الحياة فيه جديدة تماماً .. فقد وضعونى فى زنزانة مع مجموعة من الإخـــوان الذين استقبلوني بالترحاب وقالوا لى : "مبروك .. والحمد لله، وحمداً لله على السلامة". وفى اليوم نفسه الذى وصلنا فيه علمنا ما يحدث داخل الـــسجن .. كان عبارة عن عملية "غسيل مخ" ـــ كما كانوا يـــسمونها ـــ وكانـــت هـــذه العمليات هى "موضة" العصر فى هذه الأيام .. كان قد صـــدر كتـــاب عـــن

"صلاح نصر" فى هذا الصدد، وكنا قد قرأناه، كما قرأنا بعض الكتب الأجنبية فى هذه الخصوص، وكان واضحاً أن ما يجرى فى السجن من غسيل مخ حسب ما قرأوه فى الكتب ولكن التنفيذ كان خاطئاً.

كانت عمليات غسيل المخ والطوابير تتم تهديد الضرب، من يقع يُضرب فيقوم ليجرى مرة أخرى .. وكان عندى "خلل" يمنعنى من الجرى فترات طويلة. فأنا مصاب "بالفلات فوت" وإذا جريت كثيراً يحدث ارتباك فى مفاصل الركبة والظهر أشبه بالمفاصل الروماتيزمية ولا أستطيع التحرك، لذلك فبعد يومين أو ثلاثة بدأت أقع وأنا أجرى ولا أستطيع أن أكمل. وكان فى الخلف طابور يسير على الأقدام لبعض كبار السن والمرضى فألحقونى به حتى استطيع أن أكمل ولا يعفونى من المجهود.

بعد عدة أشهر أعادونى إلى عنبر "رقم 5" بناءً على تعليمات صدرت بذلك، واعفائى من الطوابير. وهنا فقط علمت أن نص تخفيف الحكم قد جاء فيه "بخصوص أننى ساعدت السلطات" وأن هذا كان أحد أسباب تخفيف الحكم. وبذلك فقد أجهزوا على البقية الباقية من أية ثقة قد تقوم بينى وبين الإخوان الذين كانوا يتلقفون مثل هذه الايماءات ويضخمونها ويضيفون من عندياتهم الكثير، لأنهم ــ فى داخلهم ــ يريدون أن يكون ذلك حقيقة ويريدون بذلك أن أكون الشماعة التى يعلقون عليها أخطائهم.

ولم أهتم كثيراً لأننى كنت ــ بينى وبين نفسى ــ قد تخلصت إلى حد كبير من مسألة الانتماء للجماعة، ولكنى لم أتخلص من الإسلام، لأنه دينى وعقيدتي كان الانتماء للجماعة بهذا الشكل ينتهى من نفسى شيئاً فشيئاً، وكلما زادوا فى إساءتهم إلىَّ كنت أبتعد عنهم لأننى عشت فترة غريبة جداً، فقد

وقعت تحت ضغط شديد من أجهزة الدولة، وضغط شـــديد مـــن الإخـــوان. وبالتالى كنت كمن وقع بين "شقى الرحى". وكان لابد أن احتمـــل الطـــرفين حتى أقوم بما قررته وهو محاولة العمل على تصفية القـضية مهمـــا طـــال الزمن، فقد كنت أعتبر نفسى أحد المـــسئولين ن حـــدوثها. وكنـــت أرى ــ ومازلت ــ أن الإخوان فى مجموعهم شباب طيب مخلص، ولكـــن قيـــادات الإخوان هى التى ينبغى الوقوف عندها أنهم يتعاملون ببعض الأهواء، وهـــم ــ أقل تقدير ــ ليسوا على مستوى المسئولية التى يقفون عليها.

وكانوا قد جاءونا بأحد الإخوة وهو الأستاذ "معروف الحضرى" وظل معنا فى "نمرة 5" طوال فترة حرب 67، وكان مهتماً إلى حد كبيـــر بـــسير العمليات الحربية منذ بداية الحرب ورسم خريطة للمعركة وبمكان القـــوات، وكانوا قد فتحوا الميكروفونات الأخبار طول 24 ســـاعة، وكـــان الأســـتاذ معروف ــ حسب البيانات الصادرة ــ يغير فى الخريطة ويشرح بالأسهم أن قواتنا هنا، وقواتهم هنا .. وأن المفروض أن نفعل كـــذا .. والمفـــروض أن يكون كذا، وأن نفتح ثغرة فى مكان كـــذا، وأن نلتـــف مـــن مكـــان كـــذا .. باختصار كنا نعيش معه المعركة، فهو خبير من الناحية العسكرية، ويعـــرف سيناء معرفة جيدة، لكننا فوجئنا جميعاً بأن ما كان يرسمه ويقدره كان ضرباً من الخيال وأن المعركة لم تكن معركة، وإنما كانت هزيمة، وهزيمة خطيـــرة وصريحة وصارخة.

والحقيقة أنه بعد هزيمة 67 وأثناء المظـــاهرات التـــى حـــدثت فـــى القاهرة تطالب بعدول عبدالناصر عن الاستقالة، كانت حالـــة الأمـــن داخـــل السجن سيئة جداً، وكان من الممكن لأى إنسان أن يهرب بسهولة جداً، ولكـــن ماذا بعد الهروب. وكان بعض الإخوة ــ أثناء الطوابير ــ قد درسوا خريطة

السجن من الداخل وعرفوا المبنى الموجود به جميع أسلحة الـسجن، وكـان مبنى ضعيفاً، وله باب يمكن أن تضربه بقدمك فيفتح وكان من الممكن لهـذه المجموعات أن تتوجه إليه وتستولى على السلاح وتقاوم الحراس وتخرج إلى الشوارع تثير الشغب ولكن كان السؤال الدائم : وماذا بعد الهروب ؟!

ثم بدأت إدارة السجن تعقد لنا بعض المحاضرات فى مكـان أعـدوه خصيصاً لهذا الغرض. وكان المحاضر هو الشيخ "محمد بن فتح الله بـدران" وكنا نعلم أنه ابن عم شمس بدران. وكان هذا كفيلاً لعدم تلقى أى علم منـه. كان الرجل يحاول أن يشرح فى الإسلام، وكان يقول بالحرف الواحد: "أعمل قرطاسين ضع المعلومات التى فى رأسك فى واحد منهما، والمعلومات اللـى أنا حقولها فى القرطاس الثاني، ثم أوزنوهما وشوفوا أى واحد منهما أثقـل، واللى تلاقوه أثقل حطوه فى دماغكم".

طبعاً كان هذا تهريجاً، وكلاماً فارغاً، وتعمد بعض الإخوة أن يسألوه عن المخططات الصهيونية والمخططات التى تقوم بها الحكومـات للـضحك على الشعوب ولم يستمع له أحد. وبالنسبة لى لم أسـاهم كثيـراً فـى هـذه المحاضرات إلا مرة واحدة فقط، قمت وأمسكت بالميكروفون، وألقيت كلمـة ملخصها، أن العودة للأديان بحقيقتها قد تحسم جميع المشاكل الموجودة، فلـو عاد المسلمون إلى إسلامهم، وعاد المسيحيون إلى مسيحيتهم، وعـاد اليهـود إلى يهوديتهم، والتزم كل بكتابه التزاماً حقيقياً، فلن يحدث صدام، ولن يحـدث خلل. ولم يعجب هذا الكلام لا الإخوان، ولا الشيخ الذى كان يحاضر.

بعد ذلك كان السجن الحربى عبارة عن محطة انتظار، فبعد الهزيمة،

وبعد سقوط المشير، وشمس بدران، كان السجن الحربى وكأنه يتيم بــلا أب وحدث فى هذه الأثناء أن قتل مدير السجن "حمزة البــسيونى" فــى حــادث سيارة. وقد أكد الجميع أن ما حدث له كان قصاصاً من المولى عز وجل.

ليمــان طرة :

ذات يوم جاءنا أمر بالتجمع خارج العنابر، ووقف الجميع فى ســاحة السجن، وأمامنا مدير السجن الجديد يتسلم السجن بما فيه وبمن فيه، وحينمــا قاموا "بالجرد" وجدوا أن هناك أفراداً كثيرين بدون أوراق تدل على هويتهم. ولم يكن أمام القائد الجديد للسجن سوى أن يفرج عنهم فى الحال. وتردد بعــد ذلك أننا سوف نُسلم للسجون المدنية، وأن الجهة الطبيعية التى من المفروض أن تشرف علينا هى مباحث أمن الدولة التابعة للشرطة، وعشنا فى انتظــار نقلنا إلى "ليمان طرة"، حتى جاء اليوم الذى فوجئنا فيه بالــسيارات ورجــال الشرطة قادمين لتسلمنا. والحقيقة أننا كنا نخشى من ذلك كثيراً، فأى انتقــال كان يعنى بداية متاعب، ثم انفراجاً، لكننا كنا مستعدين نفــسياً لهــذه "الــشدة" الجديدة التى سوف نعيشها.

وصلنا إلى "ليمان طرة" وتم "حشرنا" فى عنبر، حيث وضــعوا كــل سبعة أفراد فى غرفة مساحتها "2 × 3 أمتار" وأعطونــا ملابــس الــسجن الزرقاء. وكانت جميعها مملوءة بالقمل وكان هذا أمراً مقصوداً كأحد أنــواع المضايقات التى لا يمكن أن يُحاسب عنها مــسئول، وإذا أردت أن تحاســبه، فإنه يرد عليك: كيف تفكر أننا نقصد أمراً كهذا إنها ملابس الــسجن، وأنــت تعلم أن السجون فيها هذا وذاك". ولكن بعد ذلك عرفنــا أن هنــاك ملابــس نظيفة، وأننا نستطيع أن نعيش عيشة أكثر راحة. ومع هذا كان لابــد لنــا أن نتعايش مع هذه الظروف .. المكان الضيق، والهواء غير النقــى والملابــس

المملوءة بالقمل، وكميات الطعام لا تصرف كاملة.

طالبنا بحمامات، فوفروها لنا، وكانت هذه "الحمامات" بدون أبواب وهذا بالنسبة للإخوان غير مقبول، فأخذوا يقيمون الحواجز بين كل حمام وآخر من البطاطين داخل السجن. كان المسئول عن هذا العنبر هو الرائد "موسى عطا الله" وكان هادئ الطبع ينفذ التعليمات، وليس له أن يضيف من عنده لا سلباً ولا إيجاباً، كانت الحراسة فوق العنبر، وكان هناك "سبحان" داخل العنبر، يستعين ببعض الإخوة لتوزيع الطعام وكان معنا عدد من الذين حبسوا قبل ذلك، ويعلمون كيف يتعاملون مع السجون المدنية.

كان معى من المتهمين فى قضية حسين توفيق كل من: حسين توفيق، عبدالقادر عامر، مدحت فخرى، أحمد الحناوى، وكانت فرصة جيدة لى أن أسمع من حسين توفيق مباشرة بعض الأساطير التى كتبت وقيلت عنه، وظللنا معاً قرابة عام كانت مدة كافية جداً لأعرف كل تاريخه قبل أن يخرج من مصر وأثناء وجوده فى سوريا. وكان الرجل ـ باختصار ـ وطنياً، وكان يرى أن الإخوان أفاقون ودجالون وتجار أديان، ولا يمكن أن يتنازل عن هذه الفكرة أبداً، وكان معنا شقيقه "سعيد توفيق". وقد روى لى "حسين" كيف قام بعملية قتل "أمين عثمان" وماذا كانت دوافعه .. وهى دوافع وطنية، فقد كان يرى أن أمين عثمان عميل للإنجليز .. وكانت عقدة حياته دائماً هى محاربته للإنجليز فى المنطقة وفى مصر بالذات .. وأنه كان يشترك معهم فى هذه العملية الرئيس أنور السادات. ولذلك فإنه كان يرى أن أنور السادات لابد أن يفعل شيئاً للإفراج عنهم وعدم تركهم هكذا فى السجون، وروى لى كيف هرب وأنه قال فى المحكمة وفى تحقيقات النيابة إنه سوف يهرب من السجن، ولما هرب قال القاضى: "لقد أنذركم الرجل،

ولم يخذلكم، فقد نفذ وعده".

روى لى "حسين توفيق" كيف هرب من مصر وذهب إلى السعودية، ثم الأردن، ثم سوريا، حيث استقر هناك بوصفها كانت معقلاً للأحرار والوطنية فى العالم العربى كله فى هذه الفترة وتزوج من سيدة سورية، وكان معه عبدالقادر عامر الذى تزوج هو الآخر من سيدة سورية، وكانا يشتركان فى كل الأعمال التى قاما بها.

وكان من عادة "حسين توفيق" أنه يكره أن يُعذَّب. وحين يقبض عليه يجلس ويطلب فنجان قهوة وسيجارة، ويروى القصة وكأنه يفتخر بأنه فعل ذلك، وأنه مناضل وطنى، وكان يقول لهم: "لا تضربونى فسوف اعترف بكل شئ". ولذلك كان الأفراد من خارج عائلته يكرهونه جداً أما المجموعة التى عشت معها داخل الزنزانة، فكانوا إخوته وأولاد خالته. ولم يكن بينهم أحد من الإخوة الغرباء الذين جندهم لقضيته والذين كانوا يكرهونه.

يسبوننى بالقرآن والحديث :

والحقيقى التى لا أنكرها أن الأيام التى قضيتها مع هؤلاء الإخوة كانت طيبة، ولم يكونوا يوجهون إلىَّ أى أذى، وكانوا عوناً لى فى الفترة التى بدأ "الإخوان" يؤذونني فيها. وكان إيذاؤهم شديداً، فقد كانوا يسبوننى بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. كنت أينما أسير أسمع من يوجه إلىَّ الشتائم وكان هذا شيئاً غريباً ــ ومازلت استغربه حتى الآن ــ فكيف يمكن أن تستعمل آيات الله وأحاديث الرسول فى السبب، كنت إذا مررت أمام أحد منهم أسمعه يتلو: "فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث" وتسمع آخر يقول: "وذلك مثال المنافقين". وكان هذا أسلوباً ممجوجاً، ولا أظنه عملاً

إسلامياً. ولم يكن أمامى إلا احتمال المواقف، ولم أحاول أن أناقش أحداً فـى أمر، ولا أسعى إلى التخفيف من حدة موقفه، وكان كل ما يقال عنـى أننـى كنـت قد اعترفت عليهم. وهى دعوى باطله ومرفوضه، ومما يثبت ذلـك ــ بالإضافة إلى اعترافهم هم أنفسهم ــ أنه قد جاءنى الأخ "عباس السيـسي" ــ ونحـن فى عنبر التأديب فى ليمان طرة ــ وسألنى سـؤالاً مباشـراً : "هل تنوى أن تؤيد الحكومة ؟ دعنا مما سبق فكلنا اعترفنا، كلنـا لـم يخـف شيئاً، وأنـت معذور بالتعذيب الذى حدث. لكننا نود أن نتأكد مـن نقطـة واحدة وهى هل تنوى الاعتراف بالحكومة وتأييدها فى محاولة للخروج مـن السجن ؟!".

وكان ردى: أننى أرفض الشروط، ولو كانت الحكومة سوف تشترط ــ لتحل القضية ــ أن أؤيدها، فأنتم الآن تشترطون ــ لكى نعود إلى صفوف الجماعة ــ ألا نؤيد الحكومة. فهؤلاء اشترطوا، وأنتم اشترطم، وهنا تساويتم معاً فى وسائل الضغط، وأنا لا أقبل الضغط، وهذا الأمر متـروك لـي فـى المستقبل وسوف أفكر فيه، وأتخذ قراري. ولا أستطيع أن التـزم مـن الآن بأننى لن أفعل. ثم قال لي: "إننى أعدك إن وعـدتنى ألا تؤيـد الحكومـة أن نعتبر ما حدث كأن لم يكن، وأن تعود إلى صـفوفنا مـرة أخـرى وتأخـذ مكانتك"، ولكن رفضت هذا الأسلوب لأننى ــ أساساً ــ كنت قد ضقت ذرعاً بالأمر كله، وأحسست بخطأ العمل الذى اشتركت فيـه، وأحسـست بمـدى ضعف القادة الذين سلمنا أمورنا إليهم.

كان رفضى للعرض الذى أشار به الأخ عباس ــ وكان مندوباً عـن الإخوان ويحدثنى باسمهم ــ سبباً فى اشتداد عمليات الإيذاء، بل إن الأمر قد وصل إلى حد تقنين الإيذاء. وأعنى بالتقنين أنه بدأت عمليات الفتـوى، وقـد

صدرت فتويان: أولاهما : أننى كافر وخارج على الجماعة، وأنه ينبغى التعامل معى على هذا الأساس، وترتب على ذلك أنهم اعتبروا زواجى باطلاً، وأن زوجتى لابد أن تطلق.

والفتوى الثانية : إجبار الجميع على أن يقاطعونى، وكان ذلك أحد الأسلحة التى يشهرها الإخوان دائماً فى وجه من يعارضهم أو يخالفهم رأياً، وهذه المسألة ينبغى الوقوف أمامها لبحث أسبابها ونتائجها، لأن العقاب بالترك والإهمال والمقاطعة عقوبة شديدة الإيلام، ولا يستطيع أن يحتملها ويتعايش معها إلا ذوو البأس ــ والحمد لله كنت منهم ــ ومررت بالمحنة كاملة، وكانت محنة شديدة، فقد كنت مقاطعاً من الإخوان وفى الوقت نفسه لم أكن أعامل معاملة حسنة من الجهات الحكومية، وأقر أننى ــ حتى الآن ــ مازلت أعامل من قبل الأجهزة الحكومية على أننى من الإخوان المسلمين، وأعامل ــ أيضاً ــ من الإخوان على أننى خارج عليهم ولست منهم، وهو موقف لا أملك تغييره.

ويهمنى الآن أن أبحث الفتوى الثانية، لعل بعض الفقهاء يساعدوننا فى إلقاء الضوء على هذه النقطة الفقهية التى استخدموها، وأنا أرى ــ مع علمى المحدود ــ أنها استخدمت استخداماً خاطئاً، فقد كانت قائمة على أساس الآية الموجودة فى سورة التوبة ــ أية رقم 118 ــ والتى تقول: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم" صدق الله العظيم.

هذه الآية نزلت فى ثلاثة من الصحابة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألا يخرجوا معه فى غزوة "تبوك" وكانت هذه الغزوة أيام الحر

الشديد، وكان يلزمها مسيرة طويلة فى الحر القائظ، ويبدو أن هؤلاء الثلاثة قد خافوا على أنفسهم من الحرب، أو أنهم ركنوا إلى الراحة فاستأذنوا الرسول فى أن يتخلفوا عن الغزوة فإذن لهم. ثم نزلت هذه الآيات من الله يعاتب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه أذن لهم: قال تعالى: "عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟". وجاء النص فيهم: "وعلى الثلاثة". وكان هذا النص معناه أن يعتزلهم المسلمون حتى زوجاتهم اعتزلنهم، حتى يقضى الله فى أمرهم. وظل هؤلاء الثلاثة فى مقاطعة تامة من الجميع، لا أحد يبيع لهم أو يشترى منهم. أو يحدثهم حتى زوجاتهم، وذهبت إحدى الزوجات للرسول صلى الله عليه وسلم واستأذنته أن تمرض زوجها لأنه مريض فأذن لها أن تفعل ذلك ولا تزيد عليه.

وبعد خمسة وخمسين يوماً نزلت الآيات بتبرئتهم والعفو عنهم، وذهب الصحابة يهنئونهم على عفو الله سبحانه وتعالى عنهم، وعادوا إلى صفوف المسلمين مرة أخرى. كان هذا هو أساس الفتوى التى أفتى بها الإخوان، واعتبروا أننى فى موقفى هذا مثل موقف الثلاثة الذين تخلفوا، إذن فلابد من المقاطعة التامة، وألا يتعامل معى أحد، ولا يحدثنى أحد، وسكنوا عند ذلك.

وهنا أود أن أقول إن الثلاثة الذين خلفوا قد تاب الله عليهم وبرأهم، فإذا أفتى أحد الفقهاء بأن يكرر الآن الحكم نفسه فمن الذى سوف ينزل التبرئة والعفو فى المستقبل ؟ فى المرة السابقة الله سبحانه وتعالى هو الذى أنزل المقاطعة وأنزل التبرئة، والآن فإن من يقول بالمقاطعة فقد وضع نفسه موضع الله سبحانه وتعالى، فهل يستطيع أن يضع نفسه مرة أخرى موضع الله عز وجل وينزل التبرئة، إنهم أفتوا ووجدوا أنفسهم فى مأزق، فتركوا

الفتوى على ما هى عليه، ومع الأسف فإننى سمعت هذه الفتوى من الإخـوة الذين أفتوا بها داخل السجن وهم: "محمد فتحى رفاعى، عبدالستار فـتح الله سعيد، عبدالستار نوير" ثم سمعتها بعد ذلك فى أمريكا وفـى الـسعودية مـن بعض الإخوان السابقين الذين التقيت بهم ومازالوا يفتون بها.

زوجتي تطلب الطلاق :

كان نتيجة تلك الفتوى أن فوجئت بأن زوجتى ــ التـى كنـت قـد تزوجتها قبل أن أدخل السجن بفترة وهى شـقيقة الأخ أحمـد عبدالمجيـد ــ جاءت تطلب الطـلاق، ولم يؤلمنى هذا الأمر، فقد كنـت أتوقعـه. جـاءت بالمأذون معها، وجلست عند مأمور السجن، وتم الطلاق فى هدوء، وإمعانـاً فى الإيذاء والإيلام فإنهم كانوا يقولون لى أنها لم تطلق لمجرد أنك محبـوس. وقد زوجوها ــ بالفعل ــ من أحد الإخوان الموجودين فى السجن، وعقـدوا العقد وهو مسجون. وكأنهم بهذا يقولون لى إننا طلقناها لموقفك من الجماعة. ومع هذا فإننى ظللت كما أنا لم أسب أحداً منهم، ولم أتحدث فى شـأنه، ولـم أطعنه من الخلف، وكنت أرى أننى سوف أقول الكلمة الأخيرة إن شاء الله.

موقف آخر تعرضت له من جراء هذه الفتوى، فنتيجة لحالتى النفسية السيئة أصابنى المرض واحتجت لبعض "الحقن" التى كانـت موجـودة فـى حوزتهم، ولما علموا بمرضى أرسلوا لى الأخ الذى كان مسئولاً عن المسائل الطبية وأتوا ببعض الحقن، لكنه عندما جاء ليعطيني الحقنـة شـاهدته وهـو يملؤها بالهواء مع السائل، فأدركت أن فى الأمر سوءاً، فقلت له: أليس مـن الأولى أن تفرغ الهواء أولاً ؟ فقال لي: لا تخف فإنه لن يؤذيك. فقلت له: إذا لم تفرغ الهواء فأنا لا أريد الحقنة. فما كان منه إلا أن فعل، ولكنهم امتنعـوا

بعد ذلك عن إعطائى أى حقنة أخرى. ومن هنا توجست منهم خيفة، فتقــدمت بشكوى إلى مأمور العنبر وطلبت أن أنقل من بينهم، وجاءنى الــرد ــ بعــد حوالى شهر ــ بالموافقة، ونقلت إلى عنبر السياسيين وهو عنبر رقم "1" فى ليمان طرة بالدور الرابع.

فى عنبر السياسيين :

نقلوني فى حجرة بمفردي تابعة لعنبر السياسيين والذين هــم تحــت العلاج، وتعرفت على مجموعة كبيرة من السياسيين فى شتى مجالات الفكــر والرأى فى مصر، كان من بينهم الأساتذة مصطفى أمين وأنــور زعلــوك، ومصطفى أغا، وعادل سليمان وغيرهم من الأخوة الذين جاءوا فى قــضايا مماثلة، وكان هناك بعض الضباط الذين قبض عليهم بعد محاولات قيل إنهــا لقلب نظام الحكم، عشت فى هذا العنبر حوالى 3 سنوات كان فيها الكثير من المتغيرات التى حدثت.

بدأت أتعلم كيف أتعايش مع "الليمان" وكيف أتعامــل معــه، وكيــف أعيش مستريحاً بعض الشئ، بدأت أدرس وأتعلم وسائل المسجونين ووســائل التعامل داخل السجن، كانت "العملة" الرئيسية التى يــتم التعامــل بهــا هــى "السجائر". كل شئ يباع ويشترى بالسجائر، كل شئ ممنوع، ولكنــه أيــضاً موجود. كل شئ بسعره، وكان وجوده متوقفاً على مدى الفتــرات المتباعــدة للتفتيش. فإذا حدث تفتيش فإن كل شئ يصادر، وعلينا أن نشتريه مرة أخرى وتجد "السماسرة" يعرضون عليك ما تريده من السلع.

فى "ليمان طرة" كنت تستطيع أن تطلى الغرفة بالزيت، وأن تــشترى

بطاطين زيادة، وبعد فترة علمت أن التعامل بالنقد موجـود أيـضاً، وبـدأت أتعامل على هذا الأساس وأحرص أن تكون معى نقود وكميات من السجائر. وأحسست أننى أستطيع أن أقرأ وأن أسمع الراديو ــ إذا كان الراديو ممنوعاً ــ وبدأنا نقيم مخابئ داخل الزنزانة "تشون" فيها جميع الممنوعات ليلاً، حتى إذا أتت حملة التفتيش فى الصباح المبكر لا تجد شيئاً، وبـدأنا نـتعلم كيـف نرسل رسائل خارج السجن وكيف نلقى خطاباً فى البريد، وكل شئ بثمنه !

كانت تجربة فريدة تعلمتها وعشتها، وكان لابد أن يحدث ذلك، فالمدة "25 سنة" ولابد أن أعمل على الاستفادة من الوقت الذى أعيـشه، أحـضرنا بعض الكتب، وكانت فى السجن مكتبة كبيرة، قرأت بلا ترتيب، فى أى علـم وأى فن، وأية قصة، وأى تاريخ، وأى جغرافيا، حتى أننـى قـرأت مكتبـة الليمان كلها، وكنا نستعير الكتب من بعضنا، وكان الأستاذ مصطفى أمين أحد المصادر الضخمة لقراءة الكتب والمجلات العربية والإنجليزية، حيـث كـان الأستاذ على أمين يرسل له أحدث الكتب التى صدرت فـى العـالم، وكـان الرجل كريماً، يقرؤها، ويعطيها لنا لنقرأها بعده.

تعرفت فى هذا العنبر على القيادات المختلفة من شيوعى إلى وفدى، وكانت فرصة للتأمل فيما فات وتقييمه تقييماً كاملاً، وتدارس مـا بـه مـن أخطاء وحسنات وكنت قد تحاورت مع مجموعات أخرى من الوطنيين الذين ليس لهم انتماء وأذكر منهم الدكتور "محمـد حلمـى عفيفـى" أحـد أطبـاء الإسكندرية، وكان قد ألقى القبض عليه فى قضية قلب نظام الحكـم، وحكـم عليه بخمس سنوات، وكان كل هؤلاء يتناقشون فى السياسة بحرية كاملة دون خوف من أن يسمعهم أحد ودون مواربة أو تزويق.

السجين (شمس بدران):

فى هذه الفترة علمت أن شمس بدران قد حكم عليه بالسجن المؤبد، وأنه سوف يتم ترحيله إلى "ليمان طرة" لقضاء المدة، والحقيقة أنه كانت تتابنى حمى للقائه، وبالفعل حين جاء إلى "الليمان" أقام الدنيا وأقعدها، رفض أن يجلس فى الحجرة التى أعدوها له .. وعرضوا عليه أخرى فرفض .. طلب أن يحضروا له فوتيهات وأثاثاً معيناً .. وجهزوا له غرفة داخل مستشفى السجن. وأعطوه كرسياً يجلس عليه تحت شجرة. والغريب أنه كان يضع بجانبه سجادة صلاة، وانتهزت فرصة فى أحد الأيام وذهبت للقائه، وما أن رآني حتى بادرته قائلاً: مرحباً بك فى ليمان طرة، فقال "جئت تشمت بي". لقد أصبحنا متساويين الآن، كلنا مسجونون، وكلنا ضحايا عبدالعناصر" ورغم غرابة قوله إلا أننى قبلته. وقال أيضاً: "إنه كان يود الإفراج عنى، وأنه لم يكن يفهم حقيقة الأمور"، ثم تركته وعدت إلى العنبر.

ولقد أثار شمس بدران كثيراً من الشغب، وكانت التعليمات تأتى إلى إدارة السجن أن يضغطوا عليه ووضعوه فى غرفة بجوار عنبر الإخوان، وكان يسمعهم طوال الليل ــ وقد علموا أنه بجوارهم ــ وهم يقولون : "سبحان الله، حسبنا الله ونعم الوكيل .. سبحان الله حسبنا الله ونعم الوكيل". كلهم فى صوت واحد، وكان الصوت يعذبه ويؤلمه، واشتكى إلى إدارة السجن، وطلب نقله من هذا المكان، وكان خائفاً من أن ينقبوا الجدار ويدخلوا إليه ويؤذوه. وبالفعل تم نقله إلى مكان آخر داخل الليمان، ولكنه فجأة أضرب عن الطعام وطلب مندوباً عن رئيس الجمهورية ولكن أحداً لم يأته فطلبوا أن يسجلوا له ما يريد وأن يرسل التسجيل إلى رئاسة الجمهورية، وأذكر أنه سجل بصوته أنه أنقذ حياة الرئيس عدد كذا من المرات، وأنه نجاه من مؤامرات لقتله ولقلب نظام الحكم. ولذا فإنه يرجوه أن ينقذ حياته مرة واحدة،

وأرسل التسجيل إلى السيد الرئيس، ولكنه لم يتخذ فيه موقفاً كالذى يريده شمس بدران، وتركوه على ما هو عليه، يضرب عن الطعام، ثم يعدل عن إضرابه، ثم يعود. وهكذا حتى تركناه بعد أن تم ترحيلنا إلى القناطر، وكانت حياته ــ حقيقة ــ تدعو للشفقة.

فى المرحلة التى عشتها فى ليمان طرة، جاء بعض الإخوان من سجن الواحات ــ كى يتلقوا العلاج فى سجن طرة، كان من بينهم الأخ "كمال السنانيرى" ــ وهو الذى كان مسئولاً عنى عندما انضممت لجماعة الإخوان والأخ "محمد شاكر خليل" الذى كان تربطنى به علاقة قوية، جلست مع الأخر "السنانيرى" وطلب منى أن أحكى له ما حدث منذ أن تركنى فى عام 1954، ساعة أن قبض عليه ودخل السجن.

والحقيقة أننى كنت أكن له إعزازاً لأنه إنسان على تقوى وإن كانت أراؤه لم تكن تتفق مع كثير من آرائى، حكيت له عن الكثير مما حدث، وحكيت له عن سوء المعاملة التى ألقاها من الإخوان، وأننى مستاء جداً لموقفهم ولما فعلوه معى، ولكنه كان من النوع الذى لا يتحرك ولا يقول رأياً إلا إذا كان نابعاً من المرشد العام للجماعة فأشار علىَّ أن أذهب للقاء الأستاذ الهضيبى وأن أعرض عليه الأمر، وأرى ما سوف يرد علىّ وطلبت منه أن ينوب عنى، لكنه فضّل أن أذهب بنفسى.

تطرقنا ــ أنا وهو ــ لكثير من الآراء التى كان يعبر عنها بصفته الشخصية وبصفته أحد المسئولين القدامى ــ إلى مسألة الحكم الإسلامى، وكيف يكون تصور الإخوان بعد أن أمضوا فى السجن 18 عاماً ؟ هل وضعوا حلولاً تمثل هذه المشاكل التى سوف تنشأ فى التطبيق لو قّدر للإخوان أن يصلوا إلى الحكم وأن يقيموا الحركة الإسلامية، كيف

سيتصرفون مع مشاكل الدولة ومشاكل الأقليات ومع العالم الخارجي.

وكان رأى السنانيرى صارماً وواضحاً، فقد قال: إن الإسلام لا ينبغى أن يطبق بالتدريج، وأنه ضد هذا الرأى. وأن التدريج حدث فى بداية الإسلام فى نزول القرآن، ولكن بعد أن تم القرآن فهو ملزم كله ولا يمكن تجزئتــه ـــ وهذا هو رأيه ورأى الأغلبية من الإخوان ـــ وترتب على ذلك أنه يــرى أن من أراد أن يعيش معنا فعلى الرحب والسعة، ومن لم يعجبه الحكم الإســلامي فلن نمنعه من أن يترك الدولة ويخرج.

وطلبت منه الرأى فى المشاكل الاقتصادية كيف يتم التعامــل معهــا فقال: لن تكون هناك مشاكل لأن الفئة الطاهرة المؤمنة سوف تتــولى ريــادة الأمور، ولن تكون هناك سرقات ولا رشاو ولا شئ من ذلك، وسوف تحــل البركة ويعم الرخاء.

فقلت له : وكيف يكون التعامل مع الدولة الغربية ؟

فقال : إن الدول الغربية سوف تحترمنا، إذا كنا نحترم عقيدتنا، وأنهم سوف يكفون أيديهم عنا ما دمنا جادين ونعمل على تطبيق الشرع الإسلامي، وسوف يتعاملون معنا على هذا الأساس.

وطرحت على الأخ محمد شاكر الأسئلة نفسها، وســألته: مــا الــذى تفعله حين يكون الإخوان فى الحكم، أين سيكون موقعك فى المسئولية.

وجاء رده أغرب من الخيال فقال: سأكون فى السجن، ولم يغادر هذا الرأى مخيلتي ولا فكرى لحظة واحدة منذ أن تركته، لأنه يعبر عــن حقيقــة مأساوية يلمها جميع الإخوان، وهى أنهم عند اللزوم ســوف يأكــل بعــضهم بعضاً وسوف تكون المظالم على أيديهم أشد إذا هم اعتلوا السلطة.

والأخ "محمد شاكر خليل" له تاريخ قديم، فى حركة الإخــوان وهــو

صاحب معركة "شبرا" عام 1954، عندما قاوم السلطات فى أحد البيوت فى شبرا حين جاءوا ليقبضوا عليه، وظلت المعركة دائرة بينه وبين البوليس مدة طويلة، وقبض عليه بعد ذلك وحكم عليه بالإعدام، ثم خفف إلى 25 سنة، وكان طالباً فى بكالوريوس الهندسة.

والحقيقة أننا منذ تعارفنا وجدت نفسى وقد تآلفنا إلى حد كبير، أحسست أنه قريب منى، وأحس هو أننى قريب منه إلى حد ما، ولكنى علمت بعد ذلك أنها كانت إحدى الخطط للسيطرة على ردود أفعالي. لقد كان مكلفاً بتوثيق علاقاته معى كى يكون على علم بكل شئ. وأذكر أننى سألته عن الواقعة التى حدثت من الأستاذ صلاح شادى عندما أمر بإبلاغ البوليس عنا، لكنه أنكر أن يكون ذلك قد حدث، ووعد بأن يتحرى الأمر عندما يعود إلى الواحات وأكد لي أنه سوف يقول لي كل الحقيقة.

فى هذا اللقاء تطرق الحديث إلى كيفية معاونة أسرة الأخوة المقبوض عليهم، وقلت له: إن لي بعض المعارف فى المملكة العربية السعودية، وهم يحضرون إلى مصر، وأعتقد أننا يمكن أن ندبر إحضار أموال عن طريقهم إن كانوا يريدون الاستعانة بها لإعانة الأسر.

ولكنه قال لي: إن هذا الأمر غير مطروح الآن، وشكرنى على ما عرضته، ثم علمت ــ بعد الإفراج عنى، أنه بحث الأمر مع أخوانه، وأرسلوا رسالة إلى المملكة العربية السعودية حملها "هارون المجددى". وقد أخبرنى بذلك الأخ "محيى" بعد أن خرجت من السجن وذهبت للحج عام 74 وقال: إن هارون المجددى حضر إليه برسالة من الإخوان فى سجن الواحات تأمره إن كان يرسل دعماً إلى أسرتى أن يوقفه، وألا يرسل مليماً واحداً إلىّ أو عن طريقى إلى أى أحد، وكانت صدمة شديدة لى، فقد كان محمد شاكر خليل

آخر من وثقت بهم، وكنت أعتقد أنه قريب منى.

بين السنانيري .. والهضيبي وعمر التلمساني :

حسب نصيحة الأستاذ "كمال السنانيري" ذهبت إلى مستشفى ليمان طره، وحاولت لقاء الأستاذ الهضيبي ووجدته يسير فى المكان الذى اعتاد أن يتمشى فيه عندما يكون الجو مشمساً، فسرت بجانبه وقلت له: أنا فلان ــ وكان من طبيعته أن يسمع ولا يرد ــ وأخذت أقص عليه موجزاً للخلاف الذى نشب بينى وبين الإخوان، والفتوى التى أصدروها وسوء المعاملة التى ألقاها منهم دون مبرر، وطلبت رأيه بصفته مسئولاً عن الجميع، كما طلبت منه أن يقول رأيه الواضح فى هذه الفتوى التى أصدروها لعزلى وتطليقى من زوجتي وحتى لا يختلط الفكر الإسلامي ويضيع سمع منى ونصحنى قائلاً: "إننا فى محنة .. وإننا فى سجن وأولى بالإنسان فى هذه الفترة أن يعيش مع الله، وأن يستفيد بفترة الخلوة فى العبادة ومحاولة البعد عن المشاكل والخلافات، والله معنا جميعاً".

وعدت لأحكى ما حدث للأستاذ "السنانيري" وقلت له ماذا ترى؟ فقال: لا أدرى وتركت الأمر عند هذا الحد، ولم أحاول التحدث فيه بعد ذلك.

بعد ذلك فوجئنا بحضور الأستاذ "عمر التلمساني" للعلاج فى سجن طرة .. وكان يسكن غرفة فى نفس الدور الذى كنت فيه، وظل معنا عدة أشهر، وكانت فرصة للاقتراب منه والحديث معه، وإن كان هو قد ظل متحفظاً إلى حد كبير، فقد كان كثير الأدب ولا يخرج منه لفظ خاطئ.

كان الأستاذ عمر قد سمع عنى الكثير من بعض الإخوة الذين كانوا

يخرجون من عنبر التأديب إلى المستشفى بغرض لقاء إخوة آخــرين لأخــذ معلومات وإعطاء بيانات ــ وكانت هذه طريقة الاتصال بين الإخــوان فــى السجون ــ ويبدو أنهم قالوا له: إننى تركت الدين كله، وأننى لم أعد أصــلى، وكان رد فعل الرجل أن جاءنى فى أحد الأيام وسألني بــأدب شــديد ســؤالاً واحداً طالباً منى أن أجيب بنعم أو لا . قلت: ما هو : قــال: هــل تــصلى ؟ قلت: نعم. قال لا تزد على ذلك والحمد لله. وتركنى ذهب وعلمت من السؤال والإجابة إلى أى مدى وصلت الأمور، وإلى أى مدى وصل الافتــراء علــى الحق والحقيقة، لكنى حمدت الله الكثير لأن ما يميز الــدين الإســلامي أنــك تتعامل مع الله مباشرة، دون وسطاء، فإذا صليت فأنت تصلى لله، وإذا صمت فأنت تصوم لله وليس لأحد سلطان على ما تفعل، وأنــك ستحاســب وحــدك "وكلهم آتية يوم القيامة فرداً".

بعد ذلك كانت الفرصة تسنح بين الحين والآخــر أن أزور الأســتاذ عمر التلمساني فى غرفته وأتحدث معه، فقد كان الرجل عالماً بأصول الدين، وكنا نعلم أنه المرشح لأن يكون مرشداً الأخوان بعد الأســتاذ الهــضيبي .. ودفعنى الفضول إلى محاولة النقاش معه فى بعض الأمور لعلى أكون قريبــاً من فكر الرجل، وكان من أهم ما ناقشته فيه هو قضية "الحجاب". وكنت أرى ن العمل على بناء عقيدة المرأة ينبغى أن يسبق الأمر بالحجاب، وأنه ينبغــى أن يصدر قرار ليس الحجاب من داخل المرأة ولا يكون مفروضاً عليها، فإن حدث ذلك فلن تحدث انتكاسة فى أى مرحلة، وقد وافقنى الأستاذ عمر علــى مثل هذا الرأى فالدين الإسلامي يهتم أساساً بجوهر الأشياء قبل أن يحدد لهــا شكلها خارجياً.

وقد سألته عن مدى فرضية الحجاب، وهل هو بقوة فرضية الــصلاة

نفسها، فقال إن فرضية الحجاب لا ترقى إلى هذا المستوى، لأنـــه لـــو كـــان الأمر كذلك لفرض على الجميع وفى جميع الأحوال كالصلاة، ولكن الإســـلام يعفى الإماء من الحجاب وإن كان مستحباً لهن.

بداية الانفراج :

فى تلك الظروف حضر لمقابلتى أحد ضباط مباحث أمـــن الدولـــة، وفوجئت بأننى مطلوب فى مكاتب الإدارة .. ذهبت والتقت لأول مرة بالمقدم ــ فى ذاك الوقت ــ "فؤاد علام"، وقال لي: إنه جاء لعلمـــه أننـــى أرســـلت شكوى أطلب نقلى من عنبر الإخوان وأبقى وحدى، نظراً لما بينى وبينهم من خلاف، وسألنى أى نوع من الخلاف بينكم وما الذى حدث وناقشنى فى كـــل القصة، وقلت له رأيى بصراحة وكان واسع الصدر على استعداد لأن يـــسمع حتى وإن اختلفت معه فى الرأى. وقلت له إذا كانوا يـــستطيعون المـــساعدة فإننى أريد أن نعمل على حل الإشكال وتصفية القضية والإفراج عن الجميـــع لأننى أحس بمسئولية خاصة تجاه ما حدث، لأننى أنا الذى سعيت إلى تجديـــد التنظيم.

وتعجب الرجل لأننى أطلب الإفراج عن الكل برغم الحـــادث بينـــى وبينهم من خلاف، وقلت له: إننى أعتبر نفسى مـــسئولاً ــ جزئيـــاً ــ عمـــا حدث. وكل إنسان دخل التنظيم بمحض إرادته، ولا أقول إننى كنت ضـــحية لأحد، أو أن احداً كان ضحية لي. لكنى كنت أحمل مسئولية أدبيـــة بـــداخلى وأريد أن أنتهى منها، ووعد الرجل بالمساعدة ما استطاع فى هـــذا الاتجـــاه وشكرته.

وعدت إلى العنبر، وكان الآخر "محمد شـــاكر" لا يـــزال موجـــوداً، وسلنى عما حدث فرويت له أننى طلبت من أمن الدولة العمل علـــى تـــصفية

القضية، فقال لي: إنهم لو صدقوا فى محاولتهم تصفية القضية فما علىّ إلا أن أطلب حضوره ليساعدنى فى إقناع الإخوان بالسير فى هذا الاتجاه، وعجبت لذلك، ولكنى أخذت الأمور على محملها وعلى شكلها الظاهر وببساطة شديدة. وسافر الأخ محمد شاكر إلى الواحات ووعد بأن يبحث موضوع صلاح شادى، وأن يرد علىّ بالنتيجة، وبعد 15 يوماً جاء مرة أخرى للعلاج فى طرة وأخبرني أن الأستاذ صلاح شادى ينكر أن هذا قد حدث منه، وأنه لم يحدث مطلقاً أن قام بإبلاغ الحكومة عن أى من تنظيمات الإخوان مهما اختلف معهم فى الرأى. وأنه لا ينبغى لأحد أن يصدق خلاف هذا، وأخبرنى أننى حينما ألتقى بالأستاذ صلاح شادى سوف أقتنع به تماماً، فشكرته على اهتمامه.

لا يفوتنى أن أسجل أن الإخوان كانوا قد انتقلوا من عنبر التأديب إلى العنبر الذى كنت فيه ــ ولكن فى الدور الثاني ــ وكان هذا نوعاً من التفريج عنهم. وكانوا قد بدأوا يتحركون بحرية أكثر، ويلقون معاملة أفضل، ويعيشون حياة طبيعية يستطيعون أن يحصلوا فيها على بعض الضروريات بالنقود أو السجائر، كما سمح للصحف أن تصل إليهم ــ وكان هذا ممنوعاً أثناء فترة التدريب ــ والغريب أن الإخوان أنشأوا رقابة فى السجن على مجموعة الصحف التى تصل، فكانت تدخل إلى غرفة الرقابة ويقوم الرقباء باستعمال القلم الأسود العريض لمحو أى صورة لامرأة فى إعلان أو خبر أو .. أو .. فما بالك لو كانت المسألة مسألة دولة أو حكومة، فكيف يكون شكل الرقيب أو الرقابة، وكيف يكون نوع الحريات المتاحة إذا حدث وتولى هؤلاء الحكم.

سجن القناطر :

فـــــى هذا الأثناء علمنا أنه سوف يتم ترحيل المسجونين للقنـــاطر، وفى القناطر وجدت الوضع مختلفاً تماماً بالنسبة لى إلـــى حـــد كبيـــر، فقـــد أعطونى غرفة منفردة بعد أن علموا ما بينى وبين الإخوان من مشاكل، ولكن هذه الغرفة كانت فى نفس الدور الذى يسكنه الإخوان. كمـــا أجـــابوني إلـــى طلبى وسمحـــــوا لى بالعمل داخل السجن وعملـــت فـــى "الكـــانتين" أبيـــع المأكولات والسجائر للمسجونين، وكانت فرصة لقضاء الوقـــت والانـــشغال بشئ مفيد.

ومن الأمور التى حدثت وأنا فى سجن القناطر أننـــى علمـــت بـــأن الأستاذ الهضيبي ــ الذى سمع منى ولم يرد ــ قد كتب رسالة أرســـلها إلـــى الإخوان فى جميع السجون فيها الرأى والفتوى بخصوص التعذيب والإكـــراه وحدوده وقال لهم بالنص : "إن التعذيب إكراه، وأن السجن فى حد ذاته إكراه فلا يحمّلوا الناس فوق ما يطيقون" ولكنهم ــ فيما علمت ــ أخذوا الخطـــاب وأخفوه عن باقى الإخوان ولم يذيعوا ما به، وقد أخبرني بهذا الـــشيخ محمـــد عبدالمقصود الذى كان يحبنى ويعتز بى حتى النهاية، وقد التقيت ــ فى هـــذا السجن بالأستاذ أحمد قبضان المتهم فى قضية حسن توفيق، والأستاذ جمـــال الشرقاوى الذى كان معى فى السجن الحربي، وكان يكن لى إعزازاً شـــديداً، وكنت سعيداً بلقائهما مرة أخرى.

كانت مسألة إخفاء الخطاب الذى أرسله الأستاذ الهضيبي، بالإضـــافة إلى الاستمرار فى المعاملة السيئة التى كنت ألقاها من الإخوان داخل السجن، والمقاطعة والسب بالقرآن، كل هذه الأشياء حسمت الأمر فـــى نفـــسي إلـــى قطيعة بلا رجعة بينى وبينهم. فقد حاولت كثيراً أن أرأب الـــصدع، ولكنـــى وصلت إلى قناعة أن هذا مضيعة للوقت والجهد. وارتاحـــت نفـــسى كثيـــراً

عندما اتخذت هذا القرار، واتضحت رؤيتى، وأحسست أن خطواتي أصبحت أكثر ثباتاً. وكنت قد بدأت الطريق إلى محاولة تصفية القـضية واستـصدار عفو عن المتهمين فى القضية. وكان لابد من المثابرة والاستمرار والـضغط فى كلا الجانبين حتى نصل إلى نتيجة مرضية، وقررت أن أكـرس جهـدى ووقتى لهذا العمل، وكان مما ساعد على ذلك إحساسي أن كثيراً من القاعـدة الإخوانية ــ الذين هم بعيدون عن المسئولية ــ شباب مجنى علـيهم، ولـيس لهم القدرة على الاستمرار فيما هم فيه لا اقتصادياً ولا نفـسياً، ولا معيـشياً، وكانت لهم زوجات أبناء صغار يريدون الرعاية والتربية، ولم يكـن لأحـد مصلحة فى بقائهم فى السجون، اللهم إلا القادة الذين يرون أن القضية طالمـا كانت قائمة وملتهبة فهناك مصالح كثيرة تتحقق لهم من خلالها.

كانت هناك بعض النماذج ــ التى وقعت فى يدى عن طريق الصدفة ــ من خطابات متبادلة بين بعض الإخوان وذويهـم، بعـضها كـان مأسـاة إنسانية تدفعنى أكثر إلى محاولة حل القضية مهما كلفنـى ذلـك مـن عنـت ومشقة.

كانت الكلمات التى تحويها تلك الخطابات تشعرنى وكأنها جبل وقـع فوق رأسى، ورغم ذلك فقد كان هناك بعـض الأخـوة الـذين لا يـشعرون بمسئولية قط، وعلى سبيل المثال كتب أحدهم لزوجتـه: "كانـت الزوجـات الفاضلات فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبن لأزواجهن زوجـات جديدات حينما يعودون من سفر، فبالله عليك كونى مـن هـؤلاء الزوجـات الفاضلات واخطبى لى امرأة حتى أدخل بها حين أعود من السجن".

سجن مزرعة طره :

كان تواجدنا فى سجن القناطر بداية التقارب من جانب الدولة ومحاولة تصفية القضية، ولقد فهمنا من الضباط الذين بدأوا مهمة الاتصال معنا أن الطريق سيكون شاقاً وطويلاً، ولكن نتائجه مضمونة، فالنية قائمة للتفاهم بدلاً من التخاصم. وكانت بداية طيبة، وأحسسنا أن الأمور تسير سريعاً، خاصة بعد أحداث 15 مايو، فقد كان هذا فى صالح تصفية القضية إلى حد كبير، فبعد ذلك بقليل تم الإفراج عن الحاجة زينب الغزالى فى عام 1971، وكانت هذه علامة أخرى تقول إن الأمور فى طريقها إلى الحل، ولا أدرى على أى أساس تم الإفراج عنها. هل تم التفاهم معها على مبادئ معينة أم أنها كانت حالة خاصة، المهم جاءتنا معلومات أنه سيتم تجميع الإخوان تدريجياً فى سجن مزرعة طره، تمهيداً لبداية التفاهم والحل. وبالفعل فوجئنا فى أحد الأيام بنقلنا مرة أخرى من سجن القناطر إلى سجن مزرعة طره، وصاحب هذا النقل إشاعات كثيرة بأن هذا النقل تمهيد للإفراج، ثم كان قرار الرئيس السادات بهدم المعتقلات، فكان الجو العام كله مهيئاً لتقبل فكرة حل القضية والإفراج عنا.

كان سجن مزرعة طره ذا طابع خاص وقيادة خاصة متمرسة على التعامل مع السياسيين لأنه كان جزءاً من المعتقل فيما سبق، وكانت تتم فيه مناظرات ومحاولات. وكان قائد المعتقل فى ذاك الوقت معروفاً بأن مشاعره مع مجموعة 15 مايو من ثم كان ضد تصفية المعتقلات، وبالتالي كان ضد حل القضية والإفراج عن الإخوان وكانت هذه إحدى العقبات التى صادفتنا فى مسيرة الحل. وكان يساعده بعض الضباط الذين تم انتقاؤهم بعناية ليقوموا بعمل سياسى مهم، وأذكر منهم الرائد عصام عبدالمجيد، والرائد نبيل عبدالله

ـ وكانوا جميعاً ذوى فكر متفتح ودراية عالية بكيفية التعامل مع الناس معاملة حسنة كريمة، وكانوا على صلة بالداخلية، وأعتقد أنهم كانوا يتلقون معلوماتهم من هناك، فقد كانوا منتدبين إلى السجون، ولم يكونوا أساساً من ضباط السجون.

أول خطوة :

بدأ أول اتصال بى داخل سجن مزرعة طره من أجل تنفيذ تصفية القضية وطلبوا اقتراحى كى يبدأوا فى تجميع الإخوان وكيفية التفاهم وأسلوبه، وطلبت منهم إحضار "محمد شاكر خليل" من الواحات، لأننى كنت قد اتفقت معه حين التقينا فى "ليمان طره" على أن يتعاون معى فى الهدف الذى حددته واستجابوا لطلبى حيث جاء من الواحات ضمن مجموعة من الإخوان تقرر نقلهم إلى طره. وبدأت الحديث معه فى كيفية التفاهم مع الإخوان: ما هو المطلوب ؟ وما الذى يرفضونه، وما الذى يقبلونه ؟ ثم بدأنا نتفاهم مع الحكومة ـ عن طريق المندوبين الذين يأتون.

وفى الحقيقة كانت هناك فجوة واسعة فى وجهات النظر، وفى مطالب الأفراد، وكان واضحاً أن الطريق سيكون طويلاً وشاقاً، خاصة أننا نتعامل مع الدولة التى فى يدها السلطان وفى يدها القوة، ويمكن أن ينفضوا أيديهم من هذه الفكرة ويعودوا مرة أخرى ويعتقلونها.

كان لابد من التمسك بهذه الفرصة وعدم تركها تفلت، وكان واضحاً أن مشكلة الإخوان هى التأييد، فالداخلية تطلب من كل من يريد الخروج من السجن أن يصدر تأييداً للحكومة وهذه قضية قديمة نشأت منذ أن ذهبوا إلى الواحات وقسمت المجموعات إلى مؤيد وغير مؤيد والواقع أن المزيد من

الإخوان كان يعلن للحكومة أنه يؤيدها، وأنه أخطأ فيما فعل من قبل .. وكان كثير منهم يخرجون من السجن بعد فترة مادام قد أعلن تأييده.

كانت قضية التأييد هى أولى قضاياهم، أما الثانية فهى أنهم كانوا يريدون أن يُسمح بقيام جماعة الإخوان المسلمين حين يتم الإفراج عنهم، ويُخلى بينهم وبين الناس فى الدعوة، وكانت الدولة لها محاذير وشروط لأن للإخوان تاريخاً فى استعمال العنف ضد الحكومات المتتالية، وأنهم كانوا قد اغتالوا عدداً من الأفراد وخرجوا عدداً من المنشآت على مرّ تاريخهم، وأن هذا الفكر متأصل معهم، ولابد للدولة من تأمين نفسها، ولابد للإخوان أن ينبذوا مثل هذا الأسلوب.

كانت المطالب متعارضة ومتضاربة، وقمت أنا بمحاولة جس النبض بين الطرفين لتحديد بداية الطريق الذى يمكن أن نسير فيه. والحقيقة أن رجال الأمن قد هيأوا الجو لأن نتصرف بأعصاب هادئة، وأن نبتعد عن ثورة الأعصاب التى كنا نعيشها فى السجون الأخرى. فقد كان هذا السجن مجهزاً بملاعب رياضية، وكان به تليفزيون، والزيارات كل أسبوع وكل التيسيرات موجودة. وبالرغم من ذلك كان هناك كثير من الإخوان الذين يتوجسون من هذا الموقف، وكانوا يصبون جام غضبهم فوق رأسى، ويقولون إننى بعتهم وأننى أعمل على تأييد الحكومة، وكان يزيدون فى الإيذاء والحديث الجارح، وكنت احتمل ذلك كله.

كانت بداية التعاون مع الأخر محمد شاكر خليل واضحة فقد قال: لابد من أخذ الإخوان باللين فهم قد قاسوا كثيراً، وهم يتشككون فى كل شئ. وهنا لابد أن ألقى الضوء على نقطة مهمة : فقد كان الأخر محمد شاكر خليل ومعه الأستاذ "محمد عاكف" يعتبران أقرب الأخوة إلى الأستاذ صلاح شادى،

فقد كانا من حوارييه المقربين، وكانا يجهزان له كل شـــئ، حتـــى مقابلاتـــه ويتحدثان باستمرار، وكأنه إنسان مميز. وكان هذا ــ كما أعلنت فيما بعد ــ أحد الأساليب المهمة للتأثير على القاعدة الإخوانية وفرض شخصية علـــيهم، حتى أنهما كانا يرفضان أن يعيش "صلاح شادى" بين الإخوان. وقد قال لـــي محمد شاكر "كيف نتركه بينهم ويرونه وهو ينام ويقوم من النـــوم، ويـــدخل الحمام، ويغسل أسنانه ؟ هذه صورة لا ينبغى أن يروه فيها، إنمـــا ينبغـــى أن يروه وهو فى أحسن صورة وفى كامل توقد ذهنه، وبهذا يكون تأثيره علـــيهم تأثيراً جيداً" باختصار كان شخصية متآلهة، وكانا يساعدانه على ذلك.

هذه النقطة أذكرها هنا لأننى رأيت أن الأستاذ صلاح شادى كـــان ذا تأثير ضخم فى مسيرة الأحداث فى تصفية القضية. فقـــد كـــان علـــى رأس المجموعة التى توجه قرار الإخوان بالنسبة لأمر التفاوض مـــع الحكومـــة. وكانت الحكومة ممثلة فى السيد "فؤاد علام" الذى كان يأتى من حين لآخـــر، وكان يرسل بعض الضباط من حين لخر لينوبـــوا عنـــه، وكنـــت أنـــا فـــى المنتصف، أتلقى من هؤلاء، رغباتهم وأوامرهم، وأتلقى من هؤلاء رغبـــاتهم وأوامرهم وأحاول التنسيق بين الأطراف.

طلب الأخ "شاكر" أن يتم تجميع الإخوان كلهم فـــى الـــسجن حتـــى يكونوا متفقين على رأى واحد، وطلب ــ بالتحديد ــ إقناع الأخ محمد عاكف بمجئ الأستاذ صلاح شادى حتى يكون بجانب سرعة اتخاذ القرار، وحـــضر هـــــؤلاء الأخوة ومعهم الأستاذ محمد حامد أبو النصر. وبـــدأ الإخـــوان يفدون بالتدريج، فحضر الإخوة: محمد العـــدوى وأحمـــد حـــسنين وكمـــال السنانيري، وكانوا كلهم من قادة الإخوان القريبين من سلطة اتخـــاذ القـــرار داخل الجماعة.

وبدأنا نجتمع ونتفاهم والحديث كله عن حل القضية والشروط المتبادلة .. وانقلب سجن مزرعة طره إلى خلية نحل. حركة دائبة ليلاً ونهاراً، وكنت أراقب وأدير كل هذا من بعيد، وكان بعض الضباط مثل الرائد نبيل عبدالله والرائد عصام عبدالمجيد، وغيرهما كانوا يفتحون لنا الغرف ليلاً، لأجتمع أنا ومحمد شاكر، وصلاح شادى، ومحمد عاكف إلى ما بعد منتصف الليل.

اللقاء مع صلاح شادى :

كان الاقتراب من صلاح شادى تجربة جديدة، فقد وجدته ذا تأثير كبير على الإخوان، كان قوى الحجة وقد أوتى جدلاً، وأنه شديد الذكاء، ومتأثر جداً بكتب ابن القيم ــ وأعتقد أنه كان يتتلمذ على أفكاره ــ ووجدت أيضاً أن به شخصية ضابط البوليس الذى يتعامل من منطلق فكر ضابط البوليس مع الإخوان ومع غير الإخوان، حتى فى صراعه مع الدولة كان يتعامل على أنه ضابط بوليس يصارع ضباط البوليس وكأن الأمر بينه وبينهم أشبه بلعبة الشطرنج.

كان شديد الاعتزاز بالنفس لأنه كان على علاقة بعبدالناصر ورجال الثورة، وأنهم كانوا يثقون به وكان دائم الذكر لمسألة الإعداد لعمل لغم يتم تفجيره فى قناة السويس إذا قرر الإنجليز أن يدخلوا البلد مرة أخرى أو يقاوموا الثورة. وكان يقول أنه أخذ تفويضاً من الأستاذ الهضيبي لصنع اللغم وتفجيره حتى قبل قيام الثورة. وأن جمال عبدالناصر قد وافقه على هذه الفكرة وكان دائم الحديث عن رجال الثورة وأنهم كانوا من الإخوان ثم نكثوا العهد، والحقيقة أننى كنت أعتبر أن هذا كان قصوراً فى فهمه لأن جمال عبدالناصر كان على علاقة بجميع القيادات السياسية قبل قيام الثورة، وأن

هذه القيادات كانت تراه قريباً منها، ومنضماً إليها. وكانت هذه هى اللعبة التى لعبها بمهارة شديدة، وكون أن جمال عبدالناصر استطــاع أن يخدع صــلاح شادى بهذا الشكل، فإن ذلك يقلل من أسهم صلاح شادى، وأنها تؤخـذ عليــه وليست له، وإن كان هو قد ذكر هذا الأمر فى كتابه "حصاد العمــر" وركــز عليه بشدة على أنه أحد الأعمال المجيدة التى قام بها.

كان الأستاذ صلاح شادى يقوم بتوجيه المجموعــة الإخوانيــة فــى الاتجاه الذى يراه فى المفاوضات التى كنا نقوم بها مع الدولــة. وكنــت قــد ناقشت معه قضية "التأييد" وأن الدولة مصرة على هذه النقطة، ولكنه أصر ــ هو الآخر ــ على أن كلمة "تأييد" فى حد ذاتهــا أصــبحت تثيــر الإخــوان وتستفزهم. وإذا كنا نريد حقاً أن ننهى تلك القضية فينبغى أن نبتعد كثيراً عن تلك الكلمة، فاتفقت معه على أن نفرغ الكلمة من معناها ونضم ما تعنيه فــى تحليل آخر.

واتفقنا بالفعل على أن الكلمة تعنى بالنسبة للدولة: "الوعد بعدم مقاومة السلطات فى المستقبل". وتعنى بالنسبة للإخوان: "أن الأفــراد لــن يرفعــوا سلاحاً فى مقاومتها ولن يقوموا بعمليات تخريب ولن يلجأوا إلى العنف، وأن الأمر بالنسبة لهم سيكون مجرد الدعوة بالقول وأنهم يطلبون مــن الدولــة أن تسمح لهم بذلك وفى مقابلة سوف يقلعون عن تلك الصفات". وقلت لــه: إذن لنضع هذه الشروط فى صيغة اتفاق وبدلاً من بيانات التأييد نقول: "أن يلتــزم الطرف الأول بهذا، وكذلك يلتزم الطرف الثاني".

ولما وافق صلاح شادى كان لابد من موافقة أمن الدولة .. والتقيــت بالأستاذ "فؤاد علام" وناقشنا الموضوع كله، وقلت: إن كلمة "تأييــد" بالنــسبة للإخوان كلمة كبيرة وينبغى أن نتركها ونلف من حولها إلــى معانيهــا ومــا

ترمى إليه. وكانت المفاجأة أن ازدادت مهاجمتهم لى بشدة، وقالوا: إننى أعمل على إذلالهم، وأننى أحاول أن أجعلهم يخضعون للدولة، وأنهم وقفوا عشرين عاماً دون أن يأخذوا كلمة خضوع، وأننى ــ الآن ــ أحاول أن أقلم أظافرهم .. و .. و .. وغيرها من الاتهامات، ولما كنت أتحدث مع صلاح شادى فى ذلك كان يقول لى : "إنهم معذورون" وكنت أعرف أنه لم يكن أبداً ليخطئهم فسلطانه عليهم قوى إلى حد كبير فهو الذى يفهمهم أنه يرعى مصالحهم.

الشئ نفسه حدث مع الأستاذ "محمد حامد أبو النصر" .. فقد ذهبت إليه بصفته أحد أعضاء مكتب الإرشاد الموجودين، ومفروض أن يكون هو المسئول عن الجماعة فى السجن بعد أن أفرج عن الأستاذ عمر التلمساني. ولما شكوت إليه إيذاء الإخوان وطلبت منه أن يعمل على ضبط هذه المسألة، لأن مثل هذه الأشياء لا تساعد على حل الخلاف خاصة وأننى أقع تحت ضغوط شديدة من كلا الطرفين فكل طرف حين يرفض جزئية يضغط علىّ، وأضغط بالتالي على الطرف الآخر، وأننى لا أستطيع أن احتمل أكثر من ذلك، فقال لي بالحرف الواحد : "كان الذين يؤيدون من قبل يُضربون بشدة فى الواحات فأحمد ربنا أنهم سايبينك" وعجبت لهذا الرد وضحكت وتحمست حتى تستمر عملية التصفية.

أثناء ذلك حدث أمران :

أولهما : أن المجموعة التى تم القبض عليها ومحاكمتها من رجال 15 مايو، قد جاء عدد كبير منهم إلى سجن المزرعة، وأعطوهم "عنبر" داخل السجن. كان من بينهم عبدالمجيد فريد وغيره من زملائه، ومجموعة أخرى منهم السيد على صبرى وشعراوى جمعة. وكانت هذه من الأمور التى أثارت

جدلاً. فقد كان الإخوان يشتمون فيهم لأنهم كانوا يعتبرونهم مسئولين عما حدث لهم. ولكنى كنت أتعامل معهم بحيادية. لم يكن فى نفسي ضغينة لأحد حتى أننى دخلت فى مناقشة ــ حول هذا الأمر ــ مع الأستاذ صلاح شادى، فقال لي: إن أحد عيوبي الشديدة أننى لا أتعامل بالكراهية مع أعداء السلام ــ كما كان يسميهم ــ وأنه لابد أن أتعلم كيف أكره، وأن هناك الحب فى الله، والكره فى الله. فقلت له: إننى لا أستطيع أن أكره أحداً، وإن كنت أحياناً أكره أفعال شخص ما .. ولا أكره الشخص نفسه، وأنا لا أكره عبدالناصر برغم أنه ظلمنى ولا أكره هؤلاء القوم. قد اختلف معهم ولكنى لا أكرههم. فقال لي: مادمت أنك لا تستطيع أن تمارس هذا فإن إيمانك ناقص ولابد من العمل على استكماله" ولم أجب بشئ لأننى لا أستطيع أن أغير من طبعى ومما بداخلي.

أما الأمر الثاني، فكان الحدث الذى هزنا جميعاً وهو حرب 73، فقد كان الجميع يشتعل حماساً وكانت من الأمور التى رفعت أسهم الرئيس أنور السادات فى أعين الجميع، وساعدتنا كثيراً فى إقناع الإخوان بالتعامل والتفاهم على تصفية القضية خاصة وكان الإخوان قد أطلقوا بعض الشائعات التى لم أكن أعلم ــ وحتى الآن ــ مدى صحتها من عدمه. ومن هذه الشائعات أن الرئيس أنور السادات قد ذهب إلى "المرشد" فى منزله وكان قد أفرج عنه ــ وأعنى به الأستاذ حسن الهضيبي ــ وأنه طلب منه أن يدعو للدولة بالنصر، وأن الهضيبي كان من أحد القلائل الذين علموا بقرار الحرب قبل حدوثها، وأنه قد باركه ودعا له بالنصر.

المهم، مضت المفاوضات فى طريقها، وكان معى النقيب "حامد سيف النصر" الذى قام بدور كبير فى إقناع جميع الأطراف ووجد لدى الإخوان

قبولاً، رغم أنه موظف من قبل أمن الدولة، إلا أنه كان يحاول أن يتفاهم مع الإخوان، يعرف وجهة نظرهم ويساعدهم على عبور المحنة، وقد ساعدنى فى إقناعهم بالصورة التى كنا نود أن ننقلها إليهم حتى ننتزع منهم الإقرار بعدم اللجوء إلى العنف فى مقابل الإفراج.

اعتراف صلاح شادى :

فى خضم تلك الأحداث المتلاحقة تذكرت القصة القديمة وأعنى بها ما قيل من أن الأستاذ صلاح شادى قد أمر الأستاذين فريد عبدالخالق ومراد الزيات أن يبلغا عنا البوليس حين كنا نعمل قبل السجن، وتذكرت ما قاله الأستاذ محمد شاكر من أنه حينما سأل صلاح شادى عن ذلك أنكر بشدة، وحاول هو أن يبرئه من هذا الموقف. ذهبت أنا إلى صلاح شادى وسألته سؤالاً مباشراً فى هذه المسألة فقال لى بصراحة شديدة : نعم لقد قلت ذلك، وكان لابد من عقابكم لأنكم تصرفت دون إذنى فنحن الذين نقوم بتوجيه الجماعة، ومن يتصرف خارج هذا الإطار لابد أن يوقف بصرة أو بأخرى". وكان هذا هو الرد الصحيح الذى يبين ما بداخل النفوس .. وشكرته على صراحته وقلت له: لقد انتهى الأمر، ولكنك أخطأت التقدير حينما قلت ذلك. وحاول هو أن يقدم لى تبريراً لأنه لا يقبل أن يُهزم أبداً فى أى جدال. ولم أزد عن ذلك خشية أن يفسد الجدال ما نحن بصدده من محاولات التوفيق والإفراج عن المجموعات.

فى النهاية وصلنا إلى اتفاق وافق عليه الجميع، وكان يقضى بالآتي :

"يتم الاتفاق على ما سمى بالمبادئ الستة، وكانت هذه المبادئ عبارة عن ثلاثة تلتزم بها الدولة، وثلاثة يلتزم بها الإخوان".

أما الثلاثة التى تلتزم بها الدولة فهي :

1- الإفراج عن الإخوان وإسقاط القضية.

2- عودتهم إلى أعمالهم.

3- عدم التعرض لهم فى نشر الدعوة والسماح لهم بالخطابة على المنابر ونشر الدعوة بالكلمة.

أما الثلاثة التى يلتزم بها الإخوان فهي :

1- نبذ العنف.

2- عدم محاربة الحكومة.

3- عدم رفع السلاح فى وجه الدولة.

وقام الأستاذ "حامد سيف النصر" بإبلاغ هذه المبادئ إلى أمن الدولة وجاءت الموافقة، وقابلت بعد ذلك الأستاذ "فؤاد علام" فأعلن موافقته عليها، ولكن طلب أن نأتيه بتأكيد من جميع الإخوان، وطلبت من الأستاذ صلاح شادى أن يأتينى بهذا الإقرار النهائى فطلب السماح بعقد اجتماعين داخل عنابر السجن، وأتيت له بالإذن من إدارة السجن، وتم اجتماع حضره جميع الإخوان ولم أحضره أنا، وتدارسوا الأمر طوال الليل، وفى النهاية خرجوا بموافقة عامة، ولكن الأستاذ "فؤاد علام" طلب أن يأتى كل فرد من أفراد الجماعة أمام الضابط الموفد من قبل أمن الدولة ــ وهو النقيب حامد سيف النصر ــ ويعلنوا موافقتهم على هذه المبادئ وأن نكتب بذلك "محضراً" ثم يرفع إليهم ليكون دليلاً نهائياً على أنه لن يشذ أحد عن ذلك.

كان هذا الأمر بالنسبة لى موقفاً عصيباً، فمجرد حضورى جعل الهجوم يشتد علىّ من قبل الإخوان، ولم يحاول صلاح شادى ومحمد عاكف،

ومحمد شاكر أن يخففا من غلواء الإخوان أو هجومهم، وكانوا يقولون لـــي: إنهم سوف ينسون بعد الإفراج عنهم، ولابد أن تحتمل وعلى قدر أهل العــزم تأتى العزائم، ما دمت تفعل خيراً فلا تخش شيئاً". ومثل هذه الأقاويــل التـــى تقال فى مثل هذه المواقف.

تمت المقابلات، وكتب الجميع إقراراتهم، ثم ذهبت إلى أمن الدولـــة، وتم استدعاء الأستاذ عمر التلمساني فى مكتب فؤاد علام الذى أعطاه الاتفاق على هذه المبادئ الستة، كانت المبادئ مكتوبة على أنها ما اتفق عليـــه بـــين الدولة وبين الإخوان المسلمين، وعليه أن يوافق عليها ويعمل على تنفيـــذها، وكان مطلوباً من عمر التلمساني أن يذهب بالاتفاق إلى السجن كـــي يؤكـــد موافقته لكل الإخوان هناك، وجاء عمر التلمساني، وتصورت أنا أنه سيطلب مقابلة صلاح شادى أو حامد أبو النصر أو أى فرد من هؤلاء لمناقشة الأمـــر معه، لكنى فوجئت أنه طلب "عبدالمنعم سليم" وأعطاه هذه الاتفاقية للموافقـــة والتنفيذ، وقام عبدالمنعم سليم ببحث الأمر مع الإخوة أعطائهم موافقـــة مـــرة أخرى.

وبدأت بعد ذلك عمليات الإفراج عن الإخوان، وبدأت ــ عمليـــات ــ تصفية القضية، وصدر قرار بالعفو عن أول الكشوف، وخرج الأستاذ محمـــد شاكر خليل، ثم أعقبه كشف ثان، واستدعيت أنا لأكتب الكشف الثالث بأسماء المفرج عنهم، وأثناء كتابة الكشف فى مكتب العقيد على موسى مأمور السجن جاءته محادثة تليفونية من مباحث أمن الدولة يخبرونه أن قـــراراً جمهوريـــاً صدر بالعفو عنى، وتسقط باقى العقوبة، وتم الإفراج عنى فى هذا اليوم.

الفهرس

مقدمة 3

الباب الأول

من ميت غمر إلى التنظيم السري 89

الباب الثاني

تنظيم جديد 127

الباب الثالث

الاعتقالات والتعذيب 215